الدكتور عبد الحليم عبد السلام الرجالي

تنسيق ورفع عبد الكافي غفر الله له
ملتقى أهل الحديث

قبائل العرب في مصر

[illegible] للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

تنسيق ورفع عبد الكافي غفر الله له

ملتقى أهل الحديث

قبائل العرب

في

مصر

دكتور

عبد العظيم عبد السلام الفرجاني

أستاذ ورئيس قسم تكنولوجيا التعليم بجامعتي المنيا وقطر

١٩٩٧م

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

المطابع ١٢ ش نوبار لاظوغلى ت: ٣٥٤٢٠٧٩

المكتبة { ١ ش كامل صدقى الفجالة ت: ٥٩٠٢١٠٧
٣ ش كامل صدقى الفجالة ت: ٥٩١٧٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير.

" صدق الله العظيم "

إهـــداء

إلى روح جدي الذي علمني وكان أستاذي الأول.

إلى روح والدي الذي أكمل المسيرة بحس مرهف وعطاء بلا حدود.

إلى أبناء القبائل العربية الذين عشقوا الصحراء وخبروا أسرارها.

إلى زملائي الأساتذة الذين شجعوني للاستمرار في هذا العمل.

إلى زوجتي وأولادي الذين تحملوا إنشغالي عنهم.

إلى كل عاشق للصحراء وأهلها وثقافتها وفنونها.

إلى مصر واحة العرب وأم الدنيا.

أقدم هذا الكتاب راجياً الا احيد عن جادة الصواب.

المؤلف

أ.د. عبد العظيم الفرجاني

١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة :

الحمـد لله فـالق الحـب والنـوى شـديد القـوى الـذي علـى العـرش اسـتوى والصلاة والسلام على الذي ماينطق عن الهوى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحان الذي جعل لكل أمة أجل ولكل أجل كتاب ، وياللعجب أن لكل آن أوان فهذا الكتاب بدأت أجمع مادته وأنا في المرحلة الثانوية عام ١٩٦٧ أي منذ ثلاثين عاماً ، عندما بدأت أفهم أن البيئة التي انتمي إليها لها خصائص غير البيئات الأخرى ، وأن هذه الخصائص تتدهور أمام الحضارة ، ولم يشغلني في البداية الحفاظ على التراث البدوي بقدر ما كنت أجمع المعلومات حول القبائل العربية وأصولها العرقية وبطونها وافخاذها وبيوتها ، وبعد أن جمعت الكثير من المعلومات الموثقة في هذا الاتجاه ، شعرت أن هذا التوجه الذي ينتمي للدراسة في علم الاجناس لن يفيد التأصيل الثقافي لشريحة من الشعب المصري ، وربما يفتح أبواب النعرات القبلية التي ألغت الثورة قانونها المسمى قانون العربان والصادر سنة ١٩٠٥ ، فضلا عما يجلبه البحث في هذا الاتجاه من خصومات متوقعة من أبناء القبائل العربية الذين لن يرضيهم أي حديث عن قبائلهم طالما لم اكتب أن كل قبيلة هي زعيمة القبائل كلها ، من هنا كان الاتجاه نحو الاطار الثقافي لهذه البيئة الممتدة على أرض واسعة من بلادنا ، وعرضت ماتوصلت إليه على الأستاذ سعد سعد الخادم رحمه الله وهو أستاذ بجامعة حلوان وله اهتمامات بالفنون الشعبية وله إسهامات عديدة ومؤلفات شهيرة في الفن الشعبي ، فنصحني بزيارة معهد الصحراء وكنت وقتها معيداً بجامعة حلوان عام ١٩٧٣ وشدد بضرورة نشر مثل هذا البحث بعد حصولي على درجة الماجستير ، وبعد حصولي على الماجستير عام ١٩٧٧ فهمت مغزى نصيحة الأستاذ ، وعرفت الكثير من خفايا كتابة البحث العلمي ، وجمعت معلومات من بنغازي في ليبيا ، ومن الرياض بالسعودية ومن مدينة الجزائر بالجزائر ، ومن الدوحة بقطر ، وظللت أجمع معلومات بلا كلل أو ملل في الشعر والامثال والغناء والنسيج

وكل مايتصل بالنشاط البشري الانثروبولوجي للصحراء ، واضع كل معلومة تقابلني سواء أكانت صغيرة أم كبيرة في ملفات حتى تجمّع لدى الكثير من هذه الملفات التي أخذت وقتا كبيرا في التصنيف والتبويب.

كان الاتجاه لتعمير الصحراء واقعاً جديداً لإصدار هذا الكتاب ولم أجد صعوبة في تقديم بحث علمي في مؤتمر بجامعة المنيا عام ١٩٩٣ حول البيئة والتعلم وهو دراسة في النسيج والحلي البدوي ، وكانت رئيسة الجلسة التي نوقش بها هذا البحث هي الأستاذة الدكتورة آمال مختار صادق نائب رئيس جامعة حلوان وأستاذة علم النفس المتميزة وزوجة أستاذنا الدكتور فؤاد أبو حطب أحد أعلام علم النفس والتربية في مصر ، فكان لرأيها وتوجيهها وزن وثقل وإذا بها تشير بضرورة نشر هذا البحث في كتاب وأنه إسهام مطلوب واثنت عليه ثناء اخجلني ، واستمر الحال على ماهو عليه تجميع مادة وحفظها في ملفات ، وجمع مراجع سواء بشرائها أو تصويرها ووضعها مع هذه الملفات ، وحملت هذه الأوراق مرتين إلى قطر مرة عام ١٩٨٥ والأخرى عام ١٩٩٥ ، وأراد الله سبحانه وتعالى وجاء الوقت وآن الأوان لهذا الجهد أن يرى النور.

ولقد تبلورت أهداف هذا الكتاب في أنه محاولة لكشف غموض ثقافة العرب من أبناء القبائل سكان الصحراء ، واظهار مدى عمقها الفكري والإبداعي ومدى صفاء ونقاء مصادر الإبداع ومناهله لدى البدوي ، بغرض تبصير كتائب غزو الصحراء بأنهم لايفتحون الفراغ اللانهائي وإنما يدخلون إلى أرض لها أصحابها وخبراؤها ، وأنه ينبغي احترام هذا التاريخ وعدم ازهاقه ، بل من الاجدر البدء به كنقطة انطلاق ومدخل للاستفادة القصوى من الصحراء دون سحق تاريخها.

هناك أسباب عديدة ظهرت في نهاية هذا القرن وأدت إلى الاتجاه نحو الصحراء ، لحل الكثير من المشكلات المعاصرة التي نتجت عن الانفجار السكاني والطوفان المعرفي وثورة الاتصالات والمعلومات وتطور التكنولوجيا مما وضع المجتمعات أمام مايسمى بالتحدي الحضاري ، فاتجهت بكل قوة نحو غزو الصحراء ، وبذلت جهودا حثيثة ومحاولات مضنية لاستصلاح واستزراع الفيافي والخفوج والسرائر ، فضلا عن محاولات التعمير وبناء المجتمعات العمرانية والقرى السياحية الجديدة ، والبحث والتنقيب في مجاهل الصحراء وتحت كثبانها

وجبالها وصخورها عن النفيس من المعادن ومواد الطاقة وعصب الثروة والاقتصاد ، كل هذا مبرر وله وجاهته ولكن اثناء الدعوة إلى غزو الصحراء أغفل البعض تنمية المجتمعات الصحراوية ولم يفكر أحد في تطوير البيئة البدوية ذاتها ، وتجاهل البعض الآخر عند اقتحام اسرار الصحراء عن خبرات أهل الصحراء أنفسهم ، هؤلاء الرجال الذين يملكون الخبرات المختزنة على مر السنين، تلك الخبرات التي روّضوا بها القفر والمتاهات ، وسخروا بها الصخر والصوان من أجل استمرار الحياة ، واليوم تهجم طلائع غزو الصحراء على مملكة الصحراء دون أدنى اكتراث بأهلها ، وهي لاتعلم أنها بحضارتها الغربية المجنونة تحطم تراثاً ثقافياً عميقاً تميز بالنقاء والإبداع وكان الاجدر أن تكون نقطة البداية في غزو الصحراء هي دراسة ثقافة أهلها بكل خبراتهم وتراثهم في مسكنهم ومأكلهم ومشربهم وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم ، والاستفادة منها لا كأشكال متحفية وإنما كأساس لحضارة جديدة تطور ماهو كائن وصولاً إلى ماينبغي أن يكون.

ومصر بصحراواتها الواسعة على جانبي واديها الخصيب تضم أعداداً كبيرة من القبائل العربية كجزء من نسيج المجتمع المصري بعضها سكن مصر منذ الفتح الإسلامي الأول ، وبعضها الآخر جاء في القرن الخامس الهجري ، حينما نزحت قبيلتي بني هلال وبني سليم من الجزيرة العربية واتجهتا نحو المغرب العربي في شمال افريقيا مرورا بمصر ، وسميت قبائل الفتح الأول (المرابطون) ، بينما سميت قبائل الهجرة الثانية (السعادي) ، وتحركت هذه القبائل في حركة دائرية بين الشرق والغرب في شمال افريقيا تارة وراء العشب والكلأ ، وتارة بفعل معاركهم الخاصة ، وتارة ثالثة من الحروب وهروباً من التدخلات العسكرية الأجنبية ، وكانت مصر وسوف تظل بإذن الله واحة العرب في صحرائهم الكبرى ، وأمنهم وأمانهم ، ولذلك قطن صحراء مصر الغربية عدد كبير من هذه القبائل من النوعين السابقين (المرابطون والسعادي) ، وأثبتوا كفاءة في حروب محمد علي وفتوحات إبراهيم باشا ، ولذلك شّرع لهم قانوناً خاصاً ، كما كان من أبنائهم عدد من الوطنيين على رأسهم (حمد باشا الباسل) عضو وفد سعد باشا زغلول ورفيق منفاه.

وكما اسلفنا فلن يدخل المؤلف في تاريخ القبائل وأنواعها واعدادها وغير ذلك من المعلومات التي لاتحقق أهداف هذا الكتاب ، بل سوف يتناول سمات

الحياة البدوية المساكن والخيام وصناعتها وصناعة النسيج والسجاد والحمول والاغطية وغيرها ، والحلي وأنواعها الذهبية والفضية ، والشعر البدوي وأنواعه وأنماط الالقاء والأداء ، والعاب الصغار وأغانيهم ، وعادات الافراح والمآتم وغيرها من التقاليد البدوية ، بعد أن يتطرق الكتاب إلى البحوث التي قدمتها الحملة الفرنسية عن قبائل العرب في كتاب (وصف مصر) وبيان ايجابيات وسلبيات افكار علماء الحملة عن طريق مناقشتها ويحاول المؤلف أن يضع بعض الصور والرسوم للدلالة على مايقدم من معلومات ، حتى يمكن أن يستفاد من هذا التراث واستخراج ما به من قيم تعليمية وتثقيفية وفنية.

وادعو الله سبحانه أن يتقبله وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى ، فهو سبحانه من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

أ.د. عبد العظيم الفرجاني
١٩٩٧

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول : قبائل العرب في مصر	١
– النظام القبلي	٤
– أنساب العرب	٥
– العرب العاربه والمستعربة	٦
– قبائل العرب في وصف مصر	١١
– المقابلات الشخصية	٢١
– مثال لصعوبة تحقيق اسماء القبائل العربية	٢٣
الفصل الثاني : فضل الإسلام على العرب	٢٧
– الإسلام والعرب	٢٧
– مقومات الشخصية العربية	٢٨
١– الفروسية	٢٨
٢– الشعر	٢٩
٣– الترحال	٣٢
– دليل من أوروبا	٣٦
– عبقرية العمارة الإسلامية	٣٨
الفصل الثالث : النزوح إلى مصر	٤٢
– نزوح بعض قبائل المغرب العربي	٤٢
– المرابطون والسعادي	٤٦
– المرابطون	٤٧
– السعادي	٥١
– قبائل السعادي	٥٢
– سعد وحرام	٥٧
– مواقف وطنية	٥٧
– الفلاحون والعرب في نجع واحد	٦٥
– مظاهر المدنية	٦٧

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : الصحراء ومقومات الحياة	٧١
– تعريف الصحراء..................................	٧١
– مقومات الحياة في الصحراء	٧٦
١- النخيل	٧٧
٢- الابل	٨٥
٣- الخيمة العربية	٩٠
الفصل الخامس : الشعر في حياة العرب	٩٤
– اللهجة البدوية..................................	٩٤
– القصائد الشعرية	٩٦
– أغاني العَلَمْ	١٠٥
– أغاني المكايرة	١١٠
– الشتاوة	١١٢
– المجرودة	١١٥
– التقدير	١١٦
– النفيز	١٢٠
– الحداء	١٢٦
– الحضرة	١٢٩
– الترجيب	١٣٢
– الالغاز الشعرية لدى البدو	١٣٨
– الشعر في العاب الصغار	١٤١
الفصل السادس : تقاليد وعادات	١٤٨
– الامثال البدوية	١٤٩
– الوشم والوسم	١٦٠
– الاسماء الشائعة في البيئة البدوية	١٦٥
– الأطعمة العربية	١٧٥

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
- التقويم العربي	١٧٨
- الافراح العربية	١٨٠
- المآتم	١٨٤
- التطير والتفاؤل	١٨٥
- الطب العربي	١٨٧
الفصل السابع : الصناعات البدوية	١٨٩
- صناعة النسيج العربي	١٩٠
- ملاحظات على النسيج البدوي	٢٠٤
- صناعة الحلي العربي	٢٠٥
الملاحــــق	٢١٣
المراجــــع	٢٢٢
تعريف بالمؤلف	٢٢٧

قائمة الاشكال والخرائط والصور

رقم الشكل	الموضـــوع	الصفحة
١	وثيقة تقرير وكيل عمدة قبيلة عربية حسب قانون العربان	٢
٢	خريطة مواطن القبائل العربية في الصعيد الأوسط	٢٠
٣	خريطة تبين دوائر النزوح والاحلال للقبائل في الجزيرة العربية	٢٧
٤	نموذج لصفحة من المصحف الشريف بخط يد أحد العرب	٣٥
٥	خريطة حركة القبائل العربية في الصحراء الكبرى شمال أفريقيا	٤٥
٦	خريطة مواطن القبائل العربية في ليبيا	٥٥
٧	مانشيتات تحقيق اخبار اليوم عام ١٩٧٥	٥٩
٨	صورة سعد زغلول مع شيوخ القبائل العربية المصرية	٦٢
٩	نموذج قيد لتسجيل أبناء القبائل العربية حسب قانون العربان	٦٦
١٠	اشكال من الصحراء	٧٤
١١	أثر النخيل في الحياة الاسلامية والعربية	٨٠
١٢	بيت الشعر أو الخيمة العربية	٩٠
١٣	مساقط بناء الخيمة العربية	٩٢
١٤	عينات من العاب أطفال العرب	١٤٤
١٥	عينات من العلامات لدى العرب من الوشم والوسم	١٦٣
١٦	عينات من الأدوات المعيشية لدى العرب	١٧٢
١٧	تابع شكل (١٧)	١٧٣
١٨	تابع شكل (١٧)	١٧٤
١٩	سيده تطحن على الرحى لتعد الكسكاس	١٧٦
٢٠	صور من الاستعداد لزفاف عروس (قديماً)	١٨٣
٢١	سيدتان تغزلان الصوف	١٩٣
٢٢	نول يدوي عربي أرضي للنسج	١٩٦
٢٣	سيدتان تنسجان الغزل	١٩٧

قائمة الاشكال والخرائط والصور

رقم الشكل	الموضـــوع	الصفحة
٢٤	الوحدات الزخرفية للنسيج العربي	١٩٨
٢٥	وحدات زخرفية من النسيج العربي مستخرجة من الأصل	١٩٩
٢٦	صورة الحمل العربي	٢٠١
٢٧	صورة فراش الدبش	٢٠٢
٢٨	كردل وسبحة من الحلي العربي	٢٠٦
٢٩	رسوم للحلي العربي	٢٠٧
٣٠	سيدة عربية تركب الكردل	٢٠٨
٣١	الاساور العربية أو الدملج	٢٠٩
٣٢	وحدات زخرفية من الحلي العربي	٢١١

الفصل الأول

قبائل العرب في مصر

" مصر " كلمة مقدسة ، ذكرت في القرآن في اكثر من موضع ، وكل من يدخل أرض مصر من الآمنين كما قال القرآن الكريم ... " وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين " فهي واحة الأمن والأمان ، وأم العرب قولاً وفعلاً ، أليست هاجر أم سيدنا إسماعيل من مصر ومارية أم إبراهيم بن سيدنا محمد من مصر ، هذا ولايمكن حصر فضل الله على العرب فهو القائل " وأن تعدوا نعمة الله لاتحصوها " ومصر فضل من أفضال الله على العرب ، فسيدنا محمد (ﷺ) يقول : (إن فتح الله عليكم مصر فخذوا من أهلها جنداً فإنهم خير أجناد الأرض) وهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل إلى عمرو بن العاص مستنجدا في عام المجاعة فيرد عمرو من مصر قائلاً : " ارسل لك إبلاً محملة أولها عندك وآخرها عندي " ، ومصر حافظت على الثقافة العربية واللغة العربية ، والازهر حافظ على المنهج الإسلامي وأهم مصادره هي القرآن والسنة وخرج الدعاة والوعاظ الذين انتشروا محملين برسالته إلى مختلف بقاع الأرض ، وكل قطر عربي كان يكابد الاستعمار كان يعتمد على مصر في تمويله بالمال والعتاد ولن ننسى أن عمر المختار لم يسقط في إيدي الايطاليين إلا بعد أن اقاموا اسلاكاً شائكة بطول الحدود بين مصر وليبيا ، ولازالت بقايا هذه الأسلاك قائمة حتى اليوم ، وحينما قطع عنه المدد من التموين والعتاد تمكنوا منه ، وهذه ثورة المليون شهيد بالجزائر ورجالها لاينسون أنهم انطلقوا من مصر بتأييدها وبالمال والعتاد والمساندة في المحافل الدولية حتى انتصر الثوار ولم تجد فرنسا بداً من الانتقام من مصر لهذا الموقف المساند لثوار الجزائر إلا أن تغزو مصر مع ماسمي بالعدوان الثلاثي على مصر وكل الثوار العرب حينما تأتي لحظة المفاوضات مع الاعداء والمستعمرين يطلبون مصر لتحضر جلسات التفاوض ، تم هذا على طول التاريخ العربي ولازال آخر هذه المواقف مع الشعب الفلسطيني الشقيق وسوف تستمر مصر قلب العروبة النابض مؤيدة بكلمات الله وأحاديث رسوله (ﷺ) ويساندها التاريخ والجغرافيا والعمق الثقافي كأول حضارة في التاريخ.

---

* المراجع كتبت في المتن حسب أرقامها المدونة في قائمة مراجع الكتاب.

كل هذا لاتقوله مصر مناً ولا أذى فقط للذكرى ، خاصة وهناك الكثير من الجاحدين والحاقدين الذين يحاولون أن يلصقوا بمصر كل تهمة ، فلكل هذه الأنفس المريضة والجاحدة والتي غرها تغيير أسلوب الحياة من الرعي إلى الصناعة والتجارة والمدنية أقول : أن مثل مصر مثل الوردة التي قلبها النيل وأوراقها حوله من المصريين والعرب وأن صحراء مصر الغربية والشرقية تموج بالقبائل العربية المصرية قلباً وقالبا ، دماً ولحماً ، قبائل قحّ مازالت على الفطرة بكل مواصفات

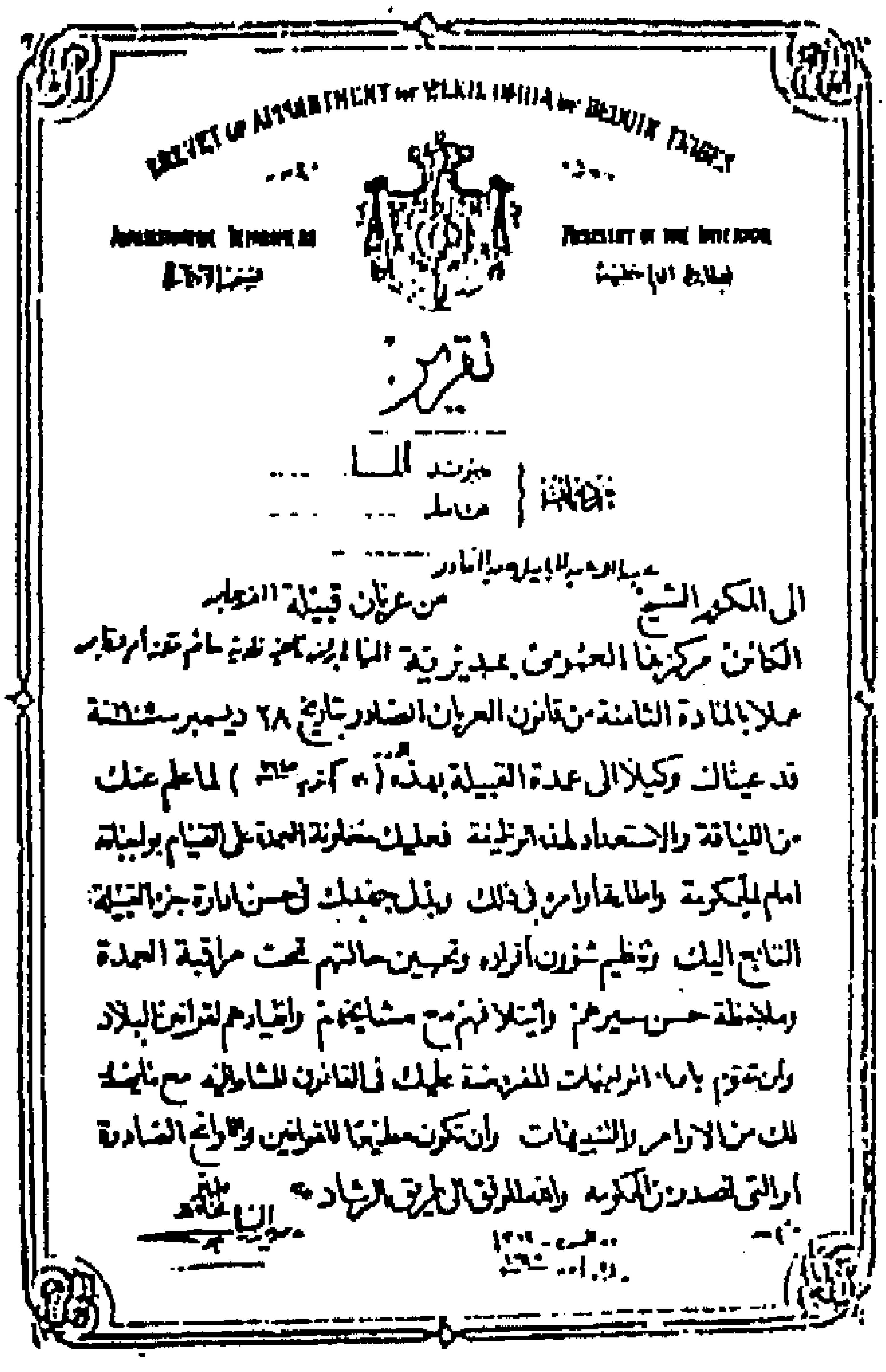

شكل(١)وثيقة تبين تقرير لوكيل عمدة قبيلة عربية
وهي للشيخ عبدا لله عبد الجليل يرجع تاريخها إلى عام ١٩٤٥
وهي جزء من تاريخ القبائل العربية في مصر.

البناء القبلي ، وهذه القبائل معظمها وفد للصحراء المصرية من الغرب من دول شمال افريقيا العربية ومن الشرق من دول غرب آسيا العربية ، فماذا فعلت مصر هل طاردت هذه القبائل العربية رغم كل التجاوزات ؟ إطلاقاً بل قننت لهم القوانين واضافت فرسانهم للجيش في كتائب إبراهيم باشا بن محمد علي في فتوحاته الافريقية ، واعترفت مصر بقوانين العرب الخاصة في المواعيد العرفية وتصفية الخلافات بين القبائل ، واعتمدت لهم العمد ووكلاء العمد والمشايخ واعطتهم مصر وضعاً متميزاً حتى عن المصريين أنفسهم ، ثم مالبثت أن تفجرت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي اتخذت أهم القرارات في تاريخ القبائل العربية في مصر فقد الغت الثورة كل القوانين الخاصة بالعرب واعتمدت أن أبناء مصر كلهم متساوون في الحقوق والواجبات ، وسقطت القبلية البغيضة واستخرجت البطاقات الشخصية التي هي بمثابة الجنسية الموحدة لكل من يعيش فوق تراب مصر الطاهر. ولذلك فإن موقف مصر وكرمها وحمايتها لهذه القبائل التي تقترب في تعدادها من ربع عدد السكان هو أحد أفضال مصر التي لن يمحها التاريخ ولن تنساها ذاكرة البشر ، وللحقيقة فإن هذه القبائل كانت ولازالت هي الدرع الواقي لشعب مصر العظيم ، وخط الدفاع الأول عن مصر ضد من يدخلها غاصباً من أي اتجاه شرقاً كان أم غرباً ، وظلت القبائل وفية لوطنها مصر مضحية بكل غال ونفيس في سبيل نصر مصر فلم يستجب أحد لدعوات مغرضة من الجيران ولم يستطع اليهود أن يخترقوا عرب سيناء وهكذا انصهرت القبائل العربية في نسيج الشعب المصري واختلطت الدماء المصرية دفاعاً عن تراب مصر الغالي.

هذا هو المدخل الذي يمثل شهادة حق لمصر الحبيبة وشهادة حق لوفاء القبائل العربية المصرية لمصريتها ولوطنها الحبيب ومن ينظر إلى جلسة من جلسات مجلس الشعب المصري يلاحظ أن الاعضاء بزيّهم الواضح الذي يرتدونه يمثلون الوطن العربي كله ، فمنهم من يلبس الفرملة والشّنة وهي من أزياء دول شمال افريقيا ومنهم من يلبس العقال والغترة وهي من أزياء دول المشرق العربي ، ومنهم من

يلبس العمة والثوب الأبيض الواسع وهي من أزياء النوبة في جنوب مصر والسودان ، هذا بخلاف الجبّة والقفطان والجلابية الفلاحي والجبّة الازهرية فضلاً عن الزّي الأوروبي ، حقاً أنها مصر أم الدنيا. وهي قبضة ذكية من تراب الوطن العربي الكبير كله.

النظام القبلي :

ورد في كتاب (كنز الانساب ومجمع الآداب) ص٢١ للأستاذ السعودي حمد الحقيل أن طبقات الانساب هي : (الشعوب ، والقبائل ، والعمائر) فالشعب أكبر من القبيلة ، والقبيلة أكبر من العمارة ، والعمارة أكبر من البطن حيث تتقسم العمائر إلى بطون وافخاذ ، والبطن أكبر من الفخذ ، وتتقسم الافخاذ إلى فصائل وعشائر ، فالفخذ أكبر من الفصيلة ، والفصيلة أكبر من العشيرة ، وجاء في قوله تبارك وتعالى : (وفصيلته التي تؤويه) ، كما جاءت الآية التي افتتحنا بها هذا الكتاب من قوله تبارك وتعالى : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند ا لله اتقاكم). كما ورد في شعر العرب :

قبيلة قبلها شعب وبعدهم ∴ عمارة ثم بطن بعده فخذ

وليس يؤوي الفتى إلاّ فصيلته ∴ ولا سداد لسهم ماله قذذ

وهذا النظام القبلي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالصحراء ، فالعلاقة قوية بين القبيلة والبيئة الصحراوية ، ربما لأن جزيرة العرب موطنهم الأصلي هي صحراء محاطة بالماء.

أنساب العرب :

يحرص العرب على معرفة انسابهم ، ويقول الرسول صلى ا لله عليه وسلم : " تعلموا من إنسابكم ماتصلون به أرحامكم " ومن جهابزة المسلمين العارفين بعلم الانساب في عصرهم أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه ، وابن عباس رضي ا لله عنهما ، وجبير بن مطعم ، وعقيل بن ابي طالب ومن بعدهم كان بن شهاب الزهري وابن سيرين وغيرهم والاهتمام بمعرفة الانساب جاء مصداقاً لقول ا لله تعالى : "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا..).

يقول محمد رجب الزائدي (٣٢) في كتابه قبائل العرب : " أن جل قبائل العرب في شمال افريقيا ينتمي إلى بطنين متسعين من بطون العرب هما سليم بن منصور بن عكرمه بن حفصة بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، والثاني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، وبالتالي فإن هلال وسليم أبناء عمومة.

ويذكر أن بنو إسماعيل من طبقة العرب المستعربة ، ويتفق المؤرخون على أن العرب المستعربة هم العدنانية ، وعدنان هو النسل الوحيد الباقي لإبراهيم الخليل عليه السلام ، فقد انقرضوا جميعاً ، إلاّ أن المسافة بين (عدنان) أبو القبائل العدنانية المستعربة وبين سيدنا إسماعيل لم يتفق عليها النسّابون ، فقد قيل أنهم اربعون أباً ، وقيل أنهم خمسة وعشرون أباً ، ومهما اختلفت الآراء في العدد فإن الاتفاق أ ن عدنان من نسل إبراهيم عليه السلام.

العرب العاربة والمستعربة :

اتفق النسابون على أن هناك نوعان من العرب هما (العرب العاربة) التي يطلقون عليها باللهجة البدوية العامية (عَرَبْ عَرِبْة) ، و (العرب المستعربة) ، باعتبار أن العرب العاربة هم العرب الأولى الذين فهمهم ا لله تبارك وتعالى اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها ، أما العرب المستعربة فهم الداخلون في العربية من العجم فاستعرب مثل (استفعل) كأن يقال (استنوق الجمل) فأصبحت صيرورته كالناقة أو صار بمعنى (الناقة) ، وقيل عن طريق بن اسحق والطبري (٢٨ : ٢٠) أن العرب العاربة هم : " عاد وثمود وأن العرب المستعربة هم بنو قحطان ، كما قيل عن طريق صاحب حماه أن بني قحطان هم العرب العاربة ، وان بني إسماعيل عليه السلام هم العرب المستعربة ، ومعنى ذلك أن هناك خلاف ، إلا أنني أرى أن تاريخ العرب حافل بالعروق التي دخلت إلى العرب وتكلمت بلسانهم وأن هذا الحال مستمر حتى اليوم ، ومعنى ذلك أن الخلاف بين العرب العاربة والمستعربة ليس قضية منتهية وإنما مستمرة ومازالت القبائل العربية في مصر لاتزوج بناتها لغير العرب حرصاً منهم على نقاء الدم العربي ، وقد نصح النبي صلى ا لله عليه وسلم بالزواج من الحرائر ، وفي حديث آخر : (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) ، وعلى هذا النحو ترى القبائل العربية أن العربي هو العربي من الأم والأب ، وأن المستعرب هو الذي اختلفت دماء تكوينه.

يقول الجغرافي المصري الدكتور عبد العزيز طريّح في الفصل التاسع من كتابه الشهير (جغرافية ليبيا) (١١) : أن العرب الاصليين هم الذين يمثلون القبائل العربية التي انحدرت من جنود العرب الذين قدموا في حملة عمرو بن العاص في القرن السابع الميلادي وأيضاً القبائل التي انحدرت عن قبائل بني هلال وبني سليم الذين قدموا في حملة الهلالية في القرن الحادي عشر الميلادي ، أما المستعربون فهم من نسل البربر الذين تم تعريبهم تماماً ولم يعد فصلهم ممكناً وهم السكان الأصليين لمنطقة شمال افريقيا ، ويضيف طريّح أن هناك بربراً مازالوا

يحتفظون بثقافاتهم الخاصة ولم يندمجوا تماماً في العرب رغم عروبتهم باللسان ، ولذلك لاتلاحظ الاختلاف بينهم وبين العرب فهم يتكلمون العربية ، وملامحهم الجسمية قريبة من العرب لأن الأصل سلالة البحر المتوسط من الجنس القوقازي الذي خرجت منه الحامية أهل البربر والسامية أهل العرب ومن هنا قسم (طريّح) العرب في ليبيا إلى ستة اصناف هم (العرب الاصليون ، البربر العرب ، جماعات المرابطون ، الزنوج ، القولوغلي ، اليهود) ، وهنا نلاحظ الخلط والتناقض الذي يظهر في قول المؤلف: أن العرب الاصليون هم الذين انحدروا عن جنود الفتح الاسلامي وقبائل هلال وسليم ثم يعود ويفرق بين العرب الاصليين وبين جماعات المرابطين ، فهو بذلك وضع المرابطون تارة من العرب وتارة بعد البربر العرب هذا في الوقت الذي يقرر فيه في ص٤٠٢ من نفس المرجع أن " المرابطون فكرة دينية خاصة ، وهم يكونون ولاية كبيرة في طرابلس وينتمون للنسل الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم " فكيف يكون المرابطون من النسل الشريف وكيف يكونون في نفس الوقت عرب غير اصليين ، ولانريد المغالاة والتحدث عن النسل الشريف وإنما فقط نستريح إلى أن المرابطين هم الذين ينتمون إلى الفتح الاسلامي الأول سنة ٢٠ هـ من سلالة جنود عمرو بن العاص ، وحملاته إلى المغرب العربي بقيادة موسى بن نصير ويؤيد هذا ماجاء في كتاب تاريخ سيناء لنعوم شقير ص ٧٢٥.

في كتابه (القبائل العربية في مصر) ١٩٦٤ (٢٤ : ٢٧) يقول الأستاذ عبدا لله خورشيد البري : أن القبيلة نظام اجتماعي له أسسه وقوانينه وتقاليده واعرافه ، وشخصية هذا النظام تختلف عن غيره من النظم الاجتماعية كالطائفة أو الطبقة أو الأمة ، فالقبيلة هي ضروب السلوك التي اصطنعتها وتعارفت عليها في المجالات الحيوية المختلفة بغية المحافظة على بقائها ، ويضيف المؤلف أنه احصائياً فإن قريش هي أكثر القبائل العدنانية عدداً في مصر ، كما أن قبائل عريب أكثر القبائل القحطانية في مصر ، وهكذا نلاحظ عراقة عروبة مصر وهي في غير حاجة إلى دليل.

أما نعوم شقير في كتابه القيم (تاريخ سيناء) ١٩١٦ (٢٢ : ٧٤) فيرى أن جميع قبائل العرب تنتسب أما إلى قحطان وإما إلى عدنان ومن لايتصل نسبهم إلى هذين الاصلين يطلق عليهم أسم هتيم أي (هرتكيك) ، ويضيف أن التعداد الرسمي لسكان مصر عام ١٩٠٧ بلغ ٢٨٧,٣٥٩ و١١ نسمة ، منهم ٦٣٥,٠٠٠ من القبائل العربية ، وينقل لنا شقير مشكوراً النشرة الرسمية للقبائل العربية في مصر (من صفحة ٧٢٣ إلى ٧٢٦) وتوزيع القبائل في محافظات مصر باسم كل قبيلة ، ونعرضها بنصها نقلاً عن شقير فيما يلي :

"كلهم مسلمون وينتسبون إلى عرب الحجاز وهم لايزالون يتمتعون بامتيازات جمة أهمها اعفاؤهم من القرعة العسكرية ومحاكمتهم بموجب قانون خاص ينطبق على عرفهم وعاداتهم . وهذه هي قبائل البدو في القطر المصري كما في نشرة قانون العربان الرسمية المؤرخة ٧ يناير سنة ١٩٠٦ :

في مديرية القليوبية	:	العُلَيقات. الحويطات (وعمدتهم سعد بك شديد) العيايدة بحري. جهينة. الصُهب. بلي بحري. الصوالحة.
في مديرية الشرقية	:	الهنادي. الطُميلات. العبابدة بحري. مُطَير. النفيعات. (وعمدتهم منصور بك نصر ا لله). السعديين (وعمدتهم محمد بك شلبي) السماعنة. أولاد موسى (وعمدتهم أمين بك بدران). البياضين. أولاد سليمان. عبس. العقايلة. الأخارسة. بني غازي. القطاوية. العتبيين. جهينة الشرقية. أولاد علي الشرقية.
في مديرية المنوفية	:	القدادفة.
في مديرية الغربية	:	بنوعون. البهَجة. الضُعفا البحرية. الفواخر. الهداهيد.

في مديرية البحيرة	:	أولاد علي (وفروعها. أولاد علي الأحمر. أولاد خروف. السننا. السناقرة وعمدتهم عمر بن خيرا لله بك الدّجن). الجميعات. سمّالوس. الدُّمينات.. الجوابيص. التّمايم. هوّاره. الربايع. لَزْد.
في مديرية الجيزة	:	النجَمة. الترابين. النعام. العيايدة قبلي.
في بني سويَف	:	المشارقة. خويلد. السعادنة. فزارة. الضُّعفا.
في مديرية الفيوم	:	الحرابي (وعمدتهم عبد الستار بك الباسل). الصبحيات. سمّالوس. فرجان الفيوم. الرماح. البراعصة. الحوتَه.
في مديرية المنيا	:	الفوايد (وعمدتهم لملوم بك السعدي). المعازة. الفرجان. الجوازي البيض. الجوازي الحمر. الجلالات.
في مديرية أسيوط	:	مطير. الجهَمة. السعادنة التابعة للجهمة. العطيّات. العطيات قبلي. العطيات التابعة للجهمة. طرهونة (وعمدتهم مهنى بك سيف النصر). انداره التابعة لطرهونة. الطرشان واجلاص التابعة لطرهونة. العمايم. الشنابلة. الكلّبيات. الأطاولة.
في مديرية جرجا	:	بلي. بنو واصل. الرشايدة. الحروبة. الصبحة.
في مديرية قنا	:	الكلاحين. العوازم. العزايزه. الهدلا و. جهينة قبلي.
في مديرية أسوان	:	العليقات. العبابدة وفروعها: العشّاباب. الفقرا والمليكاب. العبودين والشناتير.

(قبائل الصحراء الغربية) وأما قبائل الصحراء الغربية فقد حدثني بها الشيخ موسى صالح شيخ زاوية مربوط وغيره من الخبيرين بهم قالوا:

يسكن صحراء ليبيا أو الغربية من النيل إلى جالو والكفرة فريقان من البدو: (المرابطون والسعادي). والمرابطون أقدم من السعادي ويعرفون أيضاً بالصدقان أو الأصدقاء وأهمّ قبائلهم: زُوَي. المجابرة. الأواجلة. المنفة. الموالك. الشواعر. الجرارة. القطعان. الحوته. التراكي. مسراته. الشهيبات. الفواخر. ترهونة. العوامة. الصوانعة. السلاطنة. سعُيَط. القدادفة.

والسعادي فريقان: فريق يسكن الصحراء من حدود النيل إلى بني غازي قيل أن هؤلاء نسل أولاد سعدي. وفريق يسكن الصحراء من بني غازي إلى حدود جالو.

أما أولاد السعدي فهم ثلاثة: عقار. وجبريل. وبرغوث وكل منهم رئيس قبائل وافخاذ شتى.

١- فمن ذرية عقار: أولاد علي. الحرابي. الهنادي. بني عونه.

ومن فروع أولاد علي: علي الأحمر ومنهم القنيشات والعشيبات والكميلات. وعلي الأبيض ومنهم السناقرة وأولاد خروف والسننا. ومن السننا عروة ومُحَيفظة. ومن فروع الحرابي: البراعصة. والحاسة. والدُّرَسة. والعبيدات.

٢- ومن ذرية جبريل: العواقير. والعرّيبات. والمغاربة. والجوازي.

٣- ومن ذرية برغوث: العَبيد. والعَرَفة. والفوايد.

ومن السعادي الذين لاينتمون لأولاد سعدي ويسكنون الصحراء الغربية من بني غازي إلى جالو والكفرة: الفرجان. الحُسون. أولاد أبو سيف. ورْفَلاّ. المحاميد. المقارحة. أولاد سليمان. الرماح.

ومن ذلك ترى أن بعض قبائل السعادي والمرابطين كأولاد علي والمنفة وغيرهم قد انقسموا قسمين فقسم سكن القطر المصري والقسم الآخر بلاد برقة وطرابلس الغرب ".

حتى هنا انتهى كلام الأستاذ شقير ، ومن الواضح أن الجزء الأخير الذي اعتمد فيه الأستاذ شقير على الشيخ موسى وغيره من الخبراء يحتاج لمراجعة ، ففيه الكثير من الخلط ومع ذلك فإن جهد الأستاذ شقير وإسهامه لاينكر ، وسنعرض جهود علماء الحملة الفرنسية في مسألة القبائل العربية المصرية حتى يكون امامنا أكثر من مصدر ثم نعلق على المتناقضات وصولاً للحقيقة.

قبائل العرب في وصف مصر :

من أهم ما كتب عن القبائل العربية المصرية ماقدمته الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر على يد علمائها وباحثيها الذين رافقوا الحملة ووضعوا أساس هذا العمل الكبير الذي خصص أحد مجلداته بالكامل (المجلد الثاني) عن القبائل العربية تحت عنوان : (العرب في ريف مصر وصحراواتها) (١٦) وقد تبارى فيه أبرز الباحثين مثل : (جراتيان لوبير ، اندريوسي ، ج. مونج ، ج. كوتل ، ب.م. مارتان ، أ.جومار ، دي بوا - ايميه) فقدم كل منهم بحثاً مستقلاً من الواقع الميداني ، وقد ترجمه زهير الشايب ، وجاءت به قوائم كاملة باسماء القبائل العربية في مصر ، ووردت به أفكاراً هامة في طريق توثيق وتأصيل شريحة من أهم شرائح النسيج المصري وهم القبائل المصرية في صحراوات مصر ، كما ورد أيضاً به الكثير من المتناقضات التي ينبغي مناقشتها ، ومهما كان فإن أهم مايضيفه هذا الكتاب هو أن الحملة الفرنسية لم تغفل في وصفها لمصر هذا القطاع من الشعب المصري وهذا دليل لايحتاج لبرهان على تأثير هذه القبائل وإيجابيتها.

وبالرغم من المغالطات التي يعترف بها المترجم في مقدمته حينما قال : "..أقر بالمصاعب التي واجهتني في تحقيق اسماء القبائل بسبب الأخطاء الإملائية وأخطاء النطق.." فإن قوائم القبائل العربية التي تقطن محافظتي الفيوم وبني سويف كما جاءت في دراسة ب.م. مارتان ص١٣٥ - ١٩١ من كتاب وصف مصر جاءت مفصلة ولم تغفل لا أسماء القبائل ولا أسماء الشيوخ ولا أسماء المناطق والقرى ، وأيضاً لم تغفل المتاع من الماشية والكراع وهي كما يلي :

قائمة بالقبائل العربية التي تقطن ولاية الفيوم عام ١٨٠٠م

اسماء القبائل		اسماء شيوخ القبائل	القرى والمناطق التي يقيمون بها	عدد الرجال		عدد الماشية	
الاسم العام	الاسماء الخاصة (الفروع)			خيالة	مشاة	جمال	خراف
السمالو	كوم الوزازي	كرامني	شرق التوتون	٧٠	١٠٠	١٦٥	١٠٠٠
(أبـــو	المناسي	سالم جورية	أبو جندير	٤٠	٧٠	١٦٥	١٠٠٠
صالح هو	المعربين	حسوت ،الحـاج	سنورس	٦٠	١٠٠	١٤٠	١٠٠٠
الشـيخ	الروملة	محمد محمد عبد	دفنو	٣٠	٧٠	٥٥	٤٠٠
الأكـبر	كـامل	الله رحيم	التوتون	٧٠	١٥٠	١٥٠	١٠٠٠
للقبيلة)	الحمودات						
	حواطة	تقي الدين حسين	هيلة				
		سليمان سيده	العدوة	١٢٠	٢٠٠	٢٢٠	١٥٠٠
		داود	المعصرة				
		نصر يوسف	المصلوب				
	الفرجان	سيد ديله	سرسنا				
		جندودة	جبلة				
		ابو القاسم	مطر طارس	١٠٠	٢٠٠	١٧٠	١٠٠٠
		جبلي عبد الله	باهي - آمون				
		أبو زيد عبد الله	ترسا				
		مبارك	الزاوني				
		....	الروضة	١٥	٢٠	٢٠	١٥٠
			المجموع	٥٠٥	٩١٠	١٠٨٥	٧٠٥٠

قائمة بالقبائل العربية التي تقطن ولاية بني سويف عام ١٨٠٠م

أسماء القبائل		أسماء شيوخ القبائل	القرى والمناطق التي يقيمون بها	عدد الرجال		عدد الماشية	
الاسم العام	الاسم الخاص			فرسان	مشاة	جمال	خراف
الضعفا	أولاد حميدة	عبد الأمير سالم أبو ديار	أبو صين العواونة	١٠٠	٢٠	٥٠٠	١,٠٠٠
	الوطنات	متيرد محمد جريب بليدي	تمن العروس إفوة ميدوم	١٠٠	٣٠	٦٠٠	١,٥٠٠
	نولات سعيد	موسى عيسى عباس عمر الحباني	الحمام	٦٢	١٥	١٠٠	٣٠٠
	السيدرات	أبو بكر	الحافر	١٨	١٥	٦٠	١٥٠
	القاضي	يوسف أبو ذيل عبد معيط	الميمون	٤٢	٠٠٠	٦٠	١٥٠
	نولات يزيد	ابراهيم زعيطة لطفي	صفط ميدوم	١٣٠	٣٠	٤٠٠	٨٠٠
			المجموع	٤٥٢	١١٠	١٧٢٠	٣,٩٠٠

(تابع) قائمة بالقبائل العربية التي تقطن ولاية بني سويف عام ١٨٠٠م

أسماء القبائل		أسماء شيوخ القبائل	القرى والمناطق التي يقيمون بها	عدد الرجال		عدد الماشية	
الاسم العام	الاسم الخاص			فرسان	مشاة	جمال	خراف
المسارجة	المسارجة	أحمد أبو دياب محمود جيومع حسن أخميط	زاوية الوالي أبو شربان الشويك	٨٠	٢٠٠	٥٠	٢٠
المحاريث	فرجان	أحمد حمرة	-	٣٠	٤٠	٢	١٠٠
	أولاد حينة	سفع عمر	طورفة	٦٠	١٠٠	١٠٠	١,٥٠٠
	الحمور	محمد	شوشة	٢٠	٦٠	٣٠	٥٠٠
	الحزاي	زيد	العزبة	١٠٠	٣٠	٢٠٠	٢,٥٠٠
	أولاد جيادر	أزبصة	-	٣	٢٥	٣٠	٨٠
	زعونة	عبد الله	جوادة	٣٠	٢٠	٥	٦٠
	الحمايدة	إبراهيم يوسف حسن تركي	دافوف	٢٥	٨٠	٤٠	٢٠٠
	المرج	منصور أحمد سليمان خضري	كوم والي	٣٠	٦٠	٣٠	١٠٠
	الأسمار	عمر شاكر عبد الله حسن	مرزوق	١٥	٣٠	٢٠	١٥٠
	الدهامسة	ابن حسن أبو موسى سليمان أبو سيجر	برماشة صفانية	٣٠	٦٠	٤٠	٦٠٠
	الحمود تيناط	حسن الحاج بركة	كوم السعل الشيخ مسعود	٢٠	٥٠	٣٠	١٠٠
			المجموع	٤٢٠	٦٥٥	٦٢٥	٦٤١٠

(تابع) قائمة بالقبائل العربية التي تقطن ولاية بني سويف عام ١٨٠٠م

أسماء القبائل		أسماء شيوخ القبائل	القرى والمناطق التي يقيمون بها	عدد الرجال		عدد الماشية	
الاسم العام	الاسم الخاص			فرسان	مشاة	جمال	خراف
السعدني	السعدني	يوسف حماط عواد عبد القادر عبد الله صروف عبد الرحمن بعلي الندرك رايد حسن علي الصويلي علي رستن أحمد منصور وسط جيومع	دنديل البرج الدوالطة دلاص السيسي بني عدي أبو صر منفط قمن العروس كوم إدريجة باها الميمون	١٠٢	٠٠٠	٨٧	٤٠٠
	الفرايات	جيرة	منهرا	٥٠	١٥	٥٠	٣٠٠
	كسادورة	يوسف أبو صوين	اهناسيا المدينة	٦٠	١٠	٢٠٠	٥٠٠
	يانين	عبد ربه	الزرابي	١٧	٨	٤٠	١٠٠
	المحاليف	إسماعيل جياصي محمد ماعوني	منهر منشية الحاج	٣٥	٥	٤٠	١٠٠
الكولي	كممسى	محمد عبد المجيد كسوم عمر	ميانة	١٢٠	٤٠	٢٠٠	٥٠٠
		محمد صقيرة موكر	ننسا الدويك	٨٨	١٨	١٨٨	٨٨٨
	العلم	يربط علي إبراهيم عيد مختار	مزورة	٤٠	-	١٠٠	٥٠٠
	السنانجة	-	صفط رامشين	٣٥	-	٦٠	٢٠٠
	أبويه	سليمان أبو ناي	سمسطا	٣٠	-	٦	١٠٠
			المجموع	٤٤٧	٩٠	٨٥٠	٢٧٠٠

أما اميديه جوبير ١٨٠٠ (١٦ : ٣٧٥ - ٣٩٩) في كتاب وصف مصر فقد اهتم بقبائل سيناء ، وذكر قبائل مصر العليا والوسطى والسفلى بمجرد ذكر اسم القبيلة دون تفاصيل ، ولذلك نجده يقول : " على الرغم من أنه لا يدخل في موضوعنا أن نعرف القارىء بالقبائل العربية التي تعسكر في مصر العليا والوسطى والسفلى، وكذلك بتلك القبائل التي تتجول في ضواحي الاسكندرية، وعلى الرغم من أن المعلومات التي تزودنا بها بهذا الخصوص ليست بالغة الاتساع وليست كذلك دقيقة للحد الذي كنا نتمناه ، ومع هذا ، فحيث أنه كانت لهؤلاء العربان علاقات عديدة مع الفرنسيين ، وحيث أنه قد ورد ذكرهم كثيراً في الدراسات التي عالجت الحالة الحديثة لمصر ، فإننا نعتقد أن من المفيد للقارىء أن نقدم اليه هنا أسماء القبائل الرئيسية " وقدم قوائمه كما يلي :

قوائم جوبير للقبائل العربية في مصر عام ١٨٠٠م

اسم القبيلة	أماكن إقامتها	العدد المفترض	ملاحظات
عرب الهوارة	بين أسوان وجرجا	٢٠٠٠ فارس على الأقل	يتم اختيار شيخ هذه القبيلة بالانتخاب وهو يقيم في فرشوط.
عرب العبابدة واللبابدة	ولاية جرجا	كثيرو العدد	"
عرب زناتي	طهطا	٤٠٠ فارس	"
عرب هنادي أو الهنادوة	ولاية جرجا	كثيرو العدد	"
عرب العطايات	منفلوط	قليلو العدد	"
عرب ابن وافي والطحيوي	إلى الشمال من منفلوط	شرحه	كان شيخهم يسمى الشيخ عبد الله ابن محمود.

اسم القبيلة	أماكن إقامتها	العدد المفترض	ملاحظات
عرب أبو كرايم: ومنهم	ملوي	شرحه	كان شيخهم يسمى الشيخ عبد الله ابن علي.
عرب الجهمة	نواحي بحر يوسف حتى المنيا.	شرحه	"
عرب التراهونة	تلة	شرحه	"
عرب الخوين	ضواحي سمالوط	شرحه	"
عرب الفوايد	ولاية بني سويف	٣٠٠ فارس	"
عرب العدايد	شرحه	العدد مجهول	"
عرب السحارات	شرحه	شرحه	"
عرب الحاز	شرحه	شرحه	"
عرب محارب	ولاية المنيا	شرحه	"
عرب بني واصل ومنهم:	ولاية المنيا	شرحه	"
عرب السمالو			
عرب الفرجان	ولاية المنيا	شرحه	"
عرب الترافع	ولاية المنيا	شرحه	"
عرب العزايزي	ولاية المنيا	العدد مجهول	"
عرب بني وائل	ضواحي المنيا	شرحه	كان شيخها في عام ١٧٩٩ يسمى أبو بكر.
عرب بني حرام	ضواحي الأطفيحية	٤٠٠ فارس	"
عرب الضعفا	ضواحي شمال بني سويف	٢٠٠ فارس	على الرغم من قلة عدد هذه القبيلة فهم مرهوبون تماما في البهنسا.
عرب الخويلد	ولاية البهنسا	٤٠٠ فارس	"
عرب نجما	نفس الأماكن	٢٠٠ فارس	"
عرب غزالة أو خبيري	ضواحي الجيزة والمناطق القاحلة بجوار الأهرام	العدد مجهول	كان شيخهم في سنة ١٧٩٩ يسمى أحمد.

اسم القبيلة	أماكن إقامتها	العدد المفترض	ملاحظات
عرب الزيدية	مكان يسمى أوسيم بالقرب من الجيزة.	٣٠٠ فارس	يقال أنهم من نسل المماليك الذين طردهم السلطان سليم من مصر عام ١٥١٧.
عرب الجويلي	ولاية البحيرة	٥٠٠، ٦٠٠فارس	"
عرب ابن بغداد	ولاية المنوفية	٤٠٠، ٥٠٠فارس	"

ضواحي الاسكندرية وبحيرات النطرون

اسم القبيلة	أماكن إقامتها	العدد المفترض	ملاحظات
عرب الجوابي	نواحي بحيرات النطرون	٦٠٠ فارس	يبدو أن عرب الجوابي من أصل أفريقي، وهم يقومون بنقل ملح النطرون من البحيرات حتى الاسكندرية والطرانة وبنقل البضائع الخاصة بواحة آمون (سيوه).
عرب السمالو	نفس الأماكن	٢٠٠ فارس	"
عرب مسينيد	المكان المسمى الميمون	٥٠٠ فارس	"
عرب أولاد علي أو بني علي.	ضواحي الجنوب الغربي من الاسكندرية.	١٠٠٠ إلى ١٢٠٠ فارس	هذه القبيلةقوية بنفسها وبحلفائها ويسكن شيخها قرية تسمى القتلية بناها أجداده إلى جوار الدير المحرق.
عرب مطيرد	وادي الميمون على مسيرة يومين إلى الغرب من الاسكندرية.	١٠٠٠ إلى ١٢٠٠ فارس	"

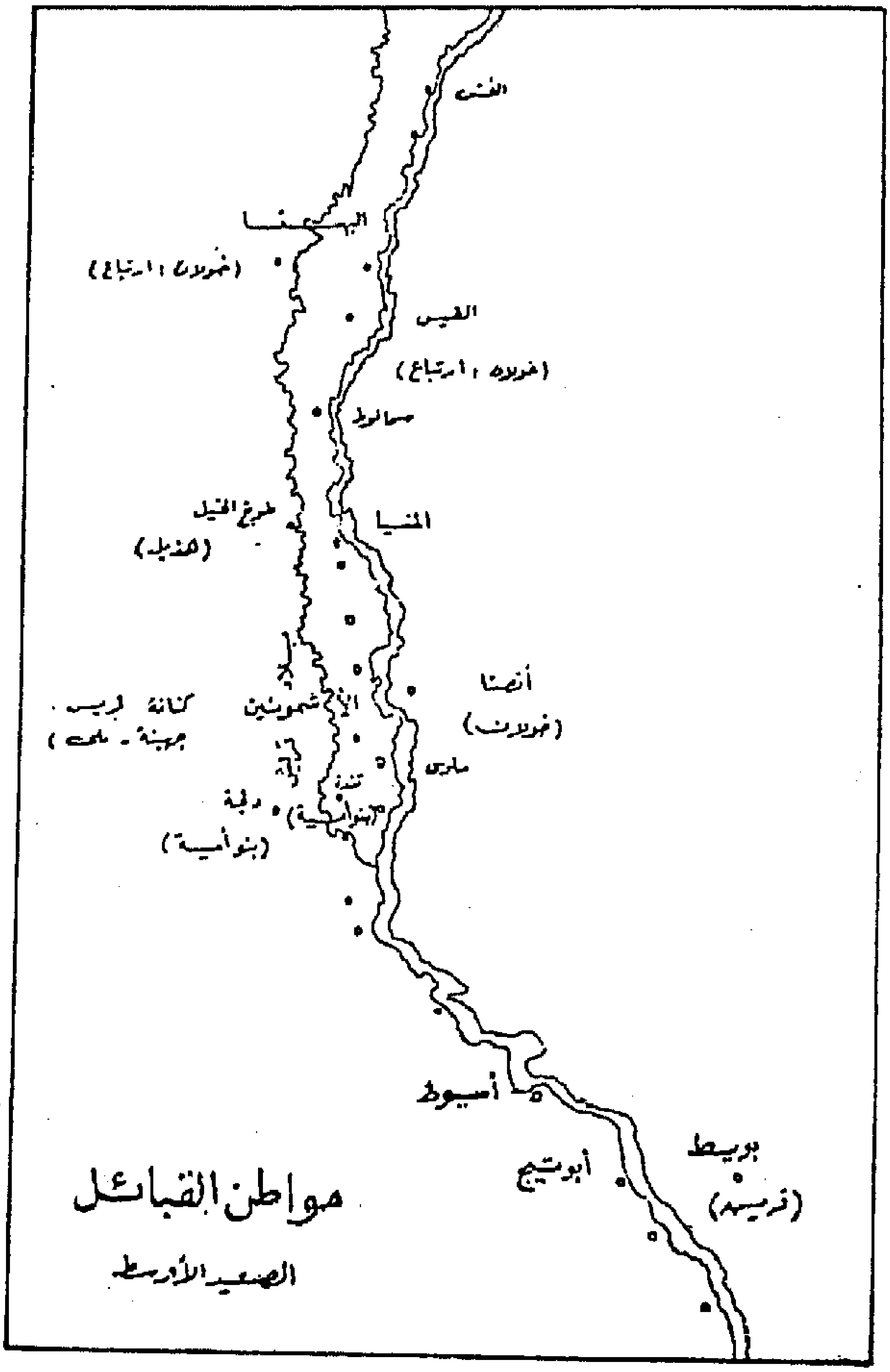

شكل (٢) خريطة قديمة مأخوذة عن (عبد الله البرّي) (٢٤) لمواطن القبائل في الصعيد الأوسط

المقابلات الشخصية :

وقد قام المؤلف عن طريق اتصاله الشخصي برجال من القبائل العربية في الصحراء الغربية الممتدة إلى ليبيا ونجوع الصحراء الغربية في مصر الوسطى من البهنسا بمركز بني مزار محافظة المنيا حتى تونه الجبل بمركز ملوى محافظة المنيا وبمقابلات لشخصيات مختلفة من رجال القبائل العربية ، وعن طريق هذه المقابلات الشخصية قام المؤلف بتجميع أسماء القبائل الشهيرة في مصر خاصة الصحراء الغربية فقد جاءت أسماء عديدة ، أقدمها بترتيب الحروف الابجدية في القائمة التالية :

م	أسماء القبائل أبجدياً	م	أسماء القبائل أبجدياً
١	أولاد علي (قبيلة أولاد علي)	١٣	سعيط (قبيلة اسعيط)
٢	براعصة (قبيلة البراعصة)	١٤	سمالوس (قبيلة السمالوس)
٣	ترهونة (قبيلة ترهونة)	١٥	عبيدات (قبيلة العبيدات)
٤	جوازي (قبيلة الجوازي)	١٦	عرفة (قبيلة العرفة)
٥	جبالية (قبيلة الجبالية)	١٧	عمايم (قبيلة العمايم)
٦	جملا (قبيلة الجملا)	١٨	عواقير (قبيلة العواقير)
٧	جهمه (قبيلة الجهمة)	١٩	فرجان (قبيلة الفرجان)
٨	جميعات (قبيلة الجميعات)	٢٠	فواخر (قبيلة الفواخر)
٩	حسون (قبيلة الحسون)	٢١	فوايد (قبيلة الفوايد)
١٠	حضيرات (قبيلة الحضيرات)	٢٢	مشيط (قبيلة امشيط)
١١	درسة (قبيلة الدرسة)	٢٣	منفه (قبيلة المنفة)
١٢	زوى (قبيلة الزوى)	٢٤	هماملة (قبيلة الهماملة)

وبالنظر للجدول السابق الذي توصل إليه المؤلف من المقابلات الشخصية يمكن الخروج بالملاحظات التالية :

١- أن هذه القبائل هي التي تقطن منطقة خط مربوط من السلوم حتى الاسكندرية ، ثم تتجه جنوباً على اطراف الصحراء مروراً بمحافظات البحيرة والفيوم وبني سويف والمنيا وأسيوط وسوهاج وحتى محافظة أسوان أي أنها تمثل شكل الرقم (٦) على خريطة مصر.

٢- أن هذه القبائل ليست هي جميع القبائل بل من المؤكد أن هناك أسماء لم ترد على سبيل المثال (القذاذفة والقرايشة والقطعان) وغيرها من القبائل التي وردت في قوائم أخرى ، ولم يرد المؤلف أن يكتب من عنده إنما صنف فقط ماتلفظ به أبناء القبائل العربية الذين تقابل معهم.

٣- أن بعض هذه القبائل ليست قبائل قائمة بذاتها بل هي بطون من قبائل أخرى.

٤- أن هناك صعوبة كبيرة في محاولة حصر القبائل العربية ومسمياتها نظراً لأن المعلومات في هذا الشأن لدى أبناء القبائل العربية ناقصة في بعض الاحيان، ومتضاربة في أحيان أخرى ، ومتحيزة في أغلب الاحيان ، وبما أننا أمام بحث علمي جاد لامجال فيه للمجاملة فإن هذا الجانب يحتاج للمزيد من البحث والدراسة لتأصيل هذه المسميات وبيان مراكز تجمعها وتوزيع ثقلها العددي والاقتصادي على خريطة مصر ، ولذلك فإنني أكرر الاعتراف بالمصاعب التي تواجه من يحقق ويبحث في مجال القبائل العربية ذلك الاعتراف الذي اوردناه من قبل على لسان مترجم كتاب (وصف مصر) فهي بالفعل مهمة شاقة ومحفوفة بالمشكلات.

• مثال لصعوبة تحقيق اسماء القبائل العربية :

وحتى نقدم الدليل القاطع على صعوبة الوصول إلى حقيقة لاتقبل الشك في أصل مسميات القبائل ، فاعرض ما قدمه (معجم قبائل العرب تأليف عمر رضا كحالة) حيث بحثت تحت اسم (فرج) حتى اعرف شيئاً عن قبيلة الفرجان فوجدت مايلي في ص٩١٢ :

الفَرَج : بطن من البكير ، من العقيدات بدير الزور إحدى محافظات الجمهورية السورية. (عشائر السام لوصفي زكريا ج٢ ص٢٢٥).

فرج : فرع يعرف ببو فرج ، من عشيرة الشورتان الملحقة بزوبع ، من شمر الطائية. (عشائر العراق للعزاوي ص١٩٧).

فرج : بطن من آل فضل ، من عرب الشام. كانت منازلهم مع قومهم آل فضل في بلاد الشام. (نهاية الارب للقلقشندي مخطوط ق ٥١-١).

الفرج : فرع من لهيب إحدى قبائل محافظة حلب.
(Les tribus nomades et seminomades des etats du Levant P. 89).

فرج : بطن من قبيلة النعيم التي تتألف منها عشيرة السكن في جنوبي قضاء سمعان. (عشائر الشام لوصفي زكريا ج٢ ص١٩٠).

فرج بن مظفر : بطن يعرف بأولاد فرج من خراش بن حُصَيْن بن زُغْبة ، من هلال ابن عامر ، وكانت رياستهم في بني خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج. (تاريخ ابن خلدون ج٦ ص٤٣).

الفرجات : فرقة من عشيرة بني عطا من اللياثنة بوادي موسى. (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها لبيك ص ٣٦٥ ، خمسة أعوام في شرقي الأردن لبولس سلمان ٢٦٥).

الفرجان : بطن من العطيات من السوُيْلميين ، من العطيات ، من بني عطية إحدى قبائل بادية شرقي الأردن. (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص٢٢٣).

الفرجة : بطن من الروالة ، من الجلاس ، من مُسْلِم ، من عنَزَة ينقسم إلى الأفخاذ الآتية : الخضعان ، الفلتة ، آل مشيط ، السمران ، آل سباح ، آل رماح ، والهطلان (١). (عشائر العراق للعزاوي ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، عشائر الشام لوصفي زكريا ج٢ ، ص٣٠).

الفرجيون : فرقة من الجميعات ، من العقيلات ، من بني عطية ، إحدى قبائل بادية شرقي الأردن. (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها لبيك ص ٢٢٥).

حتى هنا انتهى الجزء المأخوذ عن المعجم وهكذا يتضح من المعجم الذي يستند إلى مراجع عديدة وموثقة مدى صعوبة الوصول إلى شيء يقيني بل أن المعجم أدخلني في متاهة جديدة من الأسماء ، فرجعت إلى حمد الجاسر علامة الجزيرة العربية في كتابه (معجم جزيرة العرب) فوجدت في ص٥٣٥ بالنص مايلي :

العُطَيَّات : من بني عَطِيَة واحدهم عطوي. ومنهم :

١- السليمات. ٢- السويلميين.
٣- العليّين. ٤- الجمعاني.
٥- السبوت. ٦- الخضرة.
٧- المصابحة. ٨- الرماضين.

٩- السعيدانية. ١٠- الفرجان.
١١-الحمران. ١٢- الرويعات.

انتهى كلام حمد الجاسر بعد أن أدخلني في متاهة أخرى ، إذ وضع الفرجان تحت قبائل العطيات ، فهل هذا يفسر القول الشائع لدى كبار قبيلة الفرجان : (ياولاد عطوة فزعة بلا بطوة) ربما. المهم أن هذا دليل قاطع على صعوبة البحث في أصل أسماء القبائل العربية في مصر ، الذي يحتاج لدراسة مستقلة غير هذا الكتاب الذي يهدف إلى توثيق تراث أوشك على الفناء ، لذلك استميح القارىء عذراً أنني لم أتوسع في الحديث في هذا الاتجاه الذي يفضل أبناء القبائل القراءة حوله ، واكتفى بأنني عرضت في هذا الكتاب معظم المؤلفات والمعاجم العربية الكبرى التي تدور حول تأصيل أسماء القبائل العربية لمن أراد أن يستزيد.

الفصل الثاني

فضل الاسلام على العرب

الاسلام والعرب :

كأن العرب في جزيرتهم العربية كانوا يستعدون بكل جدية لحدث هام ، فهم يعيشون على أرض وعرة مليئة بالصخور والجبال والرمال المتحركة ، أرض ماؤها قليل وزرعها نادر ومناخها قاس ، وهي على اتساعها تمثل شبه جزيرة تحيطها المياه من كل جانب ، ولاتترك لهم إلا الجانب الشمالي وكأنها فوهة قدر يغلي بما فيه ، أو فوهة بركان على وشك الانفجار ، ومن العجب العجاب أن

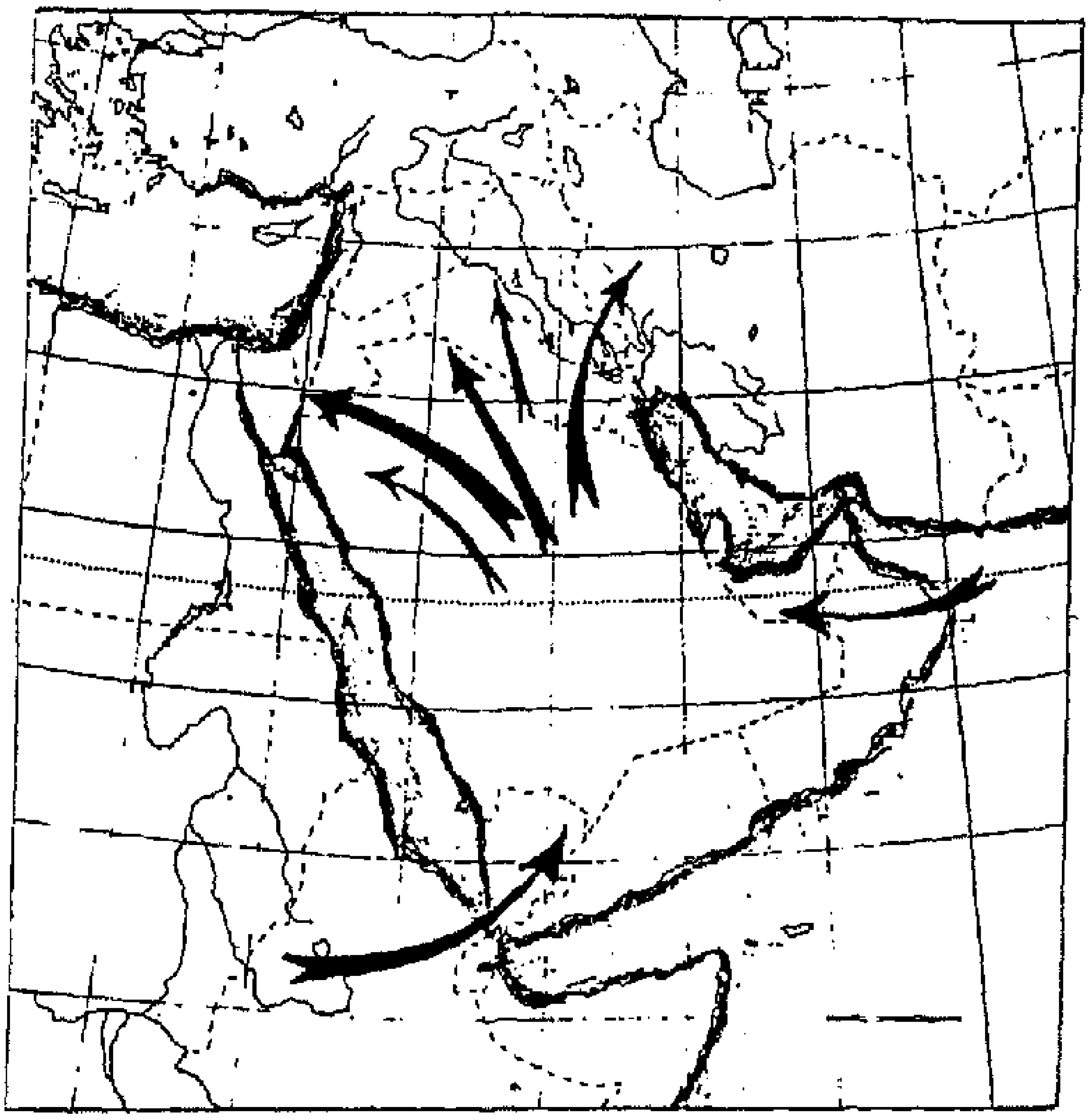

شكل (٣) خريطة تبين حركة القبائل العربية
إنطلاقاً من جزيرة العرب غرباً وشرقاً (دوائر النزوح والاحلال)

هذه الفوهة - منطقة شمال الجزيرة العربية - تسكنها أيضاً قبائل عربية وهي مقسمة إلى قسمين ولازالت آثار هذا التقسيم قائمة حتى الآن ، ففي القسم الشرقي أرض العراق وتسكنها قبائل المناذرة ، وفي الغرب أرض الشام وتسكنها قبائل الغساسنة وهم أهل الحضر من العرب فإذا كانت الحضارة مثل درجات اللون ، فإن القبلية البحتة على فطرتها في جزيرة العرب هي افتح الوان الحضارة، بينما قبائل الغساسنة والمناذرة وهم الأقرب للاحتكاك بالامبراطورتين المعروفتين في ذلك الزمن وهما الامبراطورية الفارسية في الشرق ، والامبراطورية الرومانية في الغرب ولكون المناذرة على اتصال بالفرس والغساسنة على اتصال بالرومان فإن لونهما يكون بدرجة اللون الذي يميل للقتامة مثل درجة اللون الرمادي الواقعة بين الأبيض والأسود وفي النهاية يقف الفرس والرومان مثل اللون الأسود في صراع أزلي على حدود جزيرة العرب وفوهتها الشمالية.

مقومات الشخصية العربية :

١- الفروسية :

النظام القبلي المحض الذي تربىّ على الفطرة ، والقتال والصراع الدائم على العشب والكلأ تارة وعلى الكرامة والثأر تارة ، وعلى لاشيء تارة أخرى ، هذا هو النموذج الذي كان سائداً لدى العرب ، صراع بين عبس وذبيان ، وآخر بين بكر وتغلب وثالث بين طيء وتميم بخلاف صراع الشمال بين الغساسنة والمناذرة ، وكانت الحروب تستمر سنين وأجيال مثل حرب البسوس التي استمرت ٤٠ سنة قبل الاسلام وكذلك حرب داحس والغبراء ، فحرب البسوس قامت بسبب ناقة ترعى في أرض جسّاس فقتل جسّاساً كليب وهو شيخ القبيلة المشهور والفارس المغوار فاشتعلت الحرب ولازال العرب في مصر حتى اليوم يقولون في أمثالهم : "سَدْ كليب في الناقة" وهو مثل يزيد الحرب اشتعالاً فكيف يكون دم كليب مساوياً لدم ناقة هزيلة ، وكذلك حرب الحصان (داحس) الذي غلبته الفرس (الغبراء)

بمكيدة مدبَّرة فقامت الحرب وهكذا كانت تقوم الحروب لاتفه الأسباب، ولعل أهم مايلفت النظر أن هذه الحروب قد درّبت العرب تدريباً شاقاً على أصول الفروسية. مما وصل بهم إلى أوج إدارة الحروب، والتمكن من قواعد الكرّ والفرّ، والاقدام والاحجام، وبلغ مداه في الصبر والجلد على الشدائد والجوع والعطش، والصدق عند اللقاء، بل وأصبحت الفروسية مثاراً للفخر ومبعثاً للالمام بالمجد من أطرافه الأربعة. وهذه أهم مقومات الاستعداد للحدث الهام الذي غير جزيرة العرب، بل وغير الدنيا بأسرها وهو الاسلام الذي ارسل به النبي العربي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، حيث هبط الوحي بالدين على النبي الخاتم، واشرقت جزيرة العرب بنور ربها وانتشرت أشعة هذا النور لتضيء المشرق والمغرب.

٢- الشعر:

إذا كانت الفروسية مصدراً للفخر والبطولة فإن الشعر هو المكمل لفروسية الفارس، وقد بلغ الشعر مداه، فإذا كانت (البسوس) هي المرأة الشمطاء التي أشعلت قمة الحروب في جزيرة العرب وهي (حرب البسوس) فإن المعلقات من بدائع الشعر العربي هي قمة الشعر، ولقد وصلت الحروب إلى قمتها والشعر إلى قمته قبيل ظهور الإسلام. وإذا جاءت حروب القبائل في جزيرة العرب كتدريب واستعداد للجهاد الأكبر في الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً، فقد جاء الشعر كتدريب واستعداد لتلقي القرآن وتدبر معانيه وفهم مراميه واستنباط كنوزه، فنزل القرآن بلسان عربي مبين وهي منّه وهبة من الهبات العظمى التي وهبها رب العزة والجلال للعرب فله الحمد من قبل ومن بعد.

ومن يقرأ معلقات امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وعنترة بن شداد، وزهير بن ابي سلمى، وعمرو بن كلثوم التغلبي، والحارث بن حلزّة اليشكري، ولبيد بن ربيعة، من يقرأ معلقات هؤلاء ويطلّع على مفرداتها

وأوزانها وبحورها ، وماورد بها من إبداع في التراكيب اللغوية ، وتحميل الالفاظ بأكثر من طاقتها من المعاني ، وماجاء بها من صور بلاغية وخيالية ومهارات شعرية في السجع والطباق والجناس ونحت الألفاظ ليقف تماماً على أن العرب ملكوا ناصية اللغة ، وأصبحوا في أوج الحالات القصوى من الاستعداد لتلقي وحي السماء واستيعاب مايرمي إليه ، كما يعرف في نفس الوقت أن الفروسية والشعر صنوان فالشاعر هو نفسه الفارس وربما هو أمير القوم في نفس الوقت.

فانظر إلى قول عمرو بن كلثوم التغلبي يفخر بقومه في معلقته الشهيرة فيقول في مقابلات بديعة :

الا لايجهلنْ احدٌ علينـــــــــا ∴ فنجهل فوق جهل الجاهلينـــــــا
ونحن الحاكمون إذا أُطعنـــــــا ∴ ونحن العازمون إذا عُصينـــــــا
ونحن التاركون لما سخطنـــــــا ∴ ونحن الآخذون لما رضينـــــــا
وإنا المطعمون إذا قدرنـــــــا ∴ وإنا المهلكون إذا ابتلينـــــــا
إذا بلغ الفطام لنا صـــــــبيُ ∴ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينـــــــا

وانظر إلى عنتره بن شداد العبسي في معلقته يفخر بنفسه وبفروسيته فيقول :

فشككت بالرمح الأصم ثيابـــــــه ∴ ليس الكريم على القنا بمحـــــــرم
فتركته جزر السباع ينشنـــــــه ∴ يقضمن حسن بنانه والمعصـــــــم
سبقت يداي له بعاجل طعنـــــــه ∴ ورشاش نافذة كلون العنـــــــدم
فطعنته بالرمح ثم غلوتـــــــه ∴ بمهند صافي الحديدة محـــــــرم

وانظر إلى زهير بن أبي سلمى حين يصف الحرب ومرارتها وأهوالها فيقول :

وما الحرب إلاّ ماعلمتم وذقتـــــم ∴ وماهو عنها بالحديث المرجـــــم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمــــــة ∴ وتضر إذا ضريتموها فتضـــــرم
فتعرككم عرك الرحى بثقالهـــــا ∴ وتلقح كشاف ثم تنتج فتتئـــــم

وانظر إلى أمرؤ القيس حيث يصف الحصان العربي بوصف عبقري فيقول :

مكر مفر مقبل مُدبرُ معـــــــاً ∴ كجلمود صخر حطه السيل من علِ
يزل الغلام الخف عن صهواتـــــه ∴ ويلوي باثواب العنيف المثقـــــل
له أيطلا ظبي وساقا نعامــــــة ∴ وارخاء سرحان وتقريب تتفـــــل
كأن دماء الهاديات بنحـــــره ∴ عصارة حنّاء بشيب مُرجـــــل

وقد تمكنوا من الكلمة كمفردة شعرية بشكل ليس له مثيل فهذا لبيد يقول :
" وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني ∴ شاوَ شلول مشل شلشل شول "
وكل كلمة لها معنى مختلف ، فشاو اللحم غير موزعه ، وانظر إلى هذا التقابل البديع :
(ووجه كمثل الصبح مبيض ∴ وشعر كمثل الليل مسود)
(ضدان على الحسن اجتمعا ∴ والضد يظهر حسنه الضد)
وكيف استطاع الشاعر أن يظهر الجمال في المتناقضات.

ومهما قيل فإن المعلقات هي عيون الشعر العربي ، وأن الشعر العربي جعل العرب يملكون ناصية اللغة وبلاغتها ، كما أن الحروب جعلتهم يملكون ناصية البطولة وفروسيتها. فهل ينسى كلام ذلك الرجل من الكفار - الذي ورد ملمح له في القرآن - حينما سؤل عن القرآن فوصفه بأحسن الوصف حين قال :

(لقد عرفنا الشعر قريضه وقصيده ، ووزنه ونثره ، فما هو بشعر فإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وأنه يعُلى ولا يُعلى عليه) فما كان لمثل هذا الكافر أن يقول مثل هذا الوصف الجميل إلا لكونه متذوقاً للشعر ومدركاً لأبعاد النظم والقريض. وهكذا فإن الحروب قد هيأت العرب للفتوحات كما أن الشعر قد هيأهم لفهم القرآن.

٣- الترحال :

لم يخرج العرب خارج جزيرتهم قبل الإسلام إلا للتجارة ، فعرفت قريش رحلتي الشتاء والصيف للشام ولليمن شمالاً وجنوباً كما عرفت القبائل التنقل الفصلي في الربيع والخريف ، وألِفَ الناس انتقال قبيلة بكاملها من مكان إلى مكان، فمضارب القبائل غير ثابتة فهي في تنقل دائم ، وحركة مستمرة ، فيقولون في أمثالهم :

(عزّ القبايل كل يوم رحيل)

بل أن بعضهم يسمى ابنه (رحيل) حباً في الترحال والتنقل ، وهذا عمرو بن كلثوم يقول :

وقد علم القبائل من مَعَـــــــــدٍّ ∴ إذا قُبَبٌ بابطاحها بُنينـــــــــا

ففي ساعات تنتقل القبيلة وتنصب قباب خيامها في أي موضع ترى فيه حياة وحتى الآن نسمع من أغاني القبائل العربية في مصر أغاني مثل :

(إطري ربيع فوق القصر الدار ريغنت شيلوبنا)

والمعنى أن هناك منطقة ذات ربيع وخضرة وجمال ذكرت بجوار منطقة القصر ولذلك فإن دارنا هذه أصبحت قديمة ومكفهرة وغير ملائمة لنا فهيّا بنا

(شيلوينا) ؛ أي احملونا مع امتعتنا إلى حيث تقع منطقة القصر ، وقد يقصد بالربيع كناية عن الحبيب.

ويزكي القرآن الكريم التنقل والترحال ، وربما يأتي ذكر الرحلات في استفهام استنكاري وتعجب لعدم التنقل مما دعى المؤلف للمطالبة في كتاب آخر بأن تكون الرحلات جزء رئيسياً من المقررات الدراسية :

(... فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين((١٣٧ - آل عمران)

(أو لم يسيروا في الأرض ليروا فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم...)
(٤٤-فاطر)
(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين)(٦٩ النمل)

وهكذا فإن الترحال والتأمل والرؤية والتدبر سلوك مطلوب للمعرفة ولتأمل الكون والاطلاع على قدرة خالقه.

وحتى يكون التنقل ميسراً كان لابد من بساطة مكونات الحياة ، وجاء التفكير في البيت المحمول أو الخيمة وأصبحت مقومات الحياة خيمة وجمل وفرس حول نخلة ، والمأكل لبن وتمر ، والمتاع درع وسيف ، وفوق كل ذلك إنسان أمدته بالصبر والجلد تلك الصحراء الشاسعة اللانهائية القاسية المضيئة لدرجة الاشتعال نهاراً والمظلمة القاتمة المعتمة ليلاً ، ليل قال فيه أمرؤ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدولـــه ∴ عليَّ بأنواع الهموم ليبتلـــي
فقلت له لما تمطي بصلبـــه ∴ واردف اعجازاً وناء بكلكـــل
ألا يا أيها الليل الطويل الا انجلـــي ∴ بصبح وما الاصباح منك بامثـــل

فهذه الشخصية البسيطة في مكوناتها والعميقة في تركيبها والممتلئة بالفخر والعزة والأنفة لدرجة الإشباع ، والمدرّبة على فنون القتال وأصول الحرب والمناجزة والنزال ، والمتملكة لناصية اللغة ودُرَرها وكنوزها والنامية مع الفراسة هي شخصية جديرة بحمل رسالة ربَ العالمين إلى العالمين ، ولذلك فإن ماأراه - والعلم لله - أن العرب قد أعدوا إعداداً في معسكر كبير داخل جزيرة العرب لهذا الحدث الهام وجعلهم ا لله سبحانه في أحسن حالات تقبل نزول الوحي على النبي العربي الأميّ الهاشمي القرشي وليكون صلى ا لله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء الذي أُرسل بالدين الخاتم ، فتكون كل هذه الخبرات العربية في خدمة الإسلام الذي وظفها لسمو البشر بعد أن كانت للظلم والعدوان ، والطغيان ، فأوردهم الإسلام بتلك المقومات موارد النجاة بعد أن أوشكت نفس المقومات أن توردهم موارد التهلكة وإذا قلنا أن العرب لم يغادروا جزيرتهم إلاّ للتجارة وأن كل حركتهم الدائرية كانت داخلها ، فإنهم بعد الإسلام عرفوا عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم حين سمعوا قول ا لله تعالى :

(ياأيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس .....)

واستطاعوا ان يتدبروا قول الله تعالى : (هذا بلاغ للناس .....)

ولذلك جاء خروجهم للفتوحات الإسلامية في وقته ، وتزامن مع الزمن المناسب ، ووهبوا حياتهم فداء لهذا الدين ، فهم لم يخرجوا غازين إنما فاتحين ، والفتح لايعني دائماً أرض الآخرين ، فلقد كان فتح مكة فتحاً وهو عودة للبلد التي اخرجوا منها والفتح هنا هو نور الإسلام وهو فتح العقول والقلوب قبل فتح الأرض وقد انتظرت قبائل العرب هذا اليوم قائلين إذا دخل محمد مكة نسلم معه لأنهم ربطوا بين صاحب الفيل الذي دحره ا لله وأبعده عن مكه وبين الإسلام معتبرين أن عودة محمد ودخوله مكه يعني أنه على حق لذلك فعندما دخلها دخل الناس في دين ا لله أفواجاً ، هذا هو المنهج الإسلامي فتح وليس غزواً ، ولذلك

فإن العرب بما لديهم من مكونات الشخصية الاعمق والتي ينخدع البعض في بساطتها مثلما انخدع (رستم) و (يزدجرد) أمام الجيش العربي في القادسية ، هؤلاء العرب كانوا يعرضون على عدوهم أن يختار بملء إرادته خياراً واحداً من ثلاثة خيارات ، مثل مواقف (الاختيار من متعدد) في أحدث الاختبارات التي توصل إليها العلماء في القرن العشرين ، والثلاثة الاختيارات هي إما أن تسلم فتسلم وتصبح واحداً منا لك مالنا وعليك ماعلينا ، وأما أن تدفع الجزية عن يد وأنت صاغر ، وأما المنابذة والحرب ، وهي مواقف فريدة على طول التاريخ .

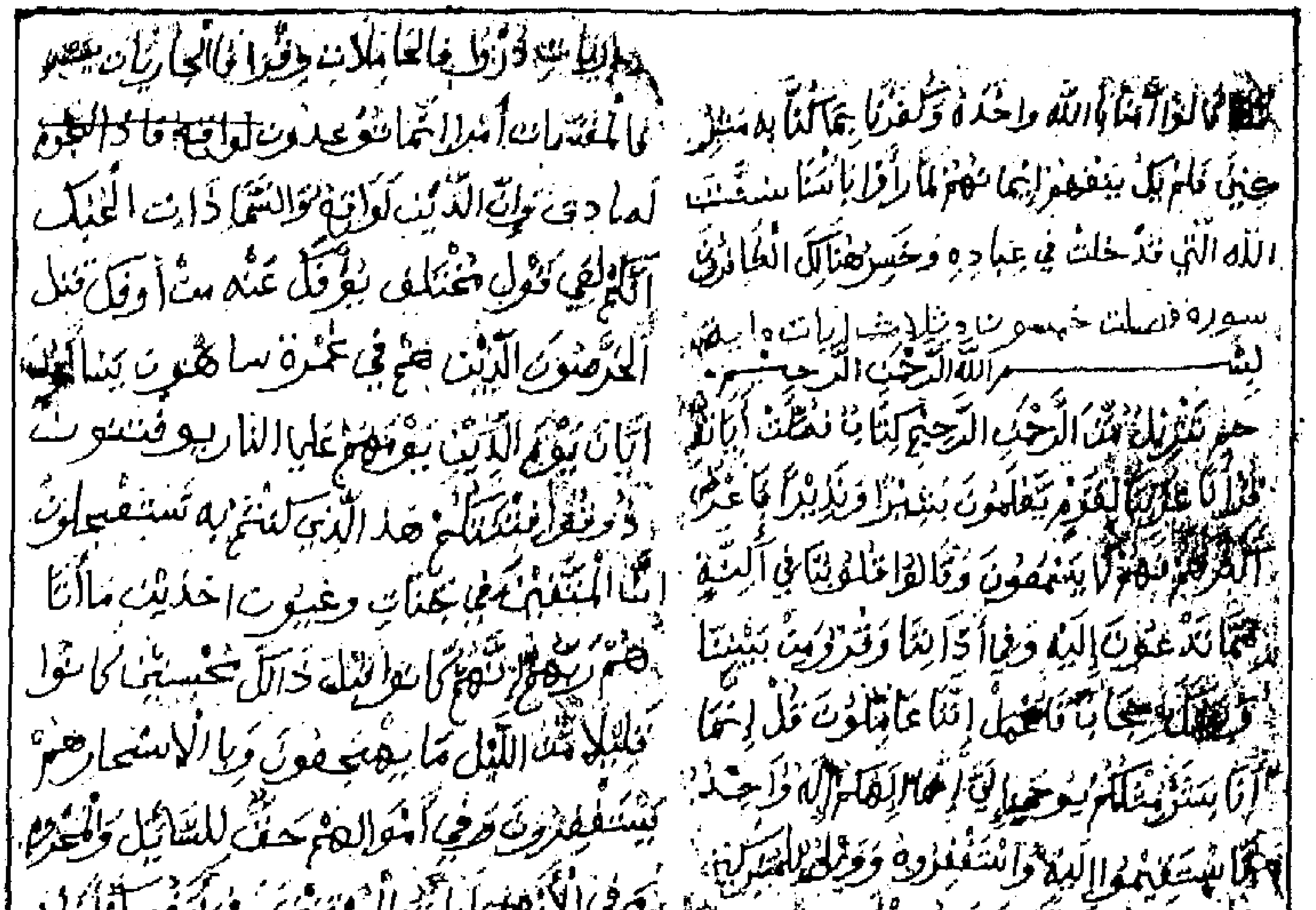
قالوا لو آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت
الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
سورة فصلت خمسون وثلاث آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته
قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض
أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة
مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل إنما
أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون
والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا
فالمقسمات أمرا إنما توعدون
لصادق وإن الدين لواقع والسماء ذات الحبك
إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك قتل
الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون
أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون
ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم
ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم
يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم
وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا
تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب

شكل (٤) نموذج لصفحة من المصحف الشريف المكتوب قديماً بخط اليد
يقال أن كاتبه : عبد القادر درياق (القرن ١٩).

وعرضه ، لم تحدث لا مَن قبل ولا من بعد ، وذلك لأنها النبوة والرسالة وليس الغزو والتوسع ، ولذلك لم يوقف العرب في إبلاغ الأمم شرقاً وغرباً بالاسلام والقرآن إلا مياه المحيطات ، حيث بلغوا اطراف اليابسه في العالم القديم ، ولذلك اتسعت المسافات وتفرقت القبائل شرقاً وغرباً ، وأصبح العربي مثل الشعرة البيضاء في النعجة السوداء ، وأنهم لسادتنا مصابيح الأرض في بقاعها المختلفة ولا يعلمهم إلا ا لله.

دليل من أوروبا :

ومما يدل على أن العرب قد انتشروا في الأرض كما تنتشر النجوم في السماء ولم يعد بوسع أحد أن يحدد بدقة جميع مواقعهم على ظهر الأرض، ماجاء في كتاب الكاتب السويسري أوجين بولسمر (٣٩) الذي ترجمه محمد القالج لحساب وزارة الثقافة السورية التي نشرته بعنوان (أسلافنا العرب) عام ١٩٨١ حيث يقول الكاتب : " إنا من مقاطعة فاليه السويسرية في وسط أوروبا ، وأهل بلدي عرب أصلاً ، وتعرفهم إذا نظرت في وجوههم من سحنتهم ، وقد رجعت إلى وثائق عديدة قبل أن اكتب هذا الكتاب ، وأنا اكتب هذا الكتاب وقد بلغت من العمر ثمانين عاماً ، وأؤكد أن الاسلام لم ينتشر بقوة السلاح ، وإنما انتشر لأنه حضارة متكاملة انتشرت بالتسامح ، ورغم حدوث مصادمات عند انتشار الإسلام ، إلا أن هذه المصادمات لاترجع للإسلام ، وإنما ترجع لطبيعة العصر نفسه ، الذي كان طابعه العنف والصدام ، وكانت الكنائس تقوم في أوروبا بصدامات وباشياء أكبر ولاتقاس بما قام به العرب الذين أسسوا دولة اقتصادية " ويضيف الكاتب السويسري افكاراً عديدة في هذا الكتاب تبين أن العرب سكنوا وسط أوروبا رغم أنهم لم يفتحوها وإنما انتشروا بها ، فيقول : " أن النساء في منطقتنا كنَّ يخفن أطفالهن بكلمة (الموري) وهي كلمة تعني بلغتنا العرب ، وبعض المترجمين يرون أن الموري تعني (عرب المغرب) ربما لأن البعض يرجع كلمة (الموري) إلى دولة (موريتانيا) باعتبارها موطناً للمسلمين العرب الذين

دخلوا للقارة الأوروبية ، ولكني أرى غير مايراه المترجمون ، فإن كلمة (موري) ترجع للحرب وتعني بالتحديد (المحارب) وفي الأصل فإن إله الحرب الروماني يسمى (مارت) ولكن الأوروبيين ارادوا أن يلصقوا كل الصفات السيئة بالعرب ، فربطوا بين (الموري) والعرب ، واعتبار الموري شيء مخيف وسيء ، والحقيقة غير ذلك تماماً فالاسلام الذي انتشر بين البربر والزنوج كان النصر به للبربر والزنوج أنفسهم ، فهم الذين انتصروا على الرق والعبودية والاوضاع السيئة التي كانوا يعيشونها ، وجاء الاسلام وانتشلهم منها ووضعهم موضع الصدارة والكرامة ، لذلك كانت المناطق المفتوحة أمام المسلمين هي التي تطلب الفتح ، وتنتظر المسلمين ليفتحوا بلادهم وينقذونهم من حالتهم ، هذه هي الحقيقة التي توصلت إليها بعد دراسة العديد من الوثائق المهملة عن عمد لدى الكثير من المؤرخين " ويكمل المؤلف : "أنني معتز بالانتساب لهذا الاصل العربي ، واخاطب العرب باعتبارهم اسلافي وهم أهل منطقة فاليه السويسرية ".

هذه شهادة كاتب أوروبي تدلل على ماذهبنا إليه ، من أن الفتوحات الاسلامية لم تكن للغزو والتوسع وإنما كانت لابلاغ رسالة رب العالمين ، وأن أكثر البلاد كانت تفتح أمام المسلمين سلماً دون قتال لأن أهلها يرون في الاسلام انقاذاً وانتصاراً لهم على اوضاعهم القائمة في ظل احكام ذلك الزمان ، كما تدلل أيضاً على رأينا السابق بأن العرب من الفاتحين الاوائل وهم ساداتنا لانعلم بالتحديد أين هم وما سلالاتهم ؟ ومايعلمهم إلا الله ، فهذه سويسرا في قلب أوروبا ماكان يخطر ببال أحد أن يكون من بين أهلها عرب.

هؤلاء الأبطال المجاهدون والمرابطون عند أطراف الأمة ، أمثلة عظيمة في العطاء ، التقت فطرتهم وفطرة الصحراء وامتزجت بفطرة الإسلام والايمان فافرزت عبقريات التضحية والفداء والاستبسال ، فهذا خالد بن الوليد يقول وهو على فراش الموت : (... ومافي جسدي موضع أصبع ليس فيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين

الجبناء) ، وهذا المقدار الصحابي الجليل يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (امضي بنا يارسول الله فوالله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، وأنا لصدق عند اللقاء ، ولن نقول كما قال بنوا اسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فيالها من فصاحة وفقه وبطوله انشرح لها قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا الصحابي المسلم الجليل كان بطلاً في القول والفعل ، وحافظاً للقرآن حيث استدل بالآية (٢٤) من سورة المائدة ، وعالماً فقيهاً حيث عرف متى يوظف الآية الكريمة لموقعها فهم أبطال طلبوا الموت فوُهِبت لهم الحياة ، هذه هي صورة العربي المسلم ، إنسان خرج من دياره وقاتل وقتل في سبيل الله فداء لجملة واحدة هي (لا إله إلا الله) وبعدها يهون كل شيء وتقدم الأنفس طواعية على الرحب ، وظل العرب يتوارثون هذه الخصال رغم انتشارهم في بقاع الأرض من تخوم الصين شرقاً وحتى ساحل المغرب والسنغال في الغرب جيلاً بعد جيل ، ولولا أن القبائل العربية تماسكت وتمسكت باصولها وعروقها ودمائها ولهجاتها ، ودافعت عن تقاليدها القبلية بكل غال ونفيس ، لولا ذلك لذابت بقية قبائل العرب في شعوب الأمصار المفتوحة ولما كنا نجد اليوم البناء القبلي المعروف والموثوق بأصالته.

عبقرية العمارة الإسلامية :

بعد أن استتب الإسلام وانتشر ، جاءت فترة الاستقرار الذي فجر الإسلام فيه مكنون العبقرية العربية والتقى العقل العربي بعقول عظيمة في بلاد الفتح وايادي عاملة ومتقنة فتفجر ينبوع العبقرية في كل المجالات وعلى رأسها العمارة الإسلامية ، وعلى رأس العمارة الإسلامية المسجد ، وغير العرب مفاهيم التنقل الدائم إلى التنقل المتقطع ، وكان المسجد وماوصل إليه من المآذن الفريدة في تاريخ العمارة مثاراً لاندهاش الغرب بصفة خاصة ، والبعض يعتقد أنه من ابتكارات الأمصار المفتوحة ، ومازلت أعتقد - وهذا مجال بحث ودراسة - أن المسجد هو

صورة عربية مأخوذة من البيئة البدوية وهي إما أن تكون النخلة بجوار الكثبان الرملية المحدبة ممثلة للمئذنة والقبة ، أو تكون عنق الجمل بانحنائه وباستقامته خلف قمة سنام الجمل الممثلة للقبة ، أو لمجاهد بخوزته شاهراً سيفه في سبيل ا لله ، أو لشخص رافع يده على استقامة ذراعه موحداً لله سبحانه وتعالى ، ومهما كانت الصورة الكامنة وراء بناء المسجد فهو أحد العبقريات التي أرست معالم الشخصية الإسلامية وبلورتها في مواجهة الأديان والعقائد الأخرى ، ولاتقلّ عن عظمة القبة والمئذنة تلك الزخارف الإسلامية التي ابدعها الفنان المسلم والتي لازالت تشكل تحدياً أمام الفنان الغربي ، تلك الزخارف الهندسية والنباتية التي تخلص فيها الفنان المسلم من الاشخاص وكل مايمس العقيدة فخرج باستخلاص شكل نباتي وخط هندسي مستمراً بلا نهاية ودون توقف ، وباتزان وايقاع فني على أعلى درجات الإبداع ، ومازالت بعض مذاهب الفن الغربي تخرج لنا كل حين بمذاهب تستند إلى اتجاهات الفنان المسلم مثل فن (الأوب آرت) أو مايسمى بالخداع البصري هذا الذي أخذوه من الزخرفة الهندسية على المنابر والمشربيات والعقود الفصوص والبواكي التي جاءت في إبداع العمارة الإسلامية.

والآن فقد انتشر الاسلام في جميع انحاء المعمورة وارتفعت المآذن تنادي للصلاة في أكبر مدن وعواصم الغرب في نيويورك وموسكو ولندن وباريس وبرلين وحتى روما نفسها مقر الفاتيكان أسس فيها مسجد من أكبر المساجد في العالم ، وانتهى القرن العشرين بعد أن اصبح الغرب يناقش ماكنا نناقشه في مطلع هذا القرن وهو ماعرف بدعوة قاسم أمين وماتلاها من الدعوة للسفور وخروج المرأة للعمل وتشبهها بالمرأة الأوروبية حتى وصلت المرأة المسلمة في بعض العواصم العربية إلى الشكل الأوروبي الكامل في الماكياج والملابس وكشف الشعر وإطالة الأظافر ثم إذا بنا نرى المرأة المسلمة تعود في نهاية هذا القرن من تلقاء نفسها للأصل وترجع للزي الاسلامي ، والأغرب من ذلك أن نرى في فرنسا قضايا رأي عام حول مدى الموافقة على ارتداء الحجاب لطالبات المدارس سبحان ا لله مغير الاحوال فما كنا نشتكي منه على أنه غزو الحضارة الأوروبية هم

يشتكون منه اليوم على أنه انتشار الحضارة الاسلامية التي أكرمنا بها ا لله إذ اجتبانا بفضله وماجعل علينا في الدين من حرج فله الحمد الدائم والشكر الوافر، وهاهي الدول الاسلامية تعلن عن نفسها في وسط آسيا تترستان وتركمستان ، وازربيجان ، والشيشان واوزبكستان ، وهاهي دولة كاملة للبوسنة والهرسك في أوروبا الشرقية التي كانت شيوعية لادين لها ، فلا خوف على الاسلام لامن دعاة التبشير ولامن الغزو الثقافي والإعلامي فهو دين عظيم من آمن به لن يرتد، والخوف فقط على المسلمين المضطهدين في كل مكان ، لأن الآخرين هم الذين يخشون من الاسلام وليس العكس ولذلك لم يعد الاسلام ملك العرب وإنما هم الذين شملهم فضل ا لله ومنته بأن انطلقت الرسالة من أرضهم وبلغتهم وحملها للعالمين اعظم الخلق اجمعين محمد بن عبد ا لله النبي العربي الأمي الهاشمي القرشي سيد البشر أجمعين.

الفصل الثالث

النزوح إلى مصر

* نزوح بعض قبائل المغرب العربي إلى مصر :

هناك أسباب عديدة لنزوح بعض القبائل العربية من المغرب العربي والاتجاه إلى مصر في هجرات متتالية حيث الأمن والأمان ووسائل العيش من الزراعة والرعي ومن هذه الأسباب مايلي :

(١) مجاعة القرن الثاني عشر :

تعرضت طرابلس الغرب والمدن المجاورة لها في أواسط القرن الثاني عشر لمجاعة شديدة طويلة المدى استمرت حوالي سبع سنوات مما كان له أكبر الأثر في ترك المواطنين لأوطانهم بحثاً وراء الرزق (١١).

(٢) حملة امير البندقية في القرن الرابع عشر :

في أواسط القرن الرابع عشر تعرضت طرابلس أيضاً إلى حملة شديدة من أحد أمراء البندقية بايطاليا الذي استطاع أن يأسر حوالي سبعة آلاف من سكانها وكان لذلك أثر في هروب كثير من السكان الذين لم يستطيعون مقاومة هذا العناد الصارم (١١).

(٣) الغزو الاسباني في القرن السادس عشر :

في أوائل القرن السادس عشر تعرضت طرابلس أيضاً إلى غزو أسباني مما أثر على مقومات الحياة فهرب السكان بدوابهم وماشيتهم نحو مصر وبعض الدول المجاورة ، ويذكر الرحاله التونسي التيجاني سنة ١٣٠٧ أن برقة وهي المنطقة الشرقية من الوطن الليبي كانت تابعة في فترة ما قبل سنة ١١٠٠م لحكومة مصر ولكنها مالبثت أن خضعت لسيطرة البربر بعد ذلك ثم قوى إتصالها بطرابلس

لوقوعها على طريق الشرق والغرب على خط واحد ، وقد قوى هذا الاتصال بصفة خاصة في الفترة مابين القرنين السابع عشر والثامن عشر.

(٤) الاحتلال التركي في القرنين السابع عشر والثامن عشر :

في هذه الفترة أي في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت ليبيا تحت الحكم العثماني وقد استقلت عن تركيا بحكامها من أسرة القرمانلي سنة ١٧١١ ثم عادت وأصبحت ولاية عثمانية مرة أخرى سنة ١٨٥٥ ، ولقد حاول حكام أسرة القرمانلي ومن تبعهم من حكام السلاطين العثمانيين الاستئثار بهذه البلاد وإغتصابها حتى تدين لهم بالولاء ، لذلك حاولوا خلال الفترة التي حكموها أن يقضوا على نفوذ القبائل البربرية والعربية في المناطق الداخلية وحاولوا إبادتها نهائياً غير أنهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب عدم قوتهم الكافية.

وبعد أن تم الاحتلال الثاني ، واصل الاتراك العثمانيون نفس السياسة القرمانلية في القضاء على قوة القبائل البربرية والعربية ومحاولة إبادتها وإخضاع المتبقي منها للقوانين العامة للدولة ، لذلك ارسل العثمانيون قوة تلقب بـ (القولوغلي) وهم عنصر من السكان ظهر بظهور الاحتلال التركي في السهل الشمالي منها ، فهاجمت هذه القوة قبائل أولاد سليمان في وسط ليبيا فهاجر أغلبهم إلى (بوركو) و (كانم) وبعضهم استقر هناك إلى الآن وذلك بعد أن اخرجوهم من أقليم سرت والجبل الشرقي بعد قتل الشيخ (عبد الجليل سيف النصر) زعيم قبائل أولاد سليمان أثناء المعركة (١١).

وفي الغرب أيضاً تم لهم القضاء على قبيلة المحاميد والسيطرة عليهم بعد قتل زعيمهم الشيخ (جمعه بن عون) ثم تهجيرهم من البلاد وبذلك تم لهم الاستيلاء على منطقة فزان بقيادة الحاكم التركي (محمد أمين باشا) وتم تقسيمها إلى متعرفيات ونواح وقرى ومحلات وكل ذلك كان في عام ١٨٦٥ حيث هاجر

المغاربة الطرابلسيين وكونوا أكبر جالية عربية في مدينة (كانو) شمال نيجيريا سنة ١٨٨٠ (١١).

(٥) جاذبية فيضان النيل :

يذكر علماء الحملة الفرنسية أنهم عرفوا أن النيل في مصر أفاض فيضاناً عظيماً في عام ١٨٨٠ حتى ١٨٨٢ وبلغت سمعة هذا الفيضان الآفاق وزادت نباتات المراعي في الخفوج والفيافي فنزح إلى مصر كثير من العرب المغاربة بمواشيهم ودوابهم واستقر الكثير منهم بمصر بجوار القبائل الأقرب اليهم (١٦).

(٦) الاحتلال الايطالي في القرنين التاسع عشر والعشرين :

يقول عبد العزيز طريح (١١) : وهذا سبب آخر لقدوم بعض قبائل عرب مصر حيث كانت القسوة التي عومل بها الوطنيون في ليبيا سبباً في هجرة الكثير منهم إلى الاقطار المجاورة مثل مصر وتونس والسودان.

فقد كان تعداد ليبيا قبل الاحتلال الايطالي حوالي ٢ مليون نسمة ثم نقص هذا العدد إلى أن اصبح في فترة من الفترات أقل من نصف مليون نسمة. وذلك بسبب الهجرة والحروب والابادة التي شنتها إيطاليا عليهم فضلاً عن سوء الحياة الاجتماعية وقد كان هدف الايطاليين واضحاً في تغيير التكوين العنصري للبلاد وجعل ليبيا وسواحلها جزء من إيطاليا التي نشطت في تهجير سكانها إلى شمال ليبيا وأيضاً في تهجير سكان ليبيا إلى إيطاليا فأصبح المواطن الليبي أمام أمر واقع بالفعل إما أن يهاجر إلى إيطاليا برضى من الحكومة الايطالية لاغراض التجارة والعيش هناك أو أن يعمل لمساعدة الايطاليين الموجودين في ليبيا أو أنه ينضم للثوار الذين يعملون على التخلص من الاحتلال الايطالي رغبة في الحرّية بواسطة الحروب والمنظمات السرية أو أنه يترك هذا وذاك ويهرب بنفسه إلى

الاقاليم المجاورة في الشرق والغرب والجنوب ، وهذه الهجرات كانت قاصرة على الذين لايملكون القدرة على الحرب والدفاع وهؤلاء لم يكونوا أقواماً متكاملة أو قبائل بأسرها بل أن القبيلة الواحدة كانت تنقسم إلى قسمين تبعاً لإمكاناتها إلى محاربين وإلى مهاجرين ، فضلاً عن أن حركة القبائل العربية في الصحراء الكبرى شمال أفريقيا منذ الفتح الاسلامي وحتى أوائل القرن العشرين اتسمت بالتحرك الدائري بين الشرق والغرب ، اتساقاً مع طبيعة البداوة والحركة وراء المراعي أو التجمعات القبلية.

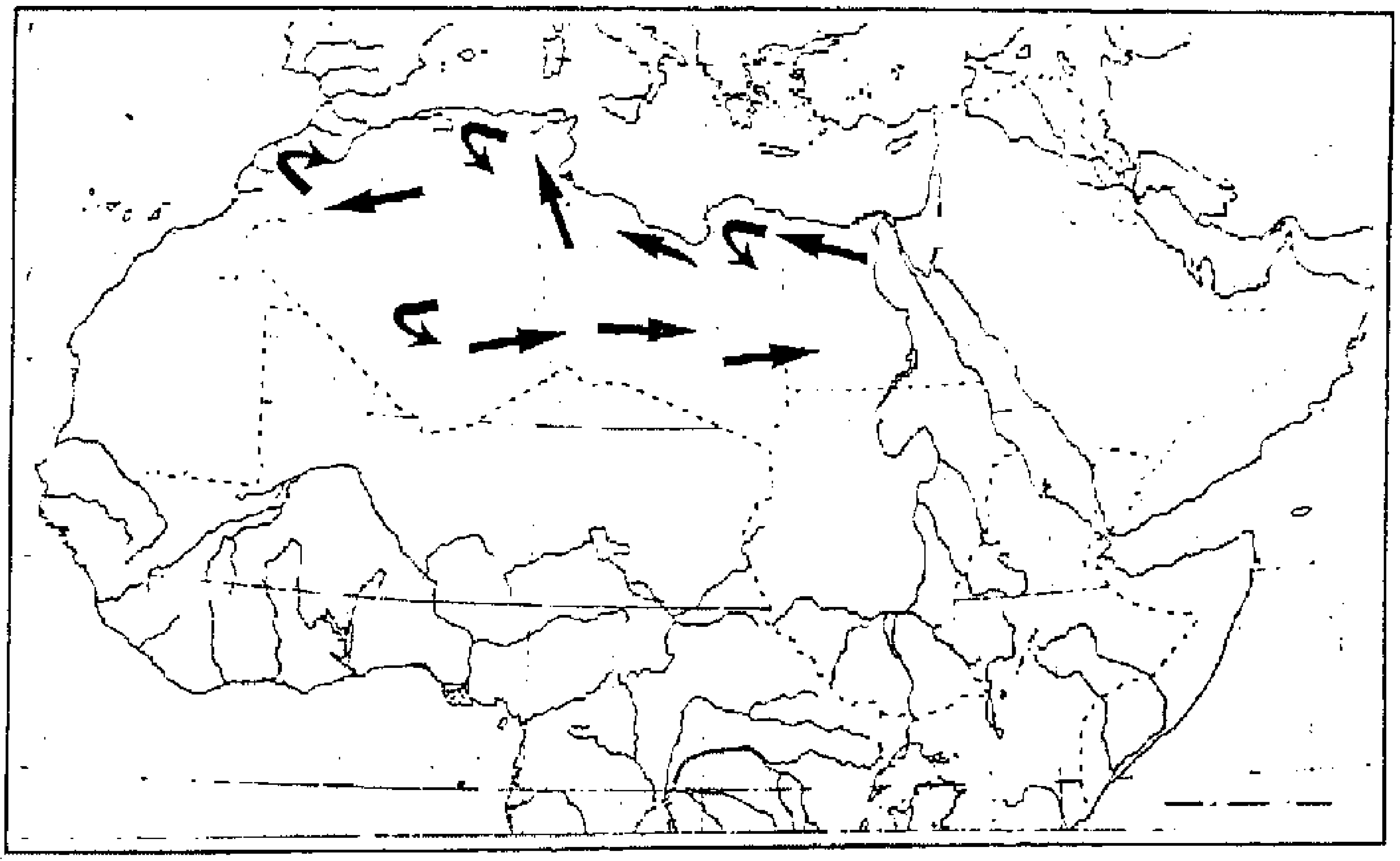

شكل (٥) خريطة تبين الحركة الدائرية للقبائل العربية في الصحراء الكبرى وشمال أفريقيا شرقاً حتى الصحراء الغربية المصرية وغرباً حتى الساقية الحمراء ووادي الذهب

وأهم القبائل التي هاجرت إلى مصر تنتمي إما إلى المرابطين أو إلى السعادي ، وهم جميعهم ينحدرون أصلاً من القبائل العربية بجزيرة العرب.

المرابطون والسعادي :

تصطف القبائل العربية في صف واحد ولكن الجذور تظهر بطنين من أكبر بطون العرب في مصر وشمال أفريقيا ويقول نقولا زيادة (٣٤) : " أنه ليس من السهل معرفة أصل هذا الوضع الاجتماعي الخاص فثمة من يعزو إلى أن السعديين هم قبائل بني سليم التي جاءت إلى برقة في القرن الخامس للهجرة ١١م بينما يعتبر المرابطون بقية القبائل العربية اليمنية التي جاءت مع الفتح العربي الاسلامي والتي اختلطت بالبربر وعربتهم ، وثمة من يعتبر المرابطون أصل لبقية القبائل البربرية التي تعربت واسلمت ، ويقول أيضاً إذا جاز لنا القول بترجيح أحد الرأيين فالرأي الأول أولى بأن يكون تفسيراً لهذا الواقع الاجتماعي خاصة وأنه ثمة قبائل من المرابطين لها شرف في النسب ".

وسوف نتناول هذين البطنين الكبيرين بشيء من التفصيل لكي نوضح أن العرب جميعاً أصحاب مجد واحد ولانرغب في الوقوع في خطأ المفاضلة أو احياء الفتن بل نؤكد ونحرص على وحدة المعدن الطيب الذي انطلق منه العرب إلى ربوع العالم مبشرين بدين ا لله الخاتم.

وقد ادركت أن الوصول إلى الدقة العلمية في مسألة أسماء القبائل أمل بعيد المنال وصعب الإدراك ، ومع ذلك فما وصل إليّ من المقابلات الشخصية أن القبائل التي تندرج تحت اسم المرابطون هي القطعان ، والمنفة ، والشواعر ، والعوامة ، والحسون ، والزوية ، والفرجان ، والفواخر ، والقذاذفة ، وعيال طامية ، وترهونة ، وأولاد يوسف ، والورفلة .. وغيرهم ، ولكن هناك أقوال أخرى تخرج بعض هذه الاسماء من المرابطين وتضيف غيرهم ، فقد ذكرت

للسيد نصر محمد الدرسي وهو ليبي من أبناء قبيلة الدرسة أي أنه من السعادي وقلت له ما رأيك في الشعر الذي يقول :

ياعون من قابله عـــون	∴	واشرف على قور عالـــي
والتمت فراجين واحســـون	∴	وعيال طامية في المجـــال

فقال : ان عيال طامية ليسوا من المرابطين ولكنهم سعادي وانت لم تسمع الشعر الذي يقول :

اعيال طامية من العقاقيـــر	∴	ايش جابهم وايش جابـــك
عقاقيرهم روس عقـّــار	∴	وحرابهم خير من حرابـــك

فقلت له : لقد أرحتني ياحاج نصر من البحث حول تصنيف القبائل فالروايات مختلفة وكل إنسان يحكي من وجهة نظره ، والأمر لايخلو من بعض الفخر مما يتعارض مع البحث العلمي الجاد ، وفيما يلي لمحة عن المرابطين :

المرابطون :

في مقال للدكتور حسين فوزي بعنوان (فذلكة المرابطون الملثمون) بجريدة الأهرام المصرية بالعدد الصادر في ١٩٧١/١٠/١ ص٧ تحدث مستنداً إلى مراجعه عن فكرة المرابطون ونشأتها حتى بلوغها ذروتها في دولة المرابطين بالمغرب العربي ونورد هنا مقتطفات من هذا المقال الهام حيث بدأ الكاتب مقاله بالسؤال التالي :

> من هم المرابطون ؟ وأجاب قائلاً : هو سؤال لايكفي فيه مجرد التعريف بهم خارج الاحداث التي نشأوا فيها ، والبقاع التي خرجوا منها ليشيدوا امبراطورية اسلامية عظمى تبدأ من الجزائر حتى بحر الظلمات ،

ومن الاندلس حتى بلاد السنغال.

وفيما أنا أحاسب نفسي على هروبي من تلخيص تاريخ طويل معقد، اهتديت إلى أنني قد أيسر الأمر لو ركزت على تاريخ المغرب الاقصى وحده. فمصدر الصعوبة هو أن تاريخ المغرب الكبير متشعب متفكك ، يتناول تاريخ الشمال الافريقي في كل مايلي مصر غرباً ، بدءً ببرقة وطرابلس : وانتهاءً بمدينة أسفي على المحيط الاطلنطي غرباً. وأود هنا تذكير القارىء بأن الفتوح الاسلامية لبلاد المغرب استغرقت نحو سبعين سنة ، مع أن فتح العرب لمصر والشام والعراق وفارس تم في أقل من عشر سنوات.

وبين يدي دراسة تاريخية عمرانية أثرية عنوانها " المغرب الكبير - العصر الاسلامي " تأليف الاستاذ الدكتور / السيد عبد العزيز سالم (١٩٦٦) يحتويها مجلد ضخم يقع في نحو ألف صفحة ، يصفه مؤلفه بأنه "عرض سريع " كذا لتاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، وخلاصة دراسة قمت بها في بلاد المغرب والاندلس : ، علماً بأن هذه الدراسة تقف عند دولة "الموحدين "أي حوالي سنة ١٢٦٩ ميلادية.

سأقصر مقالي ، إذن ، على شطيرة من تاريخ المغرب الاقصى ، من بدء انتشار الاسلام على يد أسرة الادارسة ، حتى عصر المرابطين، فيما أسميه سخرية بنفسي : تلخيص التلخيص المختزل: والرباط من المرابطة ، أي ملازمة مكان للجهاد حيث ترابط خيل المجاهدين، من قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ، ومن قوله جل وعلا : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون).

والرباط حصن منيع للتعبد ، ومركز تدريب حربي عنيف للجهاد والغزو. ولايعرف المؤرخون على التحقيق موضع هذا الرباط الأول لزعماء الصنهاجة ، ومبعث دولة المرابطين العظمى. وأورث يوسف بن تاشفين أبنه دولة كبرى امتدت في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي من الجزائر حتى المحيط الاطلانطي ، ومن سرقسطة في الاندلس وجزائر البليار شمالاً حتى السنغال جنوباً.

خمسون عاماً قضاها المرابط الاعظم في جهاد غزو وحرب وتدبير سياسة ، وتنظيم ملك واسع ، وإقامة منشآت دينية ومدنيّة في مراكش ، وفاس ومكناس وتلمسان ، وغيرها من بلاد المغرب الاقصى والاوسط. وانضم إلى الفئة القليلة من العباد المجاهدين ، كل من تاب عن مسلك الصنهاجة ، حتى بلغوا الالف. فقرر عبد الله بن ياسين الخروج بهم لاخضاع بربر الصحراء لصرامة الشريعة الغراء. وأصبح الألف رأس الحربة مجموعة مترابطة ، تألفت من قبائل لمتونة وجدالة ومسوفة ، استولت على سلجماسة ، فواحات الجنوب المغربي فالسوس الاعلى والأدنى. وكان جهاداً شاقاً مكللاً بالنصر ، وأن سقط في ساحته القائد يحيى بن إبراهيم وأخوه أبو بكر والرأس المدبر لجمع شمل المرابطين : عبد الله بن ياسين.

وفي عام ١٠٦٠م بلغ المرابطون سهول الاطلانطي بزعامة يوسف بن تاشفين الذي جمع في شخصه بطولة الاميرين المحاربين ، وعقل المدبر: عبد الله بن ياسين.

تولى يوسف بن تاشفين الزعامة في سن الخمسين ، وحكم دولة المرابطين خمسين عاماً أخرى. حكمها بصرامة المتدين القانت ، واتساع افق القائد وحيلته ، وقد رأى أن يقيم مركزاً لدعوته وقيادته عند أقدام جبال الاطلس فكانت مراكش ، التي أنشأها سنة ١٠٦٢م ومنها أخذ

يستولى على المغرب الاقصى كله ، ومساحة واسعة من المغرب الاوسط (الجزائر) ولم يتخل عن تحركاته نحو السنغال جنوباً. فلم يحل عام ١٠٨٦ حتى كانت دولة الملثمين قد امتدت من غربي الجزائر شرقاً ، حتى المحيط الاطلسي غرباً. ومن السنغال جنوباً حتى بلاد الريف المطلة على بحر الزقاق شمالاً.

وهكذا يظهر لنا حسين فوزي مدى توسع فكرة المرابطون حتى وصلت إلى هذا القدر ويصل لنفس المفاهيم التي عرضها الدكتور / حسين فوزي من يقرأ كتاب الدكتور/ حسين مؤنس (١٨) وهو أيضاً من أعلام العارفين بتاريخ المغرب فمن يقرأ كتابه الأخير الذي صدر في الذكرى الأولى لوفاته والذي اصدرته دار الثقافة الدينية بالقاهرة عام ١٩٩٧م بعنوان : (وثائق الموحدين والمرابطين) يجد أنه توثيق وتحقيق عن كتاب وثائقي لعبد الواحد المراكشي وقد قدم له المحقق بمقدمة عن تاريخ المرابطين ودورهم في توحيد المغرب العربي ، ودورهم في صد حركة الاسترداد الصليبي ، ويتضمن الكتاب عدداً من الفتاوي الفقهية التي تتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في عصر (الموحدين والمرابطين)، ومن هنا يصل القارىء إلى أن الدكتور/ حسين فوزي والدكتور/ حسين مؤنس استطاعا أن يعرضا المفهوم الصحيح للمرابطين كحركة دينية اسلامية اجتماعية وكجزء من تاريخ الدولة العربية الاسلامية الكبرى. وهذا عكس ماينظر إليه البعض حالياً من أن المرابطين هم مجموعة من قبائل معينة لهم كرامات ويرتزقون من احياء ليالي الحضرة والبندير ، وهو تسطيح شديد للمفهوم ولايتسق مع التاريخ والمعنى القرآني العظيم للمرابطة في الاسلام.

ولعل في مقال الدكتور/ حسين فوزي بالاهرام الكثير من الصحة لأن كثير من قبائل المرابطين يقولون أن جدودنا الكبار في فاس ومكناس والساقيه الحمراء بالمغرب ولكن الغالبية العظمى منهم لايعرفون التاريخ الصحيح للتطور بصحراء

ليبيا وأما الرأي الذي يقول بأن قبائل المرابطون قد تكون هي القبائل المنحدره من المجاهدين الأوائل الذين قاموا بالفتح الاسلامي فهذا رأي أقرب إلى الصحة للأسباب التالية :

(أ) إن الاسم الصحيح لهذه القبائل هو قبائل المرابطون وهذا الاسم الذي جاء من المرابطة أو ملازمة المكان للجهاد وقد ذكر في كثير من الآيات القرآنية واستعمل منذ بدأ المسلمون في الجهاد في سبيل نصرة دين ا لله.

(ب) إن كلمة مرابط تثير في نفس البدوي شعوراً بالهيبه والرهبة لما لهؤلاء القوم من نسب شريف يرجع للمجاهدين الأوائل ، وحتى الآن يقولون (دستور هذا مرابط) ، وها هو معهد العلوم الاسلامية والعربية بنواكشوط عاصمة موريتانيا يصدر مجلة علمية فصلية أسمها (المرابطون) وقد صدر آخر عدد منها في مايو ١٩٩٧ (٤١).

(جـ) أن المرابطين قليلون في اقليم برقه وكثيرون في اقليم طرابلس ويعزي ذلك إلى وجودهم الأصلي في بلاد المغرب العربي ، ثم قدومهم إلى ليبيا واستيطان الغالبية منهم في الجزء الغربي من ليبيا.

إننا ندعو بالنصر لكل مرابط من المرابطين على اطراف الأمة الاسلامية في ازريجان والشيشان والبوسنة وكشمير وفلسطين والصومال وكل مرابط على طرف من اطراف حزام أمة المسلمين بالثبات والنصر المبين.

السعادي :

يقول محمد رجب الزائدي في كتابه قبائل العرب في ليبيا (٣٢) : أن قبائل بني هلال وبني سليم كانت تسكن بعاليه نجد بالقرب من خيبر ثم ارتحلوا إلى

الحجاز ودخل بعض منهم إلى صعيد مصر في الضفة الشرقية من النيل كمنفى لهم بأمر الخليفة العّباسي ، وذلك لشرورهم وهجومهم على القوافل وكثرة خلافاتهم ، ولهذا السبب أيضاً فكرت هذه القبائل في الترحال إلى المغرب بعيداً عن المشاحنات ومطاحنات الحروب وبحثاً عن الكلأ والماء.

والحقيقية أنه لولا دخول هذه القبائل إلى المغرب لما تمكن العنصر العربي ان يتغلب على العنصر البربري ويصبغ البلاد بالطابع العربي ولكان هناك نقصاً في عروبة المغرب ، وقد اقتحمت هذه القبائل برقه واستولت عليها واعجبت بها وكتبوا إلى من لم يهاجروا معهم يغرونهم بالارتحال ويصفون لهم جمالها واتسّاعها وخلوها من السكان.

كانت برقة آنذاك كثيرة المرعى خالية من السكان لأن سكانها من زناته حاربوا المعز لدين ا لله الفاطمي ففتك بهم وكاد ان يفنيهم ، فأقترعت القبيلتان على ليبيا فحصلت قبيلة سليم على الشرق وحصلت قبيلة هلال على الغرب ، وعاشوا على أطراف المدن تاركينها لحكامها الفاطميين.

ويتضح من كتابات المؤرخين امثال بن سعيد وابو عبيد البكري والرحالة التيجاني أن قبائل بني هلال وبني سليم غيرت مجرى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المغرب العربي وأن لهما الفضل الأكبر في تعريب المغرب جنساً ولساناً مما جعلهم يغتفرون لهم اعمال التخريب لما اسدوه من خدمة جليلة لهذه المنطقة العربية الشاسعة.

قبائل السعادي :

في مقابلة شخصية عام ١٩٧٥ مع السيد/ نصر محمد الدرسي وهو أحد أبناء قبائل السعادي ويعمل في وظيفة عامل بإدارة الفنون والآداب ببنغازي ويبلغ من

العمر حوالي خمسون عاماً - قال : " أن سعده هذه أم للسعادي جميعهم وهي زوجة لرجل يدعي (عقار) ولذلك قد يطلق على السعادي اسم (العقاقره) نسبة إلى ابوهم أو (السعادي) نسبة إلى أمهم سعده مع ملاحظة أن العقاقره خلاف العواقير فالقبيلة الأخيرة ليست إلاّ واحدة ضمن مجموعة قبائل السعادي أو العقاقره.

وقد ذكر أيضاً أن عقار هذا أنجب من سعده اثنين من الذكور وبنت واحدة أما الذكور فهم محارب ، وعلي ، فأما محارب فهو الولد الأكبر الذي انحدرت عنه قبائل الحرابي وهم كما يلي :

- العبيدات.
- البراعصة.
- عائلة فايد (وهم غير قبيلة الفوايد).
- الدرسة.
- الحاسا.

وأما علي فهو الولد الثاني وقد أنجب أثنا عشر ولداً وهم قبائل أولاد علي القاطنين في المنطقة الواقعة بين السلوم إلى مرسى مطروح وتمتد حتى غرب الاسكندرية.

وأما البنت الثالثة من نسل عقّار أو من نسل سعده فهي أم لقبائل البراغيث ، وهم كما يلي :

- العواقير.
- المغاربة.
- العبيد.
- العرفة.

ونجد أن أغلب كلام هذا الرجل العربي الدرسي مطابقاً للمراجع العلمية تقريباً ، مثل كتاب " محاضرات في تاريخ ليبيا " (٣٥) للأستاذ نقولا زيادة إلاّ أنه زاد عن الكتاب بأن أضاف قبائل أولاد علي إلى قبائل السعادي وهذا أمر صحيح ويؤكده الواقع.

بينما الأستاذ رفعت الجوهري في كتابه أسرار من الصحراء الغربية (٣٠) يقول : " أن قبيلة الجوازي من قبائل المرابطين الذين ترابطوا مع قبائل أولاد علي وتربطهم معهم صلة قرابة ونسب " وهذا كلام مغلوط فقبيلة الجوازي من أكبر القبائل العربية في صعيد مصر وأولاد علي من أكبر القبائل العربية في شمال مصر. والقبيلتان الجوازي وأولاد علي فعلاً لهم صلة قرابة فهم جميعاً من قبائل السعادي ، ويبدو أن الأستاذ الجوهري اختلط عليه الأمر بين المرابطين وبين ترابط القبائل.

ولابد أن نذكر أن قبيلة الجوازي وهي من قبائل السعادي الكبرى في مصر ومنهم الجوازي البيض والجوازي الحمر ، وهي كذلك من القبائل السباقة في تعليم أبنائها حيث وصل عدد كبير منهم إلى مناصب رفيعة تشّرف عرب مصر جميعاً مثال ذلك الفريق صفي الدين ابو شناف رئيس الأركان العامة للجيش المصري (سابقاً) أيام حرب الخليج ، وهكذا فإن قبائل العرب سواء من السعادي أو من المرابطين هم العرب الذين يرجعون " إما إلى قحطان وإما إلى عدنان وغيرهم يعتبر في نظرهم هتيم " (٢٢) أو هرتكيك.

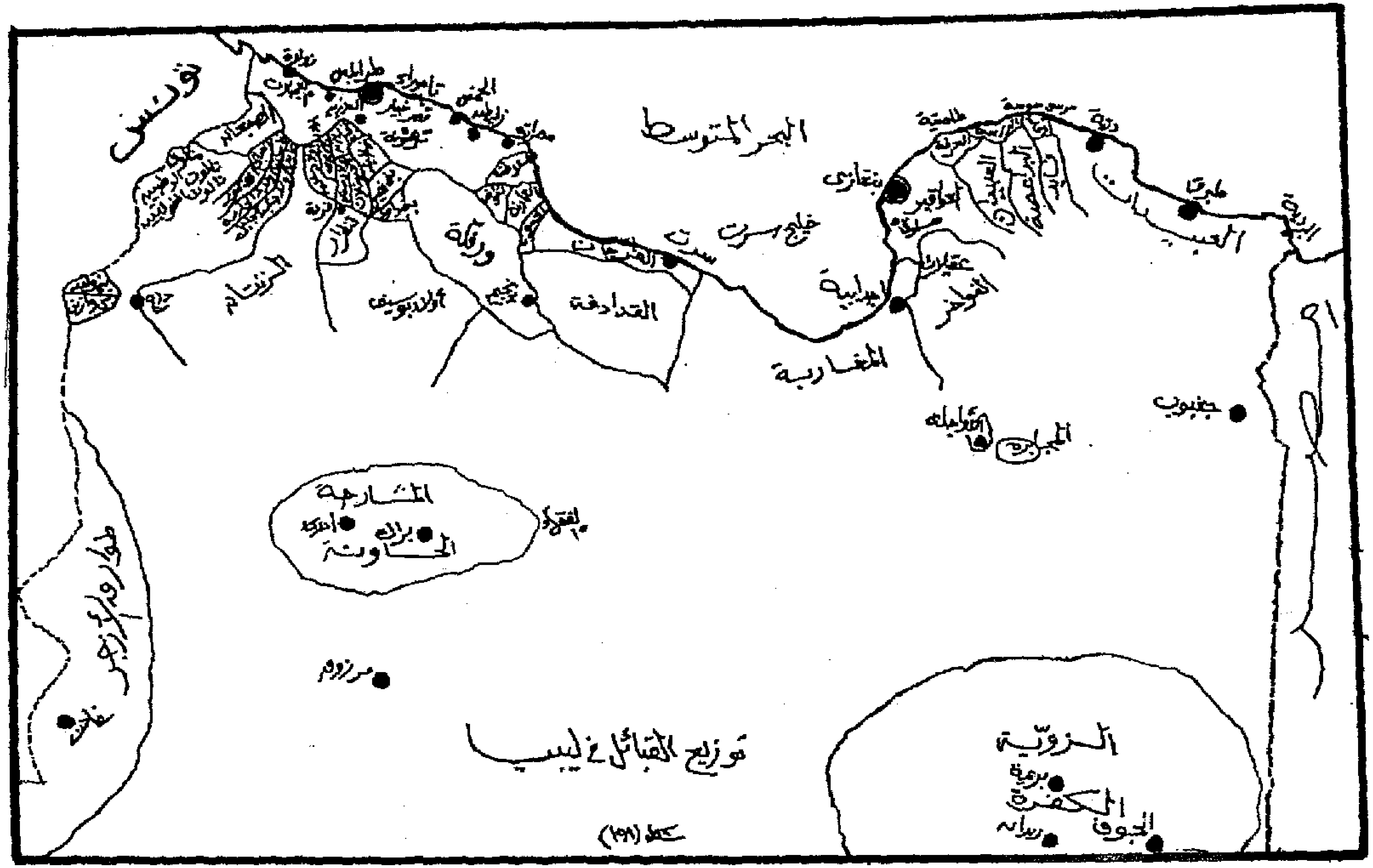

شكل (٦) مواطن القبائل العربية في ليبيا (اوجستين ١١ : ٤٠٦)

تفريغ خريطة توزيع القبائل العربية في ليبيا

م	ولاية برقــة		
	اسم القبيلة	الموطن	اهم المدن
١	العبيدات	من البردى إلى مرسى سوسه	درنه وطبرق
٢	العواقير	على ساحل بنغازي	سلوق
٣	المغاربة	على ساحل اجدابيا	اجدابيا
٤	البراعصة	للجنوب بجوار الدرسة	–
٥	الفواخر	للجنوب بجوار العقيلات	–
٦	العرفة	على ساحل طلميثه	طلميثه
٧	الدرسة	على ساحل مرسى سوسه	–
٨	عائلة المايد	للداخل بجوار الحاسا	–
٩	الحاسا	على ساحل مرسى سوسه	مرسى سوسه
١٠	العبيد	للداخل بجوار العرفة	–
١١	الجبارة	للداخل بجوار الاواجلة	الاواجلة

م	ولايــة فــزان		
	اسم القبيلة	الموطن	اهم المدن
١٢	الزوّية	واحة الكفرة	الجوف
١٣	المشارحة	واحه بجوار الفقهاء	ادى
١٤	الحساونة	واحه بجوار الفقهاء	براك
١٥	طوارق الازجر	على حدود الجزائر	غات

م	ولاية طرابلس		
	اسم القبيلة	الموطن	اهم المدن
١٦	الفرجان	ساحل خليج سرت	سرت
١٧	الحسون	ساحل خليج سرت	–
١٨	القذادفة	للداخل بجوار الفرجان	–
١٩	ورفلّة	للداخل بجوار ترهونة	بونجيم
٢٠	ترهونة	على ساحل طرابلس	قصر خيار
٢١	العجيلات	على ساحل طرابلس	زوارة
٢٢	ننطرار	للداخل بجوار الستة	قردة
٢٣	الصبعان	للداخل جنوب العجيلات	–
٢٤	الفوقيين	جنوب الصبعان	نالوت
٢٥	اولاد بوسيف	نوب ورفلّة	–
٢٦	الزنتان	للداخل بجوار بوسيف	درج
٢٧	بني نصير	جنوب ترهونه	–
٢٨	بني خليفة	جنوب ترهونه	–
٢٩	بني داود	بجوار بني نصير	–
٣٠	العجبان	بجوار ترهونه	العزيزية
٣١	اولاد عبد الجليل	بجوار أهل نالوت	–
٣٢	السلاطنه	بجوار الحمارنه	مصراته

سعد وحرام :

كما ذكرنا المرابطين والسعادي في صحراء مصر الغربية نذكر سعد وحرام في سيناء كما قدمهما نعوم شقير (٢٢) عندما قال : " من قبائل سيناء هناك قسمة قديمة العهد فهم بوجه الاجمال شطران : (شطر سعد) و (شطر حرام) وقد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال أن أنقسامهم هذا يرجع إلى مقتل الحسين ، فالذين غلبوا في تلك الواقعة قالوا (اليوم حرمنا النصر) فكانوا شطر (حرام) ، والذين فازوا قالوا (اليوم سعدنا) فكانوا شطر (سعد) ، ومنهم من قال أن (سعد وحرام) شقيقان عشقا فيما مضى بنت أمير فانقسمت العرب بهما قسمين ، قسم انحاز إلى سعد ، وآخر إلى حرام، وأهم قبائل سيناء من شق سعد : التياها ، والسواركة ، والرميلات ، والعيايدة، والسماعنة ، والاخارسة ، وأولاد علي - وهم غير أولاد علي في مرسى مطروح - والبياضين ، والقبائل التي من شق حرام هي : الطورة ، والحويطات ، واللحيوات ، والترابين ، والعقليين ، وهكذا في غرب مصر المزابطون والسعادي ، بينما في شرق مصر سعد وحرام ، ويبدو أن المصريين مغرمون بهذه الثنائيات رغم أن هؤلاء كلهم عرب شرفاء.

مواقف وطنية :

لم يتخلف العرب في مصر عن كل المواقف الوطنية والبطولية منذ مقاومتهم للحملة الفرنسية التي اعترف بها الفرنسيون في وثائقهم وحروب محمد علي التي أشاد فيها قادة الجيش بفرسان العرب من ثورة ١٩١٩ ومساندتهم لزعيم الأمة سعد زغلول أو أثناء حرب فلسطين في التجريدة وغيرها.

فهذا جمال بدوي (٣٨) في برنامجه التليفزيوني في التليفزيون المصري (حلقة الاربعاء ١٩٩٣/١١/٩) يقول : " استطاع فرسان العربان أن يناوشوا الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت ، وكان لهم دور عظيم في مقاومة الفرنسيين...).

وهذا (جومار) أحد علماء الحملة الفرنسية يقول في كتاب وصف مصر الجزء الثاني ص : ٢٠٧ "... لقد كانت فرقنا (يقصد فرق الفرنسيين) أمام العربان شهوداً على الوف الأساليب الجسورة والوقحة ، والتي تبعث على الدهشة دائماً ، ويجد المرؤ صعوبة في تصديقها على الرغم من كونها وقائع ، فكم من مرة أخفوا الخيول وهي على مقربة من فرسانها ، أو أخذوا الاسلحة من مواقع أو داورية استطلاع أو من الحراس أنفسهم ! ولقد كنا نرى هؤلاء الرجال يختبئون في النهار بين اكداس العليق (علف الحيوانات) ويسرقوننا بالليل ، وكنا نجدهم عراة يكادون يقطعون النفس بين هذه الأكوام ، ومعهم الأسلحة التي أخذوها ، بل لقد انتزعوا حقائب وبنادق من تحت رؤوس الجنود (الفرنسيين) ، وسرقوا السيوف وهي إلى جانب حقائب الضباط " انتهى كلام (جومار) وهي شهادة عدو يشهد لبراعة عدوة ، وهذه هي خلاصة للشخصية العربية ، شهامة حتى النفس الأخير طالما الأمر يتعلق بالبطولة والفروسية ومواجهة الأعداء.

وهذه الدكتوره/ إيمان محمد عبد المنعم اصدرت كتابها القيم بعنوان : "العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر" (٤٠) وتناولت فيه أحوال العرب في مصر وتقاليدهم وعاداتهم واظهرت الجوانب السلبية والايجابية لدورهم في العصر العثماني وفترة الاضطرابات التي سبقت مجيء الحملة الفرنسية والكتاب جيد لأنه يؤصل للعرب في مصر لأنه بحث علمي ولايؤخذ عليه غير استخدام كلمة (عربان) ومفردها (عراب) مثل (غربان وغراب) وكان ينبغي أن تستخدم كلمة (عرب) ومفردها (عربي) حتى تتفادى الخلط بين العربان والاعراب الذين هم (أشد كفراً ونفاقاً) والباحثة انقادت وراء ما كان يكتب في الوثائق المصرية عن أحوال العربان وقانون العربان وشيوع

استخدام هذا (المصطلح) ولا أدري من أتى به وألفه وينبغي أن نقول (العرب) والقرآن نزل بلسان عربي مبين وأفضل استخدام (قبائل العرب) عن أي التواء آخر.

من المواقف الوطنية لأبناء القبائل العربية في مصر:

في عدد اخبار اليوم بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦ قدم عبد الفتاح الديب تحقيقاً صحفياً هاماً نقدمه في هذا الكتاب وهو التحقيق الذي جاء حول المؤتمر الكبير الذي عقد للرد على بعض الاذاعات التي كانت تريد أن تسلب القبائل المصرية مصريتها التي هي أهم ماتملك ، وقد كانت المانشتات الرئيسية للتحقيق كما يلي : (في مصر ٧٣ قبيلة من أصل عربي) و (٨ مليون مصري عربي يعيشون من السلوم غرباً إلى سيناء شرقاً) و (الرجل الثاني في حزب الوفد بعد نفي سعد زغلول كان أحد زعماء القبائل العربية في مصر) .

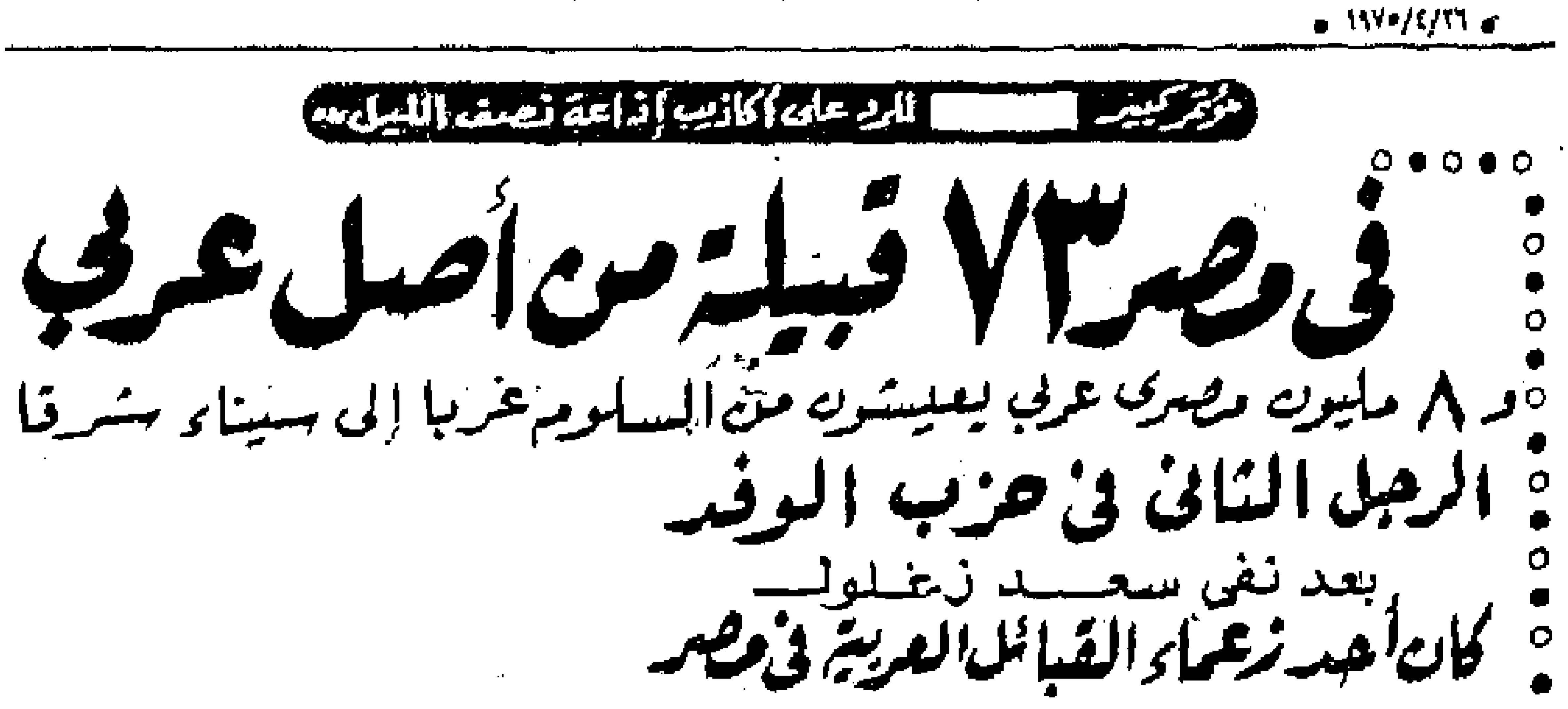
١٩٧٥/٤/٢٦
مؤتمر كبير للرد على أكاذيب إذاعة نصف الليل
في مصر ٧٣ قبيلة من أصل عربي
و ٨ مليون مصري عربي يعيشون من السلوم غربا إلى سيناء شرقا
الرجل الثاني في حزب الوفد
بعد نفي سعد زغلول
كان أحد زعماء القبائل العربية في مصر

شكل (٧) مانشتات تحقيق اخبار اليوم عام ١٩٧٥

ثم بدأ التحقيق على النحو التالي :

يعقد هذا الصيف مؤتمر كبير لابناء القبائل العربية في مصر. دعا إليه الاجتماع الذي عقد بمجلس الشعب برياسة محمود أبو وافية والذي حضره عدد من أبناء القبائل فما هي حكاية القبائل العربية في مصر ؟ أن عدداً من أبناء القبائل المصرية يروون التاريخ القديم والحديث لهذه القبائل في مصر.

في مصر ٧٣ قبيلة من أصل عربي عدد أبنائها حوالي ٨ ملايين يعيشون من السلوم غرباً إلى سيناء شرقاً ومن الساحل الشمالي إلى أسوان جنوباً.

أشهر هذه القبائل العربية قبيلة أولاد علي التي تعيش في مرسى مطروح والسلوم والبحيرة والاسكندرية والهنادي والسعديون والحويطات والمعاذة في الشرقية والدقهلية والفوايد والرماح والبراعصة والحرابي وسمالرس والضعفاء وخويلد وجهينة وبني سليم والجوازي في الفيوم وبني سويف والمنيا والجعافرة والبشارية في سوهاج وأسوان والمعاذة ومطير في سيناء والفرجان وقبائل المرابطين في الدلتا.

هذه القبائل لها تاريخ قديم في مصر أنها بدأت كما يقول محمد للوم المحامي (من الفوايد) أيام الفتح الاسلامي حيث كانوا يسمونهم (عرب مصر). واشتهروا أيام الفتنة الكبرى ضد عثمان بن عفان وكان قائدهم محمد بن أبي بكر. وقد اختلطوا بالمصريين وتزوجوا منهم. وأيام حكم الفاطميين حضرت إلى مصر قبائل بني سليم وبني هلال من الجزيرة العربية واستوطنو الوادي وعاشوا على حدود مصر من الشرق ومن الغرب وامتدوا إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وامتدت جذورهم في الشرق إلى السعودية والاردن وفلسطين وسوريا. ولكن كانت القبائل العربية المصرية هي القاعدة القوية والغنية لكل هذه القبائل في الشرق والغرب.

وعندما اندلعت الثورة العربية الأولى في الشرق - والكلام مازال لمحمد الموم - كان زعماء الثورة يستميتون بالعرب المصريين في كل شأن من شئونهم. وأيام الاستعمار الايطالي في ليبيا سارع المصريون العرب إلى معاونة الليبيين بالسلاح وبالنفس .. وأمدوا المناضل عمر المختار بكل مالديهم من معونة. ويقول خيرا لله فضل عطيوة من مرسى مطروح (من قبيلة أولاد علي) أن هذه المساعدات من عرب مصر سجلت في مذكرات عمر المختار. ويضيف أنه مسجل في سجلات المخابرات الانجليزية أن الانجليز طلبوا من أولاد علي الانفصال عن مصر وتكوين امارة خاصة بهم ولكنهم رفضوا وتمسكوا بولائهم لمصر وانتمائهم لوطنهم.

العرب في التجريدة :

وفي تاريخ مصر الحديث كان العرب المصريون هم قوام جيش محمد علي وإبراهيم باشا في فتوحاته الكثيرة وكانوا يلبون النداء بشجاعة كما يقول عبد الستار المصري .. ومن هنا نشأت فكرة اعفاء العرب أبناء القبائل من التجنيد إلا في وقت الحرب وكانوا يسمون هذا النظام (التجريدة) وكان هذا النظام متبعاً حتى تقدم نواب من العرب أنفسهم وطلبوا في مجلس النواب ١٩٤٧ أن يتقدم العرب المصريون للتجنيد كغيرهم وفعلاً تم هذا وانخرط كثير منهم في صفوف الجيش المصري كضباط وجنود واستشهد منهم كثيرون في مختلف المعارك التي خاضها الجيش المصري.

دنشواي .. في سيناء :

وفي ثورة عرابي يحكي التاريخ قصة شهيرة حدثت في سيناء.. ويرويها سالم اليماني من سيناء فيقول : أن الانجليز ارسلوا رسولاً من عندهم اسمه

(بارنر) ومعه ٣٠ الف جنية لاستمالة بعض قبائل سيناء ضد عرابي. ولكن البدو قتلوه رغم حاجتهم الشديدة للمال وتمسكوا بانتمائهم لمصر ولابن مصر الذي قاد الثورة ضد القصر.. وأيامها أقام الانجليز (دنشواي) في سيناء قبل دنشواي المنوفية.

وفي ثورة ١٩١٩ حينما قبض على سعد زغلول ونفي . كان رفيقه في المنفى مع الآخرين المرحوم حمد الباسل (أحد زعماء القبائل العربية في مصر).. وحينما اشتد الارهاب الانجليزي في مصر تقدم ليقود حزب الوفد في غياب سعد زغلول المرحوم مصري باشا السعدي (أحد زعماء القبائل العربية في مصر) وظل يقود حزب الوفد حتى افرج عن سعد ورفاقه.

شكل (٨) صورة للشيخ حمد الباسل أحد كبار شيوخ القبائل العربية في مصر (متعقد في الجرد) في يمين الصورة بجوار رفيق الكفاح والمنفي زعيم الأمة ومفجر ثورة ١٩١٩ سعد باشا زغلول الذي يتوسط الصورة بينما جلس مصري السعدي من القبائل العربية المصرية أيضا على يمين الزعيم

ويحكى عبد الستار المصري قصة القبض على حمد باشا الباسل (من قبيلة الرماح) وإقامة محكمة انجليزية تتولى محاكمته في ميدان قصر النيل بطريقة علنية. يومها وقف حمد الباسل وقال كلمته في وجه المستعمرين (لكم أن تحكموا علينا.. وليس لكم أن تحاكموننا.. مرحباً بالموت). وفعلاً حكموا عليه بالاعدام ولكنهم لم يجرؤوا على تنفيذ الاعدام واكتفوا بنفيه.

وقد ضحى الباسل بالكثير من ماله ورجاله أيام الحروب بين الايطاليين والليبيين وكان يرسل لليبيا الرجال والعتاد وقد ارسل أخاه وقبض عليه هناك.

ويقول التاريخ أن اهالي برقة فروا من ليبيا بمواشيهم وبكل مايملكون واتجهوا إلى مصر يطلبون الحماية والامان فتنازل لهم حمد الباسل عن ٥٠٠ فدان من أرضه مزروعة برسيماً لمواشيهم. وكان الباسل في هذا الوقت مثقلاً بالديون.

ويقول السعدي عبد الحميد السعدي عضو مجلس الشعب (من قبيلة الفوايد) أن القبائل العربية في مصر لها ماض مشرف فقد وقفت في وجه أعداء الوطن وفي وجه الأسرة المالكة .. وهي قبائل مصرية تنتمي لمصر ولايمكن أن تبيع ولاءها وارتباطها للأرض التي أرتوت بدماء أبنائها.

عزل سيناء :

أن المفهوم الذي أراد له الاستعمار أن يسود هو أن الصحاري حزام أمن لمصر ومعنى هذا عزل سيناء عن مصر وهي امتداد طبيعي لمحافظة

الشرقية. وقد حاول الاستعمار دائماً أن يفرق بين القبائل في سيناء وبين الشعب المصري وفشل على امتداد ٤٦ عاماً.. كان المحافظ الانجليزي له مساعد مصري .. وكانت تعليمات المحافظ لمساعده : (لا تنفذ طلبات مشايخ القبائل أو العمد. أرفض كل طلباتهم). وكان المساعد المصري في حدود الأوامر يقول للمشايخ والعمد : لا وهذه هي أوامر المحافظ .. فإذا ذهبوا للمحافظ الانجليزي اجابهم إلى طلباتهم في الحال .. ورغم هذه الطريقة الخبيثة ظلت قبائل سيناء على ولائها وحبها لوطنها مصر.. وزال المستعمر وبقى الوطن وحدة قائمة.

كان تركيز الاستعمار أثناء الاحتلال هو عزل القبائل العربية عن وطنهم مصر - هكذا يقول مأمول مشالي (من قبيلة الجعافرة بأسوان) - وكانت أجهزة الإعلام أيام الاستعمال تصور العرب المصريين على أنهم يريدون العيش بمفردهم وتبذر بذور الشك بينهم وبين أهل وطنهم ولكن مصرية القبائل العربية تغلبت على كل هذا .. وذاب أبناء القبائل بين أهليهم وجرفتهم المدنية وربما نسوا انتماءهم إلى تلك القبائل.

أهل الحضر .. وأهل الوبر :

يقول عطية حتيتة (من أولاد علي) : أن القبائل العربية فيهم أهل الحضر أي الذين يسكنون المدينة .. (وأهل الوبر) أي البادية وهم الذين يسكنون على أطراف الوادي من الجانبين وكانت مهمتهم حراسة الحدود وهؤلاء مازالوا حتى اليوم متمسكين بتقاليد البادية وعاداتها. ومن أهم مظاهر هذا التمسك بالتقاليد : مواعيد الصلح أو (حق العرب) وله قواعد راسخة لايحيدون عنها وهو نوع من القضاء الشعبي له بنود غير مكتوبة مثل قاعدة : (الخطأ فيه العطاء) ويعني أن المخطىء يلتزم بالتعويض ولاينفذ فيه

الاكراه البدني. أن القبائل العربية المصرية هي جزء لاينفصل عن الشعب المصري من خلال تاريخه القديم والحديث .. هكذا يقول محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب (أحد أبناء أولاد علي) .. وهيهات أن يشتري إنسان التاريخ .. أنه ليس ملكاً لأحد .. بل هو ملك الاجيال .. وهي حريصة عليه.

حتى هنا انتهى تحقيق عبد الفتاح الديب في اخبار اليوم والذي قدم فيه نبذة من تاريخ هذه القبائل التي تتغنى بحبها لمصر وتفخر بمجد مصر التي كرمها ا لله بذكرها في أكثر من موضع في كتابه العزيز وهذا قمه المجد من كل أطرافه.

* الفلاحون والعرب في نجع واحد :

ماسبب وجود عائلات من الفلاحين يعيشون وسط النجوع العربية ويعلنون إنتمائهم لبعض القبائل العربية ؟

إن ذلك يرجع إلى فتوحات إبراهيم باشا بن محمد علي باشا في حروب السودان والفتوحات الافريقية حيث قام معه فرسان العرب متطوعون ، وأبلى الكثير منهم بلاءً حسناً كما لو كانوا مدرّبين في الجيش ، فاعترف لهم بذلك وحيث أن هؤلاء الفرسان مدربون ومتطوعون ومستعدون للنزال ولايتهربون منه بالتالي فليس هناك داع لأن يدخلوا الجيش كمجندين ، وفعلاً صدر فيما بعْد قانون العربان سنة ١٩٠٥ الذي يتضمن أن العربي لايدخل الجهادية ، وليس هنا مجال نقد لهذا القانون الذي له سلبيات عديدة لأنه سقط بالفعل وألغي بعد قيام الثورة ، وقد كانت الجهادية صعبة في ذلك الوقت فإذا لم يكن هناك حرب ذهب الجنود للعمل بالسخرة في شق الترع والمصارف والقنوات ، وليس امام الفلاح المصري خيار فإما أن يدخل الجهادية أو أن يدفع الفدية (البدلية) وكان مقدارها عشرون جنيهاً وبطبيعة الحال كان هذا المبلغ مستحيلاً على كل الفقراء ، فبلغ

ببعضهم الأمر أن يقطع اصبع يده اليمنى (السبابة) حتى يعفى من الجهادية وذلك حلاً للمعادلة الصعبة ، وهي عدم وجود العشرين جنيهاً مع عدم القدرة على

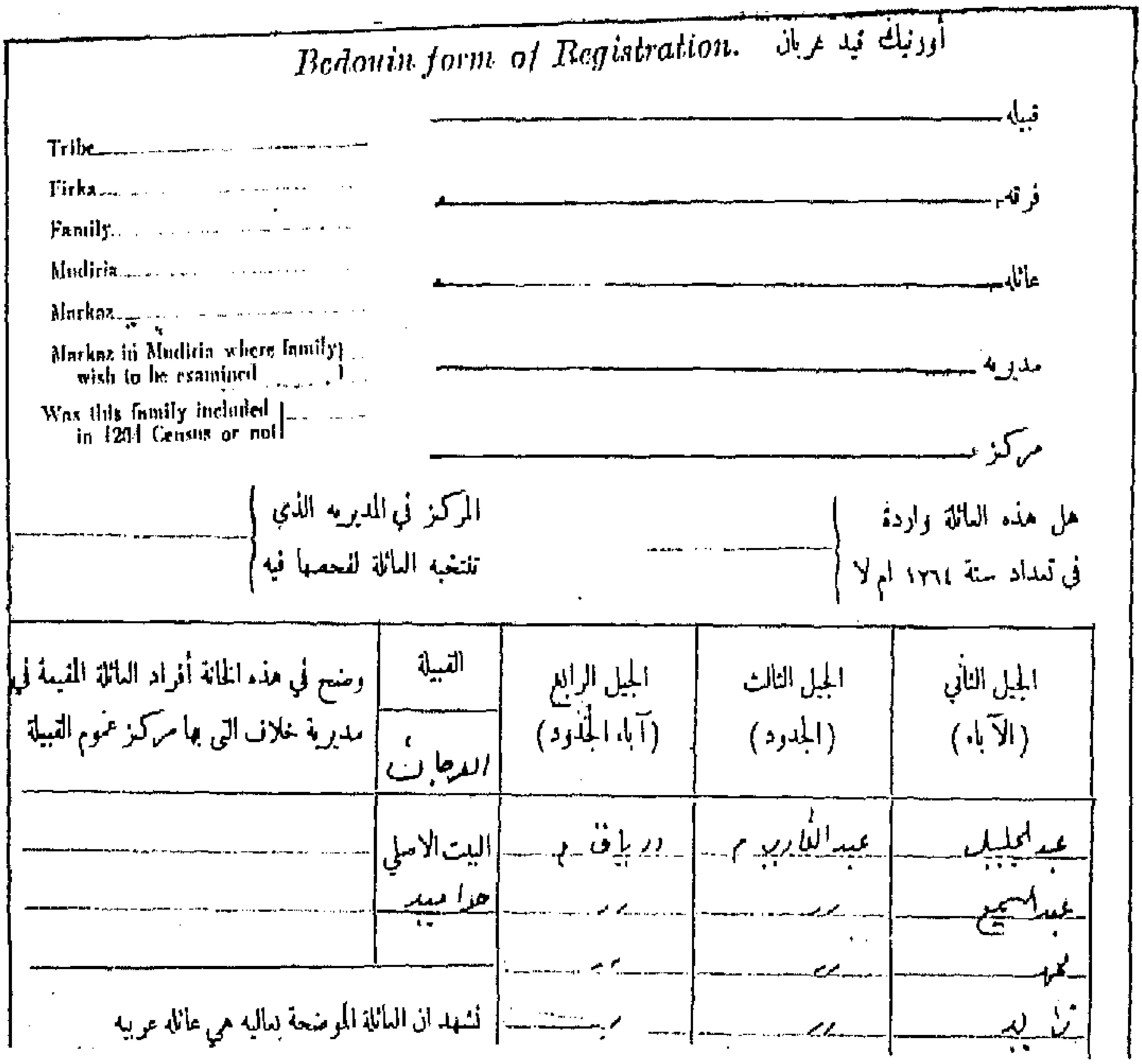

Bedouin form of Registration. أورنيك قيد عربان

قبيله ——

فرقه ——

عائله ——

مديره ——

مركز ——

Tribe ——

Firka ——

Family ——

Mudiria ——

Markaz ——

Markaz in Mudiria where family wish to be examined ——

Was this family included in 1264 Census or not ——

هل هذه العائلة واردة في تعداد سنة ١٢٦٤ ام لا ——

المركز في المديريه الذي تنتخبه العائلة لفحصها فيه ——

الجيل الثاني (الآباء)	الجيل الثالث (الجدود)	الجيل الرابع (آباء الجدود)	القبيلة	وضح في هذه الخانة أفراد العائلة المقيمة في مديرية خلاف التى بها مركز عموم القبيلة
			الرجبان	
عبد الجليل	عبد الله ...	...	البيت الاصلي	
عبد السميع	//	//	...	
محمد	//	//		
...	//	//		نشهد ان العائلة الموضحة بعاليه هي عائله عربيه

شكل (٩) نموذج قيد لتسجيل أبناء القبائل العربية في مكتب كل قبيلة بالمدرية قبل الغاء قانون العربان من تراث الشيخ عبد الجليل عبد القادر

مشقة الجهادية ، ومالبث بعض الفلاحين من القرى المجاورة للعرب أن وجدوا حلاً جديداً ومبهجاً تمثل في أن يذهب الفلاح لأي شيخ عربي لكي يكتبه معه في مكتبه كابن من أبناء قبيلته ، وكان للشيوخ صلاحية ملء نماذج تبين سلالة كل أبناء القبيلة وتودع في المدريات التابعة لنظارة الداخلية ، ولم يجد الشيوخ مشقة

في كتابة أسماء فلاحين محل المتوفين من أبناء القبيلة ، ويملأ له النموذج المطلوب في مقابل أن يعيش معه ويخدمه في أغراض أيسر من مشقة الجهادية مثل الفلاحة والزراعة والرعي ، ومالبث العرب والفلاحون معاً أن وجدوا في هذه الحيلة ضالتهم المنشودة فالعربي لايجيد أعمال الزراعة بل وكان يتأفف منها لأنه فقط كان يجيد الغزو والسفر للواحات والتجارة وغيرها وفي نفس الوقت فهو في حاجة للعمل الزراعي ، وهنا أصبحت المصلحة مشتركة فدخل الفلاحون بذلك إلى نجوع العرب وأقاموا بها وتكلموا بلهجتهم وتغنوا باغانيهم واندمجوا تماماً في القبيلة التي انتسبوا إليها ولكنهم معروفون بالاسم والعائلة مهما كان الاندماج في الشكل والملبس واللهجة والعادات والتقاليد ، وبعضهم نجح في الزواج من عربيات من القبائل خاصة بعض البيوت الفقيرة ولكنهم يجدون صعوبة في ذلك بل وتعتبر من الاحداث الغريبة ، والآن فإن هذه البيوت غير العربية المستندة إلى قبيلة معينة كبرت وأصبحت قادرة على محاربة القبائل العربية ذاتها ، ولكن الأغلبية منهم حتى الآن مازالوا فقراء ويعرفون اقدار الناس وملتزمون تماماً بالتقاليد التي توارثوها.

* مظاهر المدنية :

هذا تراث اجتماعي يكاد أن يندثر أمام الحضارة الطاغية المتسللة إلى أقصى شرايين الأرض ، واشعر بما يحدث لهذه التقاليد أمام تيار المدنّية الذي ظهر في مجتمعات القبائل العربية في السنوات الأخيرة ، نظراً لبداية الهجرات العكسية والانتقال إلى المدن وتعليم أبنائهم وانتشار التعليم بالعدوى الصحية أو الغيرة المفيدة ، ثم انتشار الترانزستور واخيراً الكهرباء التي جعلت هذه المجتمعات تنفتح إنفتاحاً شبه كاملاً على الحضارة من أوسع أبوابها. وقد ساعد على ذلك انتعاش الحالة الاقتصادية للقبائل العربية في الصحراء الغربية في السنوات الأخيرة وبالتحديد منذ بداية عام ١٩٦٠. حيث بدأت أولى رحلاتهم للدول البترولية ، وبدأت الحالة الاقتصادية تتحسن شيئاً فشيئاً كلما زاد عدد المرتحلين ذهاباً وإياباً ،

وبدأ التطور بالتدريج حيث ظهر أولاً في الثياب ثم شمل المنازل فتغيرت بيوت الخيش أو الخيام وحل محلها بيوت الطوب اللبن ، ثم تحولوا بسرعة مدهشة إلى بيوت الأسمنت والطوب الأحمر أو مايسمونه بالدواوين ، ومع بداية اقتناء بعضهم للسيارات حدث أن توقفت الرحلات البترولية او تقلصت ، ومع ذلك ظلت الحالة الاقتصادية في التقدم نظراً لاكتشافهم عن طريق بعض زرّاع الأرض من محافظات الوجه البحري أنهم يسكنون فوق كنوز لم يستغلوها منذ زمن بعيد هذه الكنوز هي الصحراء ذاتها ، إذ تمكن هؤلاء الزرّاع من زراعة الأرض الرملية البور بالبطيخ وأصبح إنتاج الفدان الواحد من هذه الرمال يقارب الألف جنيه في عام ١٩٨٠ وربما يزيد إذا كان الإنتاج مبكراً ، وقد تخوف البدو من الزراعة واكتفى البدوي أن يؤجر هذه الأرض الصحراوية مقابل مبلغ يتراوح من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ جنيهاً للفدان. ولكنه سرعان ماالتقط الخيط حينما تعّرف على تجار البطيخ أو أصحاب الشوادر الذين يدفعون للزراع مقدماً مقابل توريد المحصول إليهم ، وبرع العرب في زراعة البطيخ ليجدونها أربح وأحسن من تنقلاتهم في المدن أو خارج الحدود ، وبدأوا في التمدين وتغيير العادات سواء في الافراح أو المآتم أو التقاليد والأعراف ويبدأ بعضهم يسكن المدن وربما يملك فيها عقارات كما يملكون السيارات والشاحنات ، وهنا نقول أنه منذ الستينات وحتى الآن تشهد القبائل العربية فترة من التغيير الشامل في جميع نشاطات الحياة ، أو هي ولادة جديدة وسريعة لمجتمع جديد ومتغير ، ولما كانت الولادة تتسم بالعسر والصعوبة ، فإنهم بالفعل مع موجة الاقتصاد الفجائي المرتفع تغيرت بعض عاداتهم ، ومن ملك منهم الأموال أراد أن يبني مسكناً كبيراً على عادة البدو دائماً في الميل إلى الاشياء الكبيرة أو الناصعة الألوان ، وهنا تذكر كل منهم قطعة أرض قديمة كان يقطنها عمه أو أهله من قبل ، فأراد أن يأخذها عنوة ممن يسكنها ويضع يده عليها ولو بالقوة ، ومن ترك قطعة أرض منذ سنين وهي صحراء جرداء لاماء فيها ووجد أن زراعة البطيخ مثمرة ورائجة ، أراد أن يستردها فوجد عليها من هو متمسك بها وحدث أنّ أغلب هذه الأراضي إما ملك للدولة أو ملك لاشخاص وأخذت بوضع اليد ، ومن هنا بدأت المنازعات والخصومات

والمشاحنات الشديدة على المباني وفتح الأبواب الجديدة ومساحة الشوارع وحدود الأرض الزراعية ، وكثرت المشكلات والجرائم بين العرب أنفسهم وزاد عددها عما كان مألوفاً لديهم من قبل ، ولكن هذه الموجة من الجرائم والجنايات مالبثت أن انحسرت وهدأت بعد أن شاهد الجميع نتائجها المخزية والمخرّبة على اقتصادهم وعلاقاتهم الاجتماعية ، واستوعبوا الدرس ورضخوا لكلام الله : (ولاتدلوا باموالكم إلى الحكام) ووجدوا أن مصاريف المحاكم أصعب عليهم من الجرائم نفسها ، فارتدع الكثير منهم ورضى اغلبهم بما لديه.

ولكن هذه الولادة العسيرة تفتق عنها ميلاد مجتمع جديد اختفت فيه جميع المظاهر الاجتماعية التي كانت تربط وشائج هذا المجتمع ، بما يجعلني اقول أنه مجتمع اغتالته يد الحضارة ، وربما كان هناك من القيم والتقاليد العربية ماكان يستحق أن يتغير لسلبيته ولكونه لايتفق وطبيعة البشر ، ولكن في مجمل القول فإن أغلب ما كان لديهم وماتمسكوا به من قيم كان صالحاً ومفيداً ، وان الكثيرين منهم الآن ذاهبون مع تيار الحضارة مستغرقين في زخرفها لايدرون إلى أين ، ومن هنا كانت هناك ضرورة قصوى أن تجري البحوث والدراسات والمؤتمرات على هذه المجتمعات ، والتي ينبغي أن تتبناها الجامعات الاقليمية بغرض التنمية البشرية ، ولاسيما اقسام الاجتماع وكليات العلوم الاجتماعية وعلماء الاجناس والانثروبولوجيا وغيرهم ، وسيجدون أن هؤلاء القوم لهم مميزات هامة ينبغي دراستها وعلى رأسها أنهم رغم السنوات الطويلة من الفقر والفاقة إلا أنهم أميل إلى التعفف ، وحينما فتحت أمامهم الطرق إلى الدول المجاورة لم يشأ أي منهم أن ينتقل بحياته إلى هناك بل كانت مصريته ووطنيته في مقدمة كل شيء وكان يذهب فقط ليرتزق ثم يعود للوطن ، وربما كانت نسبة الهجرة في جمهورية مصر العربية من المدن للخارج إلى أوروبا وأمريكا أكبر من نسبة الهجرة لدى هؤلاء القوم من العرب ، انهم يميلون للارتباط بأرضهم التي ألفوها وزويهم الذين لايفتأون يذكرون كل فرد منهم بأسمه ، ومن هنا أيضاً كانت هناك ضرورة لمزيد من الدراسة والبحث.

الفصل الرابع

الصحراء ومقومات الحياة

تعريف الصحراء :

الصحراء اسم سحري مليء بالاسرار ، وهي لاتقل خطورة عند التوغل فيها عن التوغل في المحيطات ، بل هي الجانب المقابل أو العكسي للمحيط المائي ، ومن هنا أطلقوا على الجمل سفينة الصحراء فهناك الماء وهنا الجفاف ، وهناك الامواج وهنا الكثبان ، وهناك ماء وسماء وتيه ، وهنا أرض وسماء وتيه ، وهناك وحوش ضارية ، وهنا وحوش أكثر ضراوة ، يالها من متناقضات وسبحان ربي العظيم ، ورغم أن الإنسان ممكن أن يضّل في الصحراء وتبتلعه إلاّ أن أهل الصحراء أدرى بدروبها ، على شاكلة (أهل مكة أدرى بشعابها) فأهل الصحراء بخصائصهم الجسمية استطاعوا التكيف معها والحياة فوق رمضاء رمالها بل وعشقها والتغني بها وبلياليها ، وهناك تعريفات عديدة للصحراء يمكن طرحها فيما يلي :

يرى عبد الحليم منتصر في كتابه (صحاري مصر) أن الصحراء هي البرية التي لاماء فيها ولانبات بل مناطق بها رمال جافة ، ويسكن بعض ارجائها بدو رُحَّل لهم جَلَد شديد على احتمال الحياة الصحراوية القاسية قليلة المطر ، ويعترف (منتصر) بأن تحديد المفهوم العلمي للصحراء صعب كما أن تحديد معنى الجفاف وقلة المطر غير يسير.

أما صلاح الفوال فيعّرف الصحراء في كتابه (تنمية المجتمعات الصحراوية) قائلاً : " أن الصحراء لفظ يطلق على بقعة من الأرض محددة أو غير محددة تمتاز بالجفاف والنضوب في معظم ارجائها الشاسعة والخالية من مظاهر الحياة العادية ، بحيث لايؤمها غير جماعات سّيارة تجوبها بالطول والعرض بحثاً عن أسباب الحياة في ابسط مظاهرها".

وهذا أ.ف. جوفييه يعرفها في كتابه (الصحراء) (٢) الذي ترجمه أحمد كمال يونس قائلاً : " أدخل الفرنسيون كلمة صحراء Sahara في لغتهم للدلالة على تلك المنطقة الشاسعة من شمال افريقيا ، والمتميزة بندرة المطر ، بل وانعدامه كلية، ولسنوات عديدة ، وهي تمتد من المحيط الاطلسي غرباً حتى وادي النيل شرقاً ، بل ربما تصل في امتدادها إلى البحر الأحمر - مادام وادي النيل نفسه ليس إلا رقعة ضيقة تدين بحياتها لانسياب مياه نهر أصله غريب عن الصحراء - بل ربما استمر الامتداد شرقاً حتى الخليج ليشمل بذلك الجزيرة العربية ، ومن جنوب مراكش حتى السنغال جنوباً.

ويرى هنري دفرييه (في نفس المرجع السابق) أن أصل تسمية صحراء جاءت لكونها مساحة شاسعة مهجورة Desart. أما الجيولوجي الفرنسي بومل فيرى أن الصحراء هي الأرض الصلبة Dilly ، فالصحراء الكبرى معظمها هضاب صخرية تعلو مستوى الرمال المتحركة المحيطة بها بتسعة أضعاف مساحة الرمال ولذلك فإن الرأيان السابقان (مساحة شاسعة مهجورة وأرض صلبة) رأيان يستجيبان لواقع الحال.

وهناك أسماء كثيرة لأجزاء هذه الصحراء معروفة لدى أهل الصحراء مثل : (الغرد) جمع غردة وهي التلال التي تمثل المرتفع الكبير من الرمال وهي أقل من الجبال وأكبر من الكثبان الرملية ، و(السافي) وهي التلال الصغيرة التي تتكون بفعل حركة الرياح التي تنقل الرمال معها ، وعند اصطدامها بأي نبات صحراوي تتوقف وتصنع كومات صغيرة من السافي ، ولذلك نجد السيدة البدوية التي تندب عزيزاً لديها تقول :

هابا ياليّاس الهافـــــــي ∴ ياخسارة في ردم السافـــــــي

هض موش حليب مخلّـــــط ∴ هذا شيّ حليبه صافـــــــي

وطبعاً نحن ننكر هذه العادة السيئة والمنهى عنها وهي (الندب على الميت) ولكن لندلل فقط على أن (السافي) يأخذ أشكالاً على مسطح الصحراء مثل أشكال القبور.

و(السيف) وهو انحناء رملي على اطراف التلال وقمته العلوية مسننة كالسيف ويأخذ شكل انحناءة السيف ، و(السريرة) وهي الامتداد المسطح المكون من خليط من الرمل والزلط وهي دائماً شاسعة الاتساع وأيضاً هي التي يتوه فيها المسافرون أحياناً ويضلوا طرقاتها ودروبها لأنها خالية من العلامات ، وعادة مايصاحب المسافرون فيها خبراء من العرب ، وكما يقولون في تمجيد الخبراء الذين لايضلون الدروب :

خبير اصلانـــــــــــــــــي ∴ لايكذب ولايتيهر على السخـــــــان

أما المكونات الرملية للصحراء فهي (الرمال الناعمة) ، و (القـظّ) وهو حَبات الرمال الاكثر سُمكاً من حَبات الرمال الناعمة ، (والزلط) وهو أكبر من (القَط) ، (والصوان) وهو أكبر من (الزلط). وهكذا لكل مكون من مكونات الصحراء أسمه ومدلوله لدى العرب.

شكل (١٠) أشكال من الصحراء

الأسم	الشكل
السيف رمال لها حد علوي مائل كالسيف.	
الغرد جمع غردة وهي أكوام متتالية من الرمال الناعمة أكبر من الكثبان وأقل من التلال.	
السافي الذي يظهر في وسط الصورة وهو رمال ناعمة تتحرك مع الرياح لتصنع كومات متنقلة.	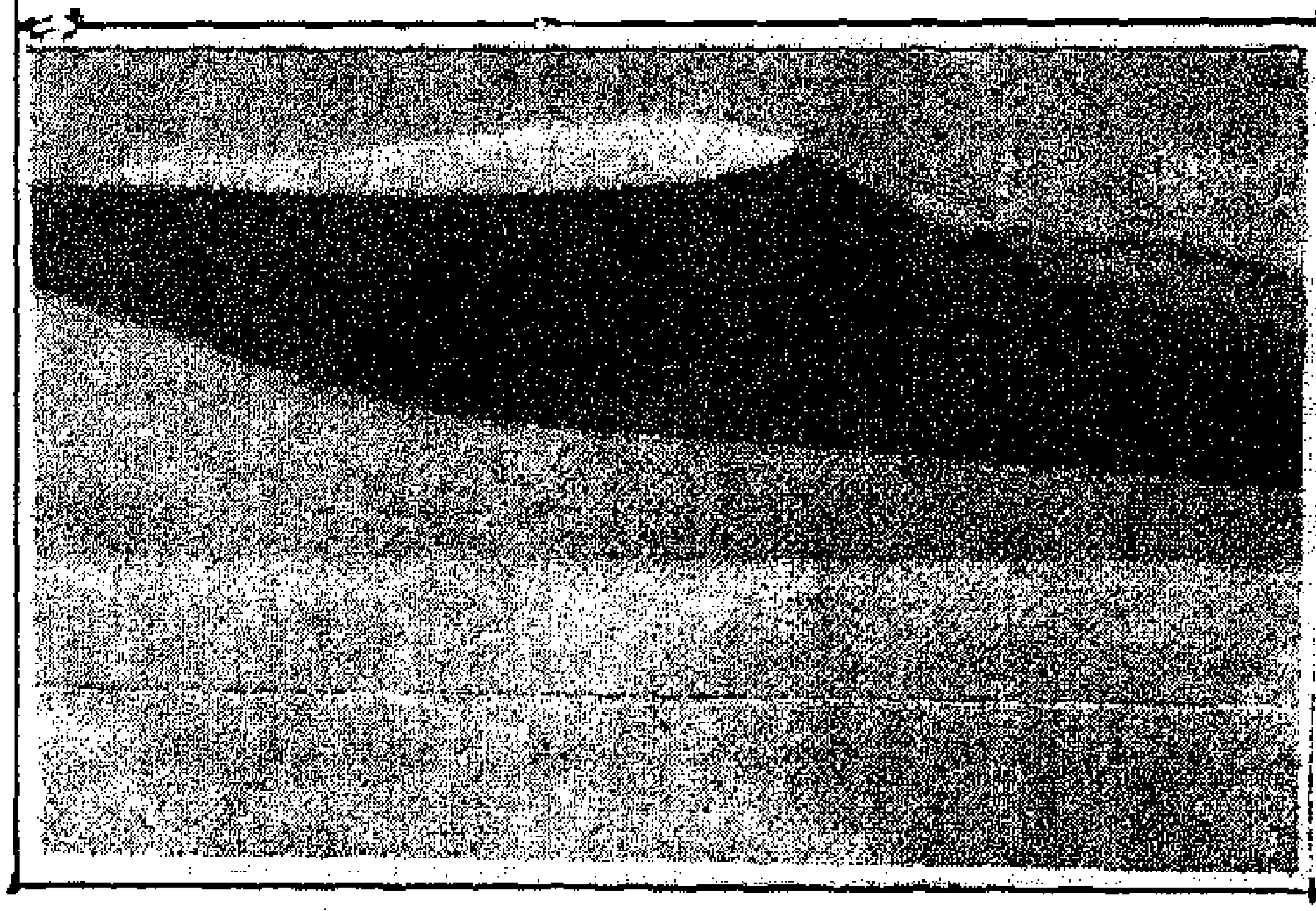

والنباتات النادرة التي تنبت في الصحراء هي (حطب الجبل) وهو نبات يشبه شجر (الاثل) ولكنه اصغر حجماً ، (والعَقُول) وهو نبات شوكي غير مرتفع ولايزيد عن ٥٠ × ٥٠سم وتفضله الأبل في غذائها ، (والعفرج) وهو يشبه (العقول) وبنفس حجمه إلا أن الابل والاغنام لاتأكله بل يضرب به المثل في تركيبه المعقد فيقولون : (رأسها كيف العفرجاية) أي أنها بنت دميمه شعرها أكرت ومعقد مثل العفرج المتشابك في تركيبه ، (والسفساف) وهو نبات صغير تفضله الاغنام وينبت في الخفوج القريبة من مصادر المياه ، أو المناطق الغنية بالمياه الجوفية وهو يشبه النجيل ولكنه سهل القطع ، وهناك الكثير من النباتات والمكونات التي تحتاج للمتخصصين حتى تدرس الصحراء وتستنطق خيراتها.

وهكذا يتضح الاجماع على أن الصحراء مساحة شاسعة ، ومهجورة أو قليلة السكان ، كما أنها قليلة المطر وتتسم بالجدب والجفاف وهذه في نظري تعريفات جغرافية ركزت على الموقع الجغرافي والمظاهر العامة ولكن النظر للصحراء حينما يكون بالعين التي تنظر للموارد فإن القضية تختلف فالمسألة تنمية موارد سواء للمواد الخام أم للبشر أنفسهم ، وبعد ذلك لن ينظر للصحراء على أنها جفاف وجدب ، فأين هذا التعريف من المدن التي انشئت في الصحراء سواء في مصر أو السعودية أو ليبيا ، مدن كاملة بطرقها ومصانعها على أحدث ماوصل إليه العصر من العمارة. لذلك لاينبغي أن ينظر للصحراء على أنها جدباء في الوقت الذي يحاول العالم فيه البحث عن الحياة فوق القمر أو تحت المحيطات المائية ، ومن هنا فإن هذا الكتاب دعوة للنظر للصحراء بعين التقدير لأنها تملك حلولاً عديدة لمشكلات التحدي الحضاري ، وأنها تمثل طموح التنمية للمستقبل ولذلك فإن الصحراء ليست دائماً جدباً وقفراً وفي نفس الوقت فهي في نظر أهلها الحصن والملاذ ولذلك نجد السيدة العربية وهي تغني لطفلها الرضيع (الترجيب) فإنها تدعو ربها وتقول :

خليه ليّ خليه ليّ يبني بيت كبير غربيّ ..... الخ

أي يارب خليه أو حافظ عليه ليشب ويكبر ويبني بيته الكبير في الناحية الغربية أي ناحية الصحراء وليس ناحية النيل ، حيث أن وجوده في الناحية الغربية التي هي صحراء واسعة أكثر أمناً في نظر أمه من وجوده في أي ناحية أخرى. ومن هنا فإن تعريف الصحراء من وجهة نظر أهلها سيكون على الأرجح مختلفاً عن كل ماقدمناه ، وعندما نتمعن في أنواع العرب وإنسابهم وندرك النظام القبلي وقوانينه ونتعمق في نشاط السكان في هذه الصحراوات سيتضح تماماً أن الصحراء ليست بهذه السطحية التي ينظر بها البعض إليها. وتؤكد دراسات اليونسكو تحت اسم (الدراسات الصحراوية) أن هذه الدراسات تشمل فروع عديدة من العلوم كعلم الجيولوجيا (جيولوجيا العصر الرباعي ، والمياه ، والتغيرات المناخية ، وقياس وتحديد أعمار العروق والصخور ، وعلم الأبواغ وحبوب اللقاح .. وغيرها) وأيضاً علوم الحياة مثل (علم البيئة والهندسة الوراثية والزراعة والنبات والحيوان بكافة أنواعه وأقسامه) - وهذا الجانب هو الذي ينتمي إليه بحثنا الحالي - وتشمل الدراسات الصحراوية أيضاً (الهندسة المدنية ، والهندسة المعمارية ، وتخطيط المدن ، وغيرها) وهكذا فإن الدراسات الصحراوية تتضمن جوانب العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ، فهي عالم كبير يستحق هذه الجهود البحثية الجادة التي تنير الطريق أمام روّاد الصحراء من أجل التنمية الشاملة بيئياً وبشرياً ومن أجل خير الإنسان.

مقومات الحياة في الصحراء :

اعترف عاشق الصحراء السير ويلفرد مؤلف كتاب (رمال عربية) سنة ١٩٥٩ كما قدمته جريدة التايمز اللندنية وترجمت له جريدة الشرق القطرية ، اعترف بحتمية التطوير ، وقال عن مدينة أبوظبي أنها (أصبحت مدينة عصرية رائعة) وكان من قبل يعتقد أن الحضارة مفسدة للطبيعة ، وهو الذي عبر صحراء

الربع الخالي بالسعودية عام ١٩٤٦م مع مرافقين من خبراء العرب على ظهور الأبل ، ويتفق هذا الرأي مع رأي ديكسون في كتابه (عرب الصحراء) الذي ألفه بالانجليزية منذ ستين عاماً وترجم أخيراً بالعربية (٤٢) حيث يرى أن المستقبل للصحراء ولأهل الصحراء ، فضلاً عن اشادته بتقاليد أهلها ، وهذا هو الرأي الذي نراه لمستقبل الصحراء بل نرى فيها الأرضية الخصبة للتنمية في مصر ، ولاندعو إلا لتعمير الصحراء ولكن بشرط ألا ننظر إليها على أنها جرداء ولكن ننطلق من فهم الصحراء ومقوماتها وخبرة أهلها ولانقتحم عليهم حياتهم ثم ندعهم يتضورون ، وعلى سبيل المثال هذه المنتجعات العظيمة التي اقيمت مؤخراً في شرم الشيخ وسيناء لم تترك لأهل الصحراء إلا بعض الخيام بعيداً عن الساحل لتقدم كمتنجعات من الدرجة الأخيرة ، وليس هذا موضوعنا الرئيسي حيث أن الانطلاقة الكبرى لمصر الآن هي في ذلك الوادي الجديد الذي يشق الصحراء الغربية موازياً للوادي القديم ، فهذا هو مفتاح آفاق التقدم والتنمية والرخاء ، وياحبذا لو تم تنمية مقومات الحياة في الصحراء وهي المتمثلة في النخيل والأبل والاغنام وتطوير الصناعات البدوية القائمة على الاكتفاء الذاتي من النسيج والصباغة وعصر الزيتون وتربية قطعان الأغنام والأبل على المراعي الواسعة والاستفادة بأهل البدو وخبراتهم في هذا الاتجاه بل والأخذ بيدهم على طريق التنمية والحضارة.

ونقدم هنا لثلاثة نماذج من مقومات الحياة في الصحراء وهي النخلة والجمل.

١) النخيـل :

تناول محمد بن سليمان التويجري في بحثه القيم المنشور بمجلة اليمامة السعودية (٧) موضوع النخيل ونقتطف منه مايلي :

النخلة التي نعتز بها لانعرف عنها كثيراً من المعلومات المهمة التي تحتويها هذه الدراسة ، فهي شجرة عريقة ولها منزلة خاصة في قلوب أبناء الوطن العربي، الذي يتميز باتساع رقعته وترامي أطرافه وتنوع مناخه ، والذي يساعد على انتشار زراعة نخيل البلح في مناطق كثيرة منه بل إن التنوع أدى إلى نجاح أصناف معينة في منطقة دون أخرى وقد مارس العرب منذ القدم فن زراعة ورعاية نخيل التمر مما كان له الأثر الأكبر في انتشارها في كثير من مناطق العالم والنخلة تحتاج لتعريف بقيمتها وأهميتها فقد ذكرت وكرمت بالقرآن الكريم وذكرها الرسول الأمين ، وتغنى بها الشعراء والأدباء وافتخر باقتنائها الملوك والأمراء والأغنياء.

وفي كتب اللغة النخل شجرة التمر. يُذكّر كما في قوله تعالى " **واعجاز نخل منقعر** " ويؤنث كما في قوله تعالى : " **كأنهم اعجاز نخل خاوية** ". قيل إن النخل مأخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه.

يقول تعالى : "**والنخل باسقات لها طلع نضيد** ". ويقول : " **ماقطعتم من لينه أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله** ".

قال تعالى : " **فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً** ".

وجاءت النخلة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً مثال ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن أبا الهيثم بن التيهان لما ضافه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جاءهم بعذق فقال له : هلا انتقيت لنا من رطبه. فقال أحببت أن تنتقوا من بسره ورطبه.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي ا لله عنه قال قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من تصبّح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولاسحر.

وعن عائشة رضي ا لله عنها قالت : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: " بيت لاتمر فيه جياع أهله ".

يقول الرسول صلى ا لله عليه وسلم : " من الشجر شجرة تكون مثل المسلم هي النخلة ".

وعن علي بن أبي طاب رضي ا لله عنه قال قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم اطعموا نساءكم الولّد (وقت الولادة) الرطب فإن لم يكن رطب فالتمر وليس من الشجر أكرم على ا لله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران.

وعن عبد ا لله بن جعفر قال رأيت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب.

إن النخلة من أقدم الاشجار التي عرفها الإنسان فزرعها قبل أربعة آلاف عام. وهناك عدة أنواع من أشجار النخيل منتشرة في مناطق العالم إلا أن مايهمنا هو نخيل التمر الذي يتبع رتبه بالمي وعائلة بالميس وجنس فينكس والنوع داكتيليفرا حسب تصنيف العالم لينيوس. وتعد العائلة النخيلية من أقدم العائلات النباتية المزهرة ، وتضم هذه العائلة حوالي ٢٢٥ جنساً وحوالي ٢٦٠٠ نوعاً.

شكل (١١) أثر النخيل في الحياة الاسلامية العربية

الأسم	الشكل
١- النخلة: أهم اشجار الصحراء التي تتحمل الجفاف ، ويستفاد بكل جزء منها في المأكل والمسكن والتدفئة وحتى في شكلها العام وإنحناءات جريدها له أثر على التصميم الاسلامي والعربي في العمارة والبواكي.	
٢- منظر داخلي لمسجد: تظهر به الأعمدة والبواكي المقوسه التي تبين مدى خصوصية العمارة الاسلامية تلك الخصوصية التي اكسبتها المكانيه العالمية في فن المعمار فلابد لهذا الإبداع المعماري من منابع ومصادر من البيئة العربية ذاتها.	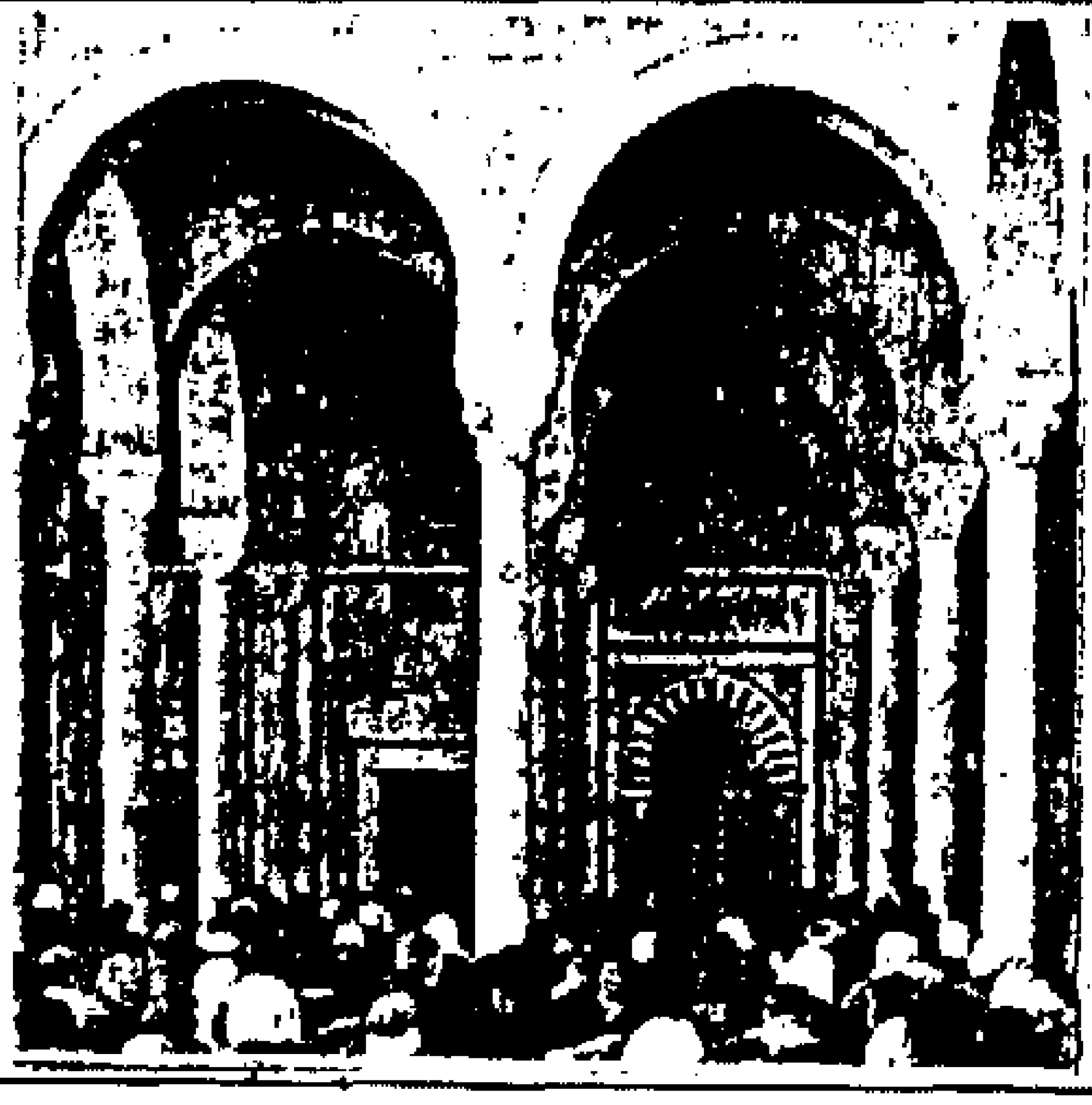
٣- منظر داخلي لمسجد من ايران: ويظهر التصميم المعماري للأعمدة والبواكي وكأنها مزرعة او كرم من النخيل فهل هناك علاقة بين الإبداع ومنابع الابداع المعماري.	

التكوين والنمو :

إن أشجار النخيل عموماً من النباتات ذات الفلقة الواحدة فلا يوجد لها كامبيو محيطي ولذلك يبقى الجذع ذا قطر واحد ومحيط ثابت مهما تقدمت النخلة بالعمر خاصة إذا استمرت العمليات الزراعية مثل الري والتسميد دون تغيير.

والنخلة لها مجموع جذري جيد يصل تعمقه في التربة من ٤ - ٨ أمتار ومعظم الجذور تكون منتشرة في المنطقة من ٣٠ - ١٥٠ سم من سطح التربة ، وتعمق الجذور يعتمد على صفات التربة فكلما كانت ثقيلة كانت الجذور سطحية وتتعمق أكثر من ذلك في التربة الخفيفة ، كذلك مستوى الماء الأرضي إذا ارتفع قل تعمق الجذور وبعكس معظم النباتات فإن أشجار النخيل لاتموت إذا غمر مجموعها الجذري بالماء. ولها قدرة على سرعة إنتاج جذور جديدة تحل محل ماتفقده ، ثم نصعد لأعلى لنجد الجذع أو الساق الذي قد يصل ارتفاعه إلى ٣٠م في بعض الاصناف وعادة تكون الساق خالية من التفرعات وتغطي بليف ينمو من قواعد الأوراق يحيط بالساق ويحميها من الظروف المناخية السيئة كالبرد الشديد والحرارة العالية. وفي قمة الساق هناك برعم طرفي ضخم مسؤول عن النمو لأعلى وهو مايسمى بالجمار يزداد النمو السنوي الطولي للساق بمعدل ٣٠ إلى ٩٠ سم باختلاف الأصناف والظروف البيئية المحيطة وعمليات الخدمة ، أما بالنسبة لقطر الساق فيتراوح بين ٤٠ إلى ٩٠ سم باختلاف الأصناف.

الجذع والجريد :

وفي قمة جذع النخلة هناك مايسمى بالتاج المكون من عدد من الأوراق والتي تسمى الجريد وهي نصل طويل مرن يختلف طوله باختلاف الأصناف وعمر النخلة ، ويتراوح طول الجريدة الواحدة من ٩٠ إلى ١٢٠ سم للفسائل الصغيرة أما البالغة فيتراوح طولها من ٢٧٠ إلى ٤٨٠ سم ، مع إمكانية أن يصل

في بعض الأطوال إلى ٧ أمتار وتنتج النخلة سنوياً من ٨ إلى ٢٠ جريدة أو ورقة وتتجمع الأوراق أو الجريد في قمة النخلة ليصل مجموعها من ٣٠ إلى ١٥٠ جريدة حسب الصنف والظروف البيئية وعمليات الخدمة ، تبقى الجريدة لمدة تتراوح مابين ٣ و ٧ سنوات تقوم بجميع وظائفها ثم تجف وتتدلى لتزال بالتقليم.

وتجدر الإشارة إلى أن الجريدة مثل ريشية مكونة من وريقات تخرج من المحور الرئيسي للورقة تسمى سعف ، والمحور الرئيسي يعرف بالجريد أو العسيب ويغطي الخوص ٦٥٪ من طول الجريدة. الجزء السفلي من الجريدة والمتصل بالجذع يسمى بالعنق أو الكرنافة وقد يسمى قحفاً في بعض المناطق. فالكرنافة تمتد حول الجذع وتزداد في العرض وتقل في السمك كلما قاربت من منطقة اتصالها بالجذع وتنتهي بالغمد الليفي الملتصق بها عادة والذي يحيط بقاعدة الجريدة وبالجذع ولونه بني وقاعدته بيضاء أو مصفرة ، ووظيفة الليف زيادة متانة الجذع وعمل طبقة عازلة تقي النخلة من التقلبات الجوية السيئة.

وعموماً فإن الجريدة أو الورقة تبلغ أقصى طول وعرض لها بعد مضي ٦أشهر من بدء ظهورها من البرعم الرئيسي والنخلة النشيطة تعطي عدداً أكبر من الجريد مقارنة بالضعيفة وفي الصيف يتكون جريد أكثر مما يتكون في الشتاء كذلك النمو صيفاً اسرع منه شتاءً.

الحرارة والرطوبة :

أشجار النخيل ثنائية المسكن أي أن الأزهار المذكرة تحمل على نبات والأزهار المؤنثة تحمل على نبات آخر.. تحمل النخلة المذكرة عادة مابين ١٠-٢٠ سباطة سنوياً بينما النخلة المؤنثة تحمل في المتوسط مابين ٦-١٨ سباطة سنوياً وقد لاتحمل شيئاً في بعض السنوات بسبب مايعرف بظاهرة المعاومة أو تبادل الحمل وكما يقولون : " سنة للفلاح وسنة للبّلاح " وتتحمل أشجار النخيل حتى درجة

حرارة ٥٢°م لكن أفضل نمو خضري يتم عند درجة حرارة ٣٢ - ٣٨°م ولاتتحمل انخفاض درجة الحرارة عن ١٢°م تحت الصفر ويمكن اعتبار الرطوبة النسبية والأمطار أهم العوامل في تحديد انتشار زراعة نخيل البلح تجارياً.

كلما زادت درجة الحرارة وقلت الرطوبة النسبية تحسنت صفات نضج الثمار. وينبغي أن تكون فترتا التلقيح ونضج الثمار خاليتين من الأمطار وذاتا رطوبة منخفضة. ولقد وجد أن أشجار نخيل البلح المزروعة في الأرض الرملية أبكر في الاثمار عن مثيلاتها المزروعة في الأرض الطينية ، وتعد أشجار النخيل من أكثر أشجار الفاكهة تحملاً لملوحة التربة ولذلك تنجح زراعتها في كثير من الأراضي التي لاتصلح لزراعة أشجار الفاكهة الأخرى ، وهكذا فإن أراضي قناة توشكي صالحة تماماً تربية ومناخاً لزراعة مزارع من أجواد أصناف النخيل.

وتبدأ أشجار نخيل البلح في الإنتاج اعتباراً من السنة الرابعة أو الخامسة من الزراعة في الأراضي الرملية بينما تثمر في السنة السابعة أو الثامنة إذا زرعت في أرض خصبة لأن الأشجار التي تزرع في أرض خصبة تتجه للنمو الخضري بصورة اساسية مما يؤخر من عملية الأزهار والاثمار.

مراحل الإثمار:

تتكون الثمار بعد عملية التلقيح والإخصاب وتمر الثمرة بعدة مراحل لنضجها :

- المرحلة الأولى : حجم الثمرة مثل حبة الحمص وتستغرق ٥ أسابيع بعد التلقيح.
- المرحلة الثانية : حجم الثمرة مثل الزيتونة لونها أخضر فاتح ويكون ذلك على الأغلب في شهري يونيه ويوليه.

- **المرحلة الثالثة :** البسر تصل الثمرة لاكتمال نموها وتأخذ شكلها المميز ثم يبدأ التحول من اللون الأخضر إلى الأصفر والأحمر وتستمر ٥ أسابيع.

- **المرحلة الرابعة :** الرطب واكتمال تلون الثمار حيث تبدأ مرحلة الارطاب من رأس الثمرة على الأغلب وفي بعض الأصناف قد لاتمر الثمرة بهذا الطور ، طور الرطب إنما يتغير لونها إلى البني المحمر.

- **المرحلة الخامسة :** التمر أو اكتمال مرحلة الرطب في الأصناف شبه الجافة وتفقد الثمار جزءاً من الماء وتصبح أقل عرضة للتلف مما يمكن من حفظها في هذه المرحلة لفترات طويلة دون تلف وفيه تتركز المادة العسلية للتمر وهو آخر أطوار ومراحل نضج الثمار. وقد تتداخل مراحل النضج بحيث يمكن الحصول على الأطوار الثلاثة الأخيرة البسر والرطب والتمر على عذق واحد وربما شمروخ واحد بسبب اختلاف كمية الضوء والحرارة والرطوبة التي تتعرض لها كل ثمرة.

ويمكن وضع التمر في ثلاث مجموعات بناء على نسبة الرطوبة والسكريات :

المجموعة الأولى : البلح الرطب : نسبة الرطوبة عالية أكثر من ٣٠٪ وثماره تحتوي على صفر سكروز.

المجموعة الثانية : البلح الجاف : نسبة الرطوبة أقل من ٢٠٪ وثماره تحتوي على كميات متساوية من السكروز والسكريات المختزلة.

المجموعة الثالثة : البلح نصف الجاف : نسبة الرطوبة تتراوح بين ٢٠-٣٠٪ وتحتوي الثمار على نسبة مرتفعة من السكروز.

القيمة الغذائية والطبية للتمر :

من الأمور العجيبة في التمر أن تناوله يساعد على الهدوء والراحة النفسية لذلك فهو يوصف للعصبيين وأصحاب المزاج الحاد ، والمضطربين فهو أفضل من المهدئات الكيميائية التي تسبب الإدمان والخمول ، كذلك فالتمر سهل الهضم فهو يهضم في المعدة خلال ساعة تقريباً ويساعد الجسم على التخلص من

الإمساك لأن له أليافاً سيللوزية تساعد الأمعاء على حركاتها الاستدارية وبذلك يكون التمر ملينا طبيعياً إلى جانب أن التمر غذاء فهو فاكهة وشراب ودواء وحلوى فالتمر يتركب من الآتي :

- ٢١٪ ماء وعدد كبير من الفيتامينات.
- ٢.١٪ بروتين مثل أ ، ب١ ، ب٢ ، ب٧.
- ٠.٨٪ دهون.
- ٧٣٪ سكريات.
- ٣.٤٪ ألياف.

وفي النهاية فإننا في مصر لا نرمي من النخلة شيئاً فالجريد يستخدم كأسطح للمنازل فوق افلاقها ، وفي الاقفاص الحاملة لخيرات مصر وسعفها في أدوات الفلاح من القفف والمقاطف والاطباق وعراجينها مكانس وشعب وشند للبن ، وحتى السل يرشق فوق الجدران التي تستخدم لحفظ الزرع ، وكرانيفها للمواقد وثمارها تؤكل غضة ويانعة بسر ورطب أحمر وأصفر وأخضر وسبحان القائل : "... **ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل**" أنها شجرة مباركة ينبغي تطويرها وعدم التفريط فيها في مشروعاتنا الجديدة بالصحراء.

٢) الإبـل :

الجمل هو سفينة الصحراء والساعد الأيمن للمقيم بها ، وهو آية من آيات خلق الله ، انظر إلى قوله تعالى : "افلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" ويقول الرحالة أحمد حسين في رحلته عبر الصحراء الغربية ، الجمل إذا سافر لمنطقة لاينساها مهما طال الزمن ، وقد يهرب الجمل بعد أيام من السفر ويعود للواحة التي انطلق منها ، وعند السير بالقافلة تلتصق الجمال ببعضها دون ربطها بحبال ، وتعرف الجمال في مصر بسلالات مثل مولد ومشرقي وغرباوي وسوداني ،

واعلاها شأناً (المولد) أي المولود في ريف مصر فهو اضخم واقوى ، واسرعها عدواً ، الغرباوي وجسمه نحيل وقصير، والمشرقي ذو عنق طويل والسوداني تلتصق أذناه برأسه التصاقاً ملحوظاً ويجلب للذبح ، وفي تحقيق قدمه عاطف النمر بجريدة الشرق القطرية ١٩٩٧/١/١٧ (٣٦) أن الإبل تقاوم العطش ١٤ يوماً في الصيف و٦٠ يوماً في الشتاء ، ويستمر في تحقيقه فيقول :

هل راقبت الجمل يوماً ما في حله وترحاله يرعى حول المضارب بشكل دائري حيث يعود إلى المكان الذي انطلق منه في دورة الرعي الخاصة به.. وهل شاهدته وهو يقضم هذا النبات ويرعى ذاك وهو يسير دون أن يشعر راكبه أنه توقف ؟

وهل تصدق أن حرارة الرمال تصل أحياناً إلى أكثر من ٧٥ درجة مئوية فتختفي كل الكائنات الحية وتهرب بعيداً باحثة عن مأوى يقيها لهيب هذه الرمضاء، إلا الجمل فيعدو فوق هذا اللهيب بخطى ثابتة وبسرعة ثابتة وبشكل دؤوب ومستمر.

الإبل عريقة كالتاريخ فقد عرفت منذ أن عرف التاريخ رافقت الإنسان في رحلة كفاحه الطويلة ومنذ أن عبرت من القارة الأمريكية حيث ماتزال إلى اليوم فيها أنواع من الجمال تعرف بـ " اللاما " إلى آسيا عبر الممرات الجليدية بين القارتين والمسماة اليوم " بحر بيرنج " والموجود بين سيبريا والاسكا وتشير الدراسات إلى أن الإنسان استأنس الجمل وبدأ الاستفادة منه منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد كما دلت الكشوف الأثرية.

أما في العصر الجاهلي وفي العصور التي تلته فقد ملأت الإبل على الإنسان العربي حياته فكانت عونة في حله وترحاله ولولا الجمل وصبره ومثابرته وتحمله لما استطاع العرب أن يجوبوا الصحراء ويقطعوا فيافيها ويكتشفوا معالمها منذ قديم

الزمان فكتبوا عنها ووصفوها قبل الكتاب الغربيين بزمن طويل ، وكما ملأت الجمال على العربي حياته فقد ملأت لغته وامثاله وأشعاره وكانت الإبل دراهم العزب وأموالهم حتى أنهم سموها بالمال ومن أمثالهم " اللقوح الربعية مال وطعام " وكانوا يقدمونها مهراً للفتاة ودية تفض بها المنازعات والمعارك وحتى مناداة الإبل وسيرتها انفرد بها العرب دون غيرهم بتفصيلها فالحداء هو حث الإبل على السير والجأجأة دعاء الإبل إلى الشراب ، أما الهأها فهي الدعاء إلى العلف في حين أن الابساس هو الدعاء للحلب ، فإذا قال لها : (هو هوب) تشرب ، وإذا قال لها : (حَتّ) ترجع ، وإذا قال لها : (إخ) تبرك ، وهكذا الإبل قوية مطيعة ذلولة تستجيب لابسط الكلمات ، وتخضع لقيادة طفل لولا أنها تخزن الغضب.

إذا كان شراب الجمل بعد صيام اسبوعين في الصيف هو الماء المالح أو المر أو ماء المستنقعات فلا يختلف طعامه عن ذلك كثيراً وإذا كان للأغنام والماعز والابقار نباتات مفضلة ونباتات غير مستساغة فالجمل يقنع بالقليل من القليل.

أن غذاءه المفضل من النباتات الشوكية التي لاترعاها بقية الحيوانات الأخرى حتى أن كثيراً من النباتات الصحراوية نسبت إليه فهناك شوك الجمل وهو نبات صحراوي وهناك كعوب الاباعر وهو نبات شوكي لاترعاه ماشية قط إلا الجمال ومثلها خف الجمل وشدق الجمل وغيرها من النباتات البرية الشائكة التي ترعاها الجمال ، وتفضل الجمال الحمض وهي النباتات الحامضة أو المالحة على الخلة وهي النباتات الأخرى فيقال " إبل حمضية إذا رعت الحمض " ويقال " إبل خلية " إذا رعت الخلة وترعى الجمال الثندي والعفرج والرمث والثمام وغيرها من النباتات الأخرى دون أن تلحق الضرر بها.

ومن بين النباتات تستطيع الإبل الاستفادة من المياه بحيث تحصل من النباتات الربيعية الغضة الخضراء على مايزيد على ٣٠ لتراً من المياه يومياً وتقل هذه الكمية

كلما كانت النباتات جافة ، وفي الصيف تفضل النباتات العصيرية والملحية التي تنمو في الصحاري ، ويتوافر هذه النباتات الشوكية الخشنة والملحية والمرة لايتأثر وزن الجمل صيفاً ويزداد في الشتاء والربيع عند توافر المرعى وبشكل وفير.

سلوك وعادات : للإبل سلوك وعادات تثير الدهشة والاعجاب في انفسنا نحن بني البشر فيفضل الجمل الحياة الاجتماعية مع أفراد جنسه والإبل في المرعى تسير قطعاناً وتؤثر حياة البادية والبعد عن الناس والضوضاء على طبائع الجمل وسلوكه فهو وبرغم كبر جسمه وضخامته حيوان وديع انيس يخاف من فأر أو جربوع يقفز فجأة أمامه أو وحش ضار يباغته ليفترسه عندما يفر هارباً بكل ما أوتي من قوة وتتبعه باقي أفراد القطيع وتبقى الجمال هاربة مثيرة خلفها أعمدة من الغبار حتى يضنيها التعب أو يدركها اصحابها على ظهور الخيل.

أما الحنين إلى الوطن والمكان الذي ولدت فيه فهو من تمام تلك المعجزة لدى سفينة الصحراء فالجمل يحن دوماً إلى موطنه الاصلي الذي ولد فيه ورعى في مراعيه وشرب من مائه ولذلك يحاول البدو دائماً شراء صغار الإناث من الإبل قبل ان تلد ويروي أحد البدو الساكنين في جنوب المغرب أنه باع إلى رجل من "تيمبو كاتو" بعض الإناث ، وتمكنت هذه الإناث فيما بعد من الهروب والعودة إلى موطنها الاصلي قاطعة بذلك أربعة آلاف كيلو متر خلال ثلاثة شهور.

أما حنو الناقة على مولودها فيضرب به المثل وربما كانت الإبل أكثر الحيوانات حنواً وعطفاً على صغيرها واشدها حزناً عليه عندما تفقده وتبدو الناقة كئيبة وبحالة قلقة غير مستقرة إذا فقدت وليدها فهي تبحث عنه في كل مكان في المرعى وحول المضارب وإذا لم تجده وقفت بمكان ظاهر وأخذت تصيح فكأنما تناديه. والعرب يصفون الناقة بالحنانه فيقولون : (ريتي ضنا الاجواد ياحنانة) ، أو (حنت حنين وماحنين احوار) وهكذا ، ومن عادة العرب في أسلوب تعاملهم مع الحيوان أنهم يخففون من حزن الناقة إذا فقدت وليدها وذلك بحشو جلده

بالتبن أو القش ويقدم لها وهذا مايسمى " البو " أو أن يأتوا برضيع آخر لتتسلى به فتشترك ناقتان في العطف على المولود الصغير وإذا نحر هذا المولـود أو أبعد عنهما حزنت عليه الناقتان معاً أمه التي ولدته والأم التي تبنته.

ومن طريف سلوك الإبل أنها تطرب للحداء والغناء خاصة ليلاً فتجدّ السير وتواصل الرحلة ، والحداء نوع من الغناء عرف في الجاهلية وتوازي حركته حركة سير البعير.

وللجمال قدرة قوية لاكتشاف قطيع آخر من الجمال وعلى مسافة تصل إلى أكثر من عشرة كيلومترات وذلك بواسطة حاسة الشم القوية عندها وتستطيع شم رياح المطر البعيدة في الصحراء والاستدلال على المطر وإذا سمحت لها الفرصة فإنها تهاجر إلى المناطق التي سقط فيها المطر مؤخراً.

أن سبب تسمية الجمل سفينة الصحراء كونه الحيوان الوحيد الذي اذعنت لصبره ومثابرته رمال الصحراء الواسعة ودانت لقوته البيداء المترامية الأطراف ويميزه خفة المكون من الجلد السميك الذي تصنع منه الدروع الحربية قديماً فلا يتأثر بحرارة الرمال عندما تذروها الرياح فرموش اجفانه الطويلة تشكل حماية لعينيه من رمال الصحراء إذا ماسار بعكس اتجاه الريح.

وبالرغم من أن الجمل يستطيع العدو سريعاً كما في سباق الهجن التي تقام اليوم ولكنه يفضل المشي المنتظم وبخطى ثابتة ويستطيع الجمل أن يسير يوميا مسافة ١٦٠ كيلومتراً دون تعب أو تذمر ويرتاح ليواصل في اليوم الثاني المسير وبنفس السرعة تلك بعض من ميزات سفينة الصحراء التي تعبر عباب الرمال وتقطع الفيافي والوديان تقتات على النباتات الشوكية والجافة وتقنع من المياه بالقليل لتروي ظمأها.

وهكذا فإن النخلة والجمل نموذجان لمقومات الحياة في الصحراء وهما عالمان من الاسرار وليسا بذلك التسطيح الذي ينظر البعض به لهما ، ألم أقل أنه لابد من التعمق من أجل الاستفادة الاعظم.

٣) الخيمة العربية أو بيت الشعر :

(البيت ١٤ رمة) هذه هي المعلومة الهامة التي كان العرب يعلمونها لأطفالهم ويسألون الطفل (البيت كم رمة ياولد ؟).

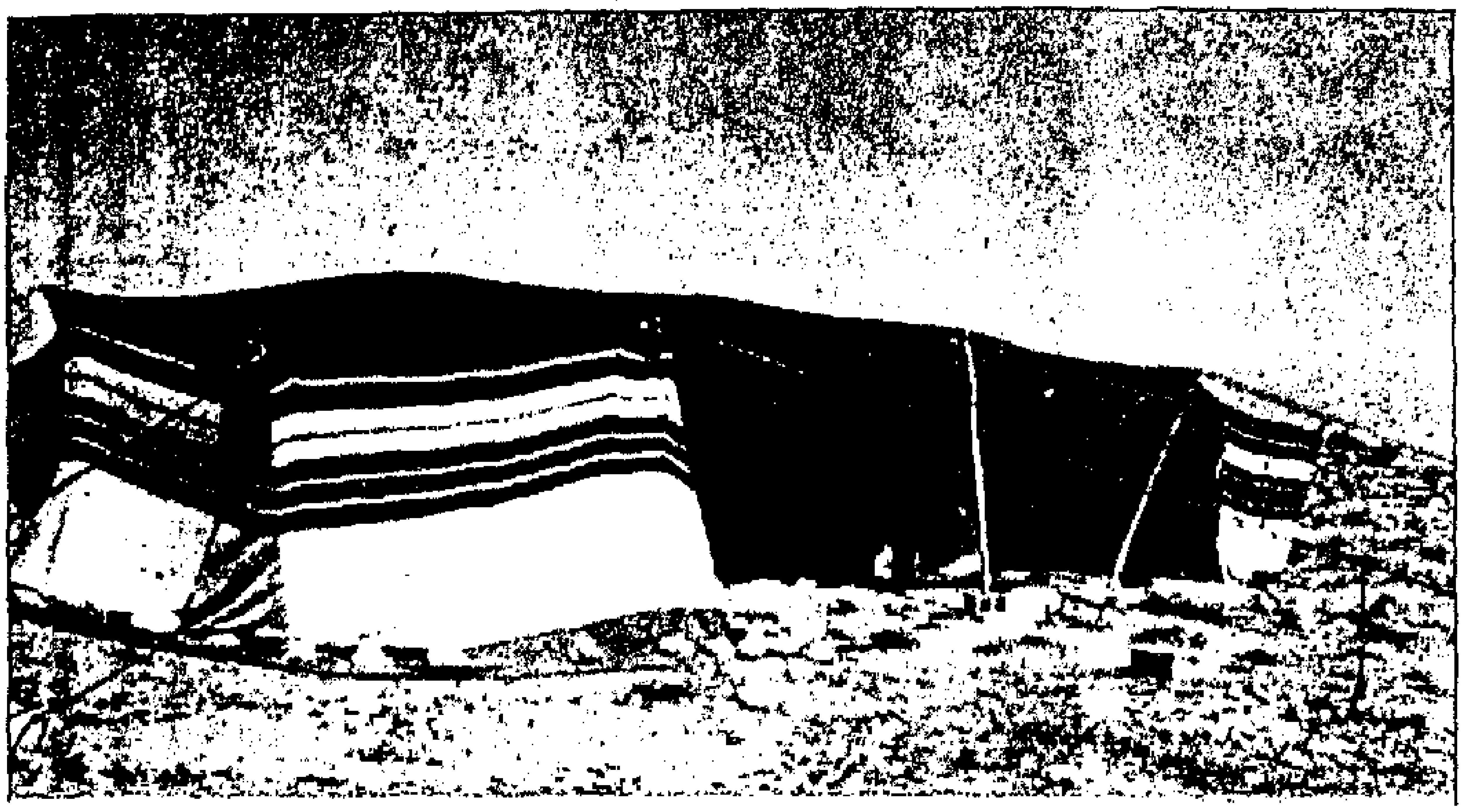

شكل (١٢) بيت الشعر أو الخيمة العربية

والرمة هي الوتد الذي يشّد إليه أحد أطراف الخيمة عن طريق حبل وخطاف ، وعدد هذه الأوتاد ١٤ منها أربعة من الامام ومثلها من الخلف وثلاثة من اليمين ومثلها من اليسار ، وبالتالي فإن الخيمة مستطيلة الشكل ونسبة العرض إلى الطول فيها ٣ : ٤ وبابها مفتوح دائماً نحو الجنوب عكس اتجاه الريح ، وقد ذكرت الخيمة في القرآن الكريم ، بل أن ذكرها بين أنها ستكون من متاع الجنة وذلك في

قوله تعالى من سورة الرحمن (حور مقصورات في الخيام) كما أن العرب في أمثالهم يقولون (الموضوع برمّته) تعبيراً عن الخيمة كاملة بكل رُمها الأربع عشرة رّمة ، وكأنهم يقولون الموضوع بدون أي نقص ، حيث أن نقص رمة واحدة يعرض الخيمة بكاملها للوقوع وعدم الصمود لأضعف الرياح.

والعرب في مصر كانوا يعتمدون على الخيام في القرن ١٨ م ثم اتجهوا للبناء بالطوب اللبن وآخر الخيام في نجوع العرب انقرض في منتصف هذا القرن وبالتحديد في الخمسينات ومطلع الستينات ، أو مع بداية عهد البترول العربي ، وقد وصلت الحالة السيئة أو المستوى الاقتصادي المتدني لدرجة أن الرواق في الخيمة لم يكن من الصوف بل كان من بوص الذرة مع الاحتفاظ برأس الخيمة العلوي فقط من الصوف أو الشعر ، ومع كل هذه الحالة كان العربي يحتفظ بسلاحه ، ومعنى ذلك أن الخيمة كانت في المقام الثاني بعد السلاح ، ثم يأتي الكرم أو الايثار بعد ذلك حيث يعزم ويجود للضيف بما لديه ، وكل هذا التراث العظيم أخذ في التآكل والانقراض رغم أن الحالة الاقتصادية ارتفعت بشكل ليس له مثيل على طول تاريخ هذه القبائل في مصر ، فالخيمة أصبحت ديواناً بأعمدة والمطية أصبحت سيارة ومنقد النار أصبح مصابيح وثريات كهربائية ، ومراوح ودفايات كهربائية ، كل هذا بفضل الله ، ومع كل هذا الفضل زاد الجشع والطمع وأدى ألى التآمر أحيانا أو الانانية دون الايثار ، كما اختفت النصيحة الخالصة التي كان يقدمها الكبار لأي مخطىء يصادفهم وهذه هي آثار الحضارة الغربية المجنونة المعاكسة للفطرة السليمة.

وكل جزء من الخيمة له أسم ووظيفة (العمود لرفع الخيمة والرواق هو الحائط المحيط بالخيمة والحجبة هي إحدى الأركان (التركينات) الأربعة وهي مخصصة للنساء والمجلس في مقدمة الخيمة ولازالت كلمة (يجلس) عندهم دليل على المحب الذي جاء ليجلس في الخيمة ويطلب يد حبيبته.

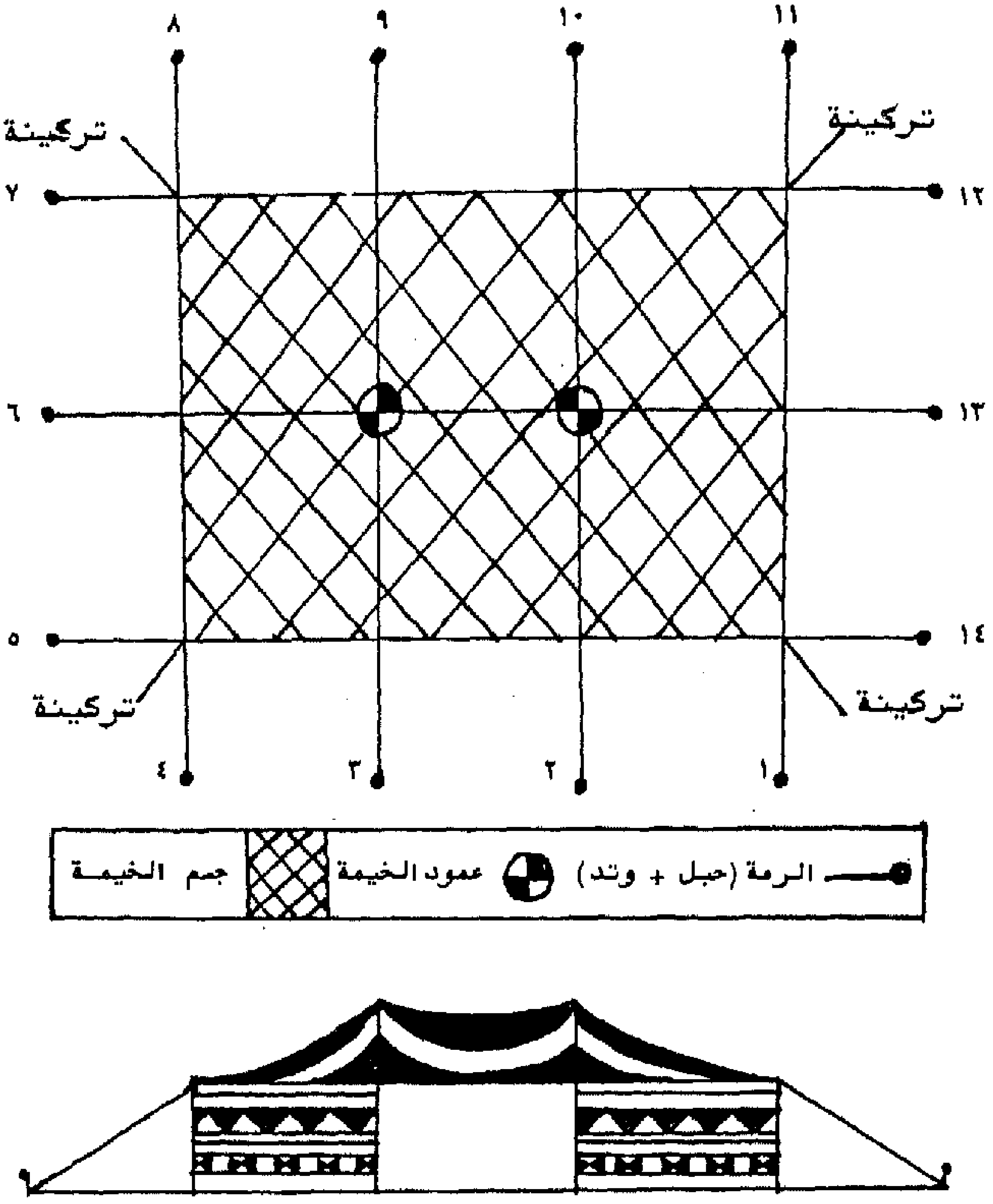

شكل (١٣) مسقطان رأسي وأفقي للخيمة العربية (بيت الشعر)

الفصل الخامس

الشعر في حياة العرب

* اللهجة البدوية :

اللغة العربية و اللهجة البدوية مثار بحث فريد ، فمن الملاحظ أن هؤلاء القوم حافظوا على لغتهم محافظة شديدة بحيث يذوب لسان من يأتي ليعيش بينهم في لغتهم وعاداتهم ، والعرب لم يتغيروا قط وباصرار شديد جيلاً بعد جيل يورّثون بعضهم التمسك باللغة واللهجة مع التقاليد ومن الملاحظ أيضاً أن اللهجة هي نفسها تقريباً في السعودية وفي ليبيا كما هي في مصر مما يجعلنا نفترض أن اللغة العربية الفصحى ربما لم تكن شائعة في جميع الجزيرة العربية وربما كانت في قريش فقط ، حيث أن الافتراض القائم أن العرب في السعودية وفي ليبيا وفي مصر قد تعرضوا لخلفيات تاريخية مختلفة ، فلماذا إذن لم تبق اللغة العربية الفصحى لدى قبائل معينة كما هي ؟ انها نفس اللهجة التي خرجوا بها من الجزيرة العربية منذ أكثر من ألف سنة هي نفسها بكل مقوماتها من التصغير وخروج اللسان في الثاء والظاء والذال والمد وبتود الشعر فلو انها تغيرت في مصر فقط أو في ليبيا فقط لقلنا أنها تأثرت بحضارة أخرى ولكنها لم تتغير ، وعليه فإن هذا الاستنتاج يحتاج لمزيد من الدراسة خاصة علماء اللغة واللهجات وأيضاً جميع المهتمين بهذا التراث أو هذا التاريخ إذ أن اللهجة البدوية تمثل بقايا لغة عربية فصحى وهو فرض قابل للدراسة ، وإن كنا قد وضعنا استنتاجاً مسبقاً فهو قابل للدحض أو التأييد ومن الممكن أن يكون هذا الاستنتاج هو الفرض الذي تقوم عليه الدراسات المطلوبة ، وهو: أن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم لم تكن شائعة في جميع أرجاء الجزيرة العربية بل ربما كانت لدى أهل الحضر فقط أو قريش فقط ، أو على الأقل لم تكن شائعة في البادية التي هاجر معظم اهلها مع الفتوحات الاسلامية ، وإلاّ فليخبرني أحد أين اللغة العربية وأين أهلها الذين استخدموها في حياتهم اليومية؟

ونرجح أن الهجرات من غير الفتوحات الاسلامية كانت قاصرة تقريباً على أهل البادية في جزيرة العرب. ويؤكد ذلك (عطية قابل نصر) (٤٣) في مذكرته

علم التجويد فيقول : " تتلخص الحكمة في انزال القرآن على الاحرف السبعة في أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم السنتهم مختلفة ولهجاتهم متباينة ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها وتعود لسانه على التخاطب بها وصارت طبيعة من طبائعه وسجية من سجاياه ، بحيث لايمكنه العدول عنها إلى غيرها ، فلو كلفّهم ا لله تعالى مخالفة لهجاتهم لشق عليهم ذلك " ولا أريد أن أناقش قول (عطية قابل نصر) فيما عرضه حول قوله : انزال القرآن على الاحرف السبعة وقوله : (انزال) ولم يقل : (تلاوة) لأن هذا ليس موضوعنا ، إنما فقط أردت أن استدل من كلامه بأن العرب لم يستخدموا اللغة العربية الفصحى في جميع جزيرة العرب وإنما هي لهجات ، والعرب في مصر يقولون (الدِّيب) بخروج اللسان عند نطق حرف (ذ) واللام الشمسية وتسكين الباء ، وفي اللغة العربية الفصحى (الذئب) ومع ذلك فإن القراءات في تجويد القرآن تجيز الكلمتين (الذيب) و (الذئب) كما في سورة يوسف (قالون ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) ١٧ يوسف، وهكذا يظل السؤال عن سر التشابه الشديد بين لهجة البدو على امتداد الوطن العربي شرقاً وغرباً قائماً وهو مايدعو لدراسة وضع اللغة في جزيرة العرب قبل الاسلام وبعده.

القصائد الشعرية

تسمى قصائد الشعر العامي ، بالشعر البدوي نسبة إلى البدو أو الشعر النبطي ، والبعض يرجع كلمة النبطي نسبة إلى الانباط من العرب المستعر بة أو نسبة إلى وادي نبط الواقع بناحية المدينة المنورة قرب حوراء (٢٠ : ١٧) ، ويرى البعض أنه لاصلة بين الشعر النبطي وبين الانباط أو وادي نبط بل ترجع التسمية إلى أنه شعر مستنبط من شعر الفصحى أو مستحدث منها بعد أن كان شعر الفصحى هو السائد في جزيرة العرب ، وربما كان في بدايته عملية تندّر أو طرائف حيث أن كلمة نبط تستخدم لدى البدو بمعنى التندّر أو الفكاهة أو عدم الجدية في القول. عموماً هو شعر ليس بالفصحى وليس ببعيد عنها ، فهو يستخدم القافية وفي نفس الوقت فلدى الشاعر حرية عدم الالتزام بقواعد النحو فيرفع المنصوب وينصب المرفوع ، ويقول بن خلدون في مقدمته : (الشعر من البلاغة ولادخل للبلاغة بالإعراب ، والشعر متى كان محتفظاً بأوزانه ، فلا قيمة لحركات النحاة فيه) (٢٨ : ١٩) على أن بَن خلدون اكتفى بتسميته بالشعر البدوي ، وذكر في مقدمته أن انتشار الشعر البدوي في شمال افريقيا يعود للقصائد الشعرية لبني هلال ، ومع انتشار الشعر البدوي في أقطار كثيرة استحدثت مفردات جديدة فأصبح يجمع مزيجاً من اللهجات ، ومع ذلك فالقصائد الشعرية مهما اختلفت اللهجات متطابقة في بنائها.

وتتعدد القصائد الشعرية من حيث الوزن والبحر والطول والقصر ، وأسلوب الأداء ونوع المناسبة ، بما يدل على أن فنون الشعر البدوية مصدر إبداعي كبير يستحق الدراسة والتأصيل ، وإن كانت معظم القصائد غير معروفة المصدر فإن هذا دليل شعبية هذا الشعر ، ودليل إنفعال المجتمع البدوي به ، أو هو دليل على الحس الشعري السائد لدى البدو بصفة عامة ، وقصائد الشعر العامة توجد منها آلاف القصائد في المدح والذم والرثاء والطرائف والوصف

والوجد واالغزل والعقيدة وغيرها. أما أنماط أداء هذا الشعر فهي متعددة أيضاً وسنقدم أمثلتها في هذا الفصل وهي : أغاني العلم ، الشّتاوة ، التقدير ، الحداء، الترجيب ، النقيز ، اشعار الأطفال ، الحضرة ، الالغاز ، المجرودة ، الامثال الشعبية ، وغيرها. وكل نمط من أداء هذه الأنماط له طريقة القاء ولحن مميز مما يتطلب له قصيدة على وزن معين ، وتمتد القصائد من بيت واحد فقط من الشعر إلى عشرات الأبيات. وهذه الأنماط مميزة لدى الصغار والكبار في البيئة البدوية ، إذ أنه يستحيل أن يؤدي نمط منها بدل الآخر ، فشعر الحداء لايصلح مطلقاً للتقدير ، وأغاني العلم لاتصلح للحضرة وهكذا.

والعرب في البيئة البدوية لديهم قدرات هائلة في حفظ الشعر بسرعة مدهشة ، وإذا تحدثت مع أي بدوي كبيراً كان أم صغيراً ، متعلماً كان أم أمياً ، لابد وأن تجده حافظاً للعديد من أبيات الشعر سواء ، غناء العَلَم ، أو التقدير ، أو الحداء ، أو الشعر التقليدي. وربما ساعد على سرعة الحفظ أن هناك فرصة للجميع لممارسة الغناء ، فلا يُمنع أحد من الغناء لرداءة صوته أو نشازه مثلاً ، وإنما الجميع يغنيّ وعلى المستمع أن يفطن للمعاني التي يقصدها المُغني ، ماذا يقصد ؟ ولمن يوجه كلامه؟ خاصة وأن الشعر ولاسيما شعر الغزل غير صريح العبارة ، وإنما يرمز فقط برموز يفهمونها هم وحدهم تمام الفهم بينما تستعصى تماماً على غيرهم. وهذا لايعني أنهم لايفضلون الصوت الجميل ، بل إن أصحاب الصوت الجميل معروفون تماماً ويطلبون دائماً للغناء والمشاركة ، ومن أمثلة خصوصية هذه الرموز حينما يطلق على الغريم في الأغاني (النقّار) ويرمز للفقر الشديد أو الحب الشديد مع عدم الأمل بكلمة (الجضر) وهكذا لاحصر لهذا الترميز لأنه جزء من طبيعة العرب.

الشعر البدوي التقليدي في مصر هو نفسه الشعر الذي يسمونه في الجزيرة العربية بالشعر النبطي ، وهو شعر ملتزم بقافيتين في البيت الواحد بمعنى أن الشطر الأول له قافية مستمرة لآخر القصيدة تماماً مثل قافية الشطر الثاني هكذا :

خشّيت السريع وقفّلوا بيبانــــه ∴ وجرّ العَجَلْ فوق القضيب وطــار

ياما إمفرّق حبيب القلب من حبّانـه ∴ وياما إمقرب في إبعاد الـــدار

وهذا مايطلقون عليه (إشعران) وهناك قصائد أخرى قافيتها مختلفة مثل قافية الموال أو الدور الصعيدي أي ثلاث قوافي متشابهة والرابعة مختلفة هكذا :

دنيا غرورة كل يوم بحالــــه ∴ مالت على فاروق فات عيالــــه

فات وليته وماخلصتّهـــا ∴ ومن ثياب العز هو يامالبسّهــا

مال عليها بوجمال في ديوان حبسها ∴ خلّاها اتقول جحش جّو اوكالــة

ومن الملاحظ أنه لايمكن حصر شعراء العرب خاصة وأن صحراوات مصر ممتدة ولدى قبائل أولاد علي الكثير من الشعراء. ولكننا سنقدم هذه النماذج لشعراء من الصحراء الغربية الملاصّقة لمحافظة المنيا ، ومن أشهر الشعراء ولعله آخر الشعراء المرموقين هو الشاعر إبراهيم أبو سوكاية الذي ينتمي إلى قبيلة الفواخر والمتوفي في عام ١٩٧٦ عن عمر ناهز السبعين عاماً. وهذا الشاعر لم يأخذ حقه في إلقاء الضوء على أعماله المنتشرة لدى معظم البدو ، والتي تطرّق فيها لموضوعات شتى عن التأمل والحياة والموت والفكاهة والمدح والذم ، وببساطة فإن تقديم أعماله كاملة يعّد نموذجاً رائعاً للشعر البدوي ويصلح لرسالة ماجستير في الأدب الشعبي وحبذا لو نشر ديوان لأعماله كاملة ، والقصيدة التالية التي نقدمها كنموذج لشعر ابوسوكاية غير كاملة فهي الجزء الذي توصل إليه المؤلفُ من ذاكرة محبي الشعر البدوي ، وهي عن (الناقة) أنثى الجمل سفينة الصحراء التي شاهدها الشاعر محمولة على سيارة ، فالقى قصيدته التأملية عنها قائلاً :

شايلينك وانتي اللّي شيّالـــــة ∴ الدنيا غرورة كل يوم بحالــــة
شايلينها بعقلها وهي في الكراهـــب ∴ والرَسَنْ حاولهـــــــــــا
اللي قبل في الدير العفي منزلهـــا ∴ من وادي المره تحدر على جفّالـــة

الراعي نظرها من عقيرة بلهـــا ∴ عقاب الشهر تاق القمير اقبالـــة
وجت حايشة مضّايقة تشملهـــا ∴ إمراحها إيظّن تقول سوق دلالـــة

واليوم يانك إضللْ مطلوقـــة ∴ وفيكي من الزراعة يطردوا خيالـــة
ياما قطعتي دير مظلم روقـــة ∴ ليالي خلا واصلاب في جلجالـــة

لنقانّك صبـــــــــــارة ∴ لنقانّك على مشى الخلا جسّـــارة
انتي اللي فريقك ينتقل مـــن داره ∴ بوكاله وشريه والنسا وعيالـــه
انتي اللي دالنّا احكام نصـــاره ∴ للجوع والعطش لنقانك حمّالـــه
انتي كرهيه مافيك دفع دبـــاره ∴ انتي عز للتاجر وللموالـــــه
ياما تعدي مالحظوك عصـــارة ∴ يظاقن عراك اتقول ذكر جلالـــه
لاجاز لابنزين توقد نـــــاره ∴ لاحس نين الجيش ياخذ بالـــه
وفيك الشكل وقتا ايجو غـــوارة ∴ طمّاعة وسيدك مايسيب حلالـــه

رفيق الخشوم اللي عليه امـــارة ∴ عندك إضّابح ساعة القيالـــة
ياما قنيتي من ضنا لامـــارة ∴ عطابك يجي على الخيل والرجالة

وهكذا نلاحظ التأمل في مواصفات الناقة ومكانتها في البادية ، ونلاحظ أيضاً أن الشاعر كسر قاعدة الوزن والقافية المزدوجة في بداية القصيدة ، كما لو كانت من الشعر الحديث الحر ثم عاد ليكملها بالقافية المزدوجة في الشطرين متبعاً النّظم المعروف في البادية ، وفي قصيدته الناس أشكال والوان ، نجده يقول :

١ إهناك ناس تكرهم من أول ليلة ∴ وإهناك ناس مايهونوا سنين طويلة

٢ إهناك ناس حبايب ∴ وإهناك ناس تكرهم بغير سبايب

٣ ولاعقل عامي كيف عقل الخايب ∴ ولاوجوه تندي كي وجوه بخيلة

٤ وإهناك ناس يامحلاهم ∴ وإهناك ناس ماتقدر تعيش بلاهم

٥ وإهناك ناس حسدية وسود إنياهم ∴ إثياب بيض من برّة وجوة نيلة

٦ وهناك ناس غوالي ∴ حتى إذ اعدوا ماكيفهم لا والي

٧ حمّالين للسيّة بطولة بالي ∴ على خطّهم ماعندهم تحويله

٨ وهناك ناس عشرتهم خطا طوّالي ∴ مكتوب في جباهيهم خراب العيلة

٩ وهناك ناس تعزم واليد خوالي ∴ وهناك ناس تيخل والجيوب ثقيلة

١٠ هدايات م الرّب الكريم العالي ∴ وبوطبع ماتنفع معاه الحيلة

١١ هناك ناس ماتقبلهم ∴ وهناك ناس لحد غاية تجول لهلهم

١٢ وهناك ناس لو داروا خطا تحملهم ∴ وهناك ناس عقلك لهم تجفيلة

١٣ وهناك ناس ع الحيّين لاتجملهم ∴ إللي يجيك منهم مالهم تبديلة

١٤ ولايفرقوا ظنّي إلا بعملهم ∴ ماحد على لتسعة مزوّد ليلة

١٥ وهناك ناس ماينسوا اللي صار لهم ∴ يردوه بعيارة ووايـ كيله
١٦ وهناك ناس لو هبّ الهبوب خبلهم ∴ وينسوا إللي عدّا وضاع جميله
١٧ ولاخير في إللي ذاييات عللهم ∴ ولا في الخليل إن كان فات خليله

١٨ وهناك ناس يامبهاهم ∴ وهناك ناس توعدهم وماتلقاهم
١٩ وإن قابلتهم تلقى العَذار معاهم ∴ مجهّزينها ماعندهم تعطيلة
٢٠ كلامهم إللي قالوه ضد إنياهم ∴ إن كان بحرّواماينسوا على التقبيله
٢١ إحتار في موّدتهم إللي ماشاهم ∴ مرييينله شاطب وحار دليله
٢٢ لصحاب كيف في صف العدو تلقاهم ∴ صحبتهم معاك مغير نَصْب وحيلة
٢٣ قريب نقصهم منك بعيد وفاهم ∴ مشيول ع الدير في حملهم تمييلة
٢٤ مكتوب ع الخسارة بيعهم وشراهم ∴ السترة مع بو صاحبين قليلة

٢٥ هناك ناس أمارة ∴ وهناك ناس ماظنّي يساووا بارة
٢٦ وهناك ناس تلقي سعيهم في الكارة ∴ وأرزاق واجده غير النفوس بخيلة

٢٧ والمال في قليل العزم راه خسارة ∴ حتى وهو حكيم بعلم في تعديله
٢٨ وهناك الفقير مايسيّب عباره ∴ حتى إن كان ماعنده اليد طويلة
٢٩ وإن ماكان في جيبه قضى من جاره ∴ على قيس نيتّه ربنا يعطيله
٣٠ موكار الصقورة ماتجيه حبارة ∴ ولامروّمَه تلحق ثمن لاصيلة
٣١ وحبّك إللي ترميه م البذّاره ∴ يطلع بعينه تحصده وتشيله
٣٢ والجدي لو تقّوى نين فات إحكاره ∴ إن يبقى على شيل الحمول هزيلة
٣٣ وشوف الجمل حتى إن خفّ عباره ∴ صليبة على حمله إخرى ترميلة

٣٤	شديد العصب حمّال في مشــــواره	∴	قطّاع الفيافي وين مدّ رحيلـــــه
٣٥	إن راد ربنا ماحد يسيّب عــــاره	∴	الراس راس والواطي إن زال وزيلـــه
٣٦	هناك ناس يامبسلهــــــم	∴	لاغريب يقبلهم ولامن هلهـــم
٣٧	وهناك ناس في الحيين شين عملهـم	∴	ذكر نخيل لارمْيه ولاتظليلـــه
٣٨	علقم وحنضل وين ماتاكلهـــم	∴	وإن رافقتهم يبقوا عليك عديلـــه
٣٩	على جارهم ديما يزيد عللهـــم	∴	على عيب عيّل يجرّدوا القبيلـــة

وهذه القصيدة تفيض بالمعاني الجميلة التي تبين قدرات الشاعر الإبداعية وخبراته في ضروب الحياة فمثلاً البيت رقم ٣٠ معناه ان وكر الصقر لاتجرؤ الحبارة - وهي نوع من الطيور المسالمة - أن تدخله ، وأيضاً لاتستطيع الناقة المروّمة أي التي روّمها أصحابها على أم غير أمّها هذه المروّمة لاتستطيع أن تسابق الاصيلة ذات المعدن النفيس ، والحقيقة الشاعر هنا يتحدث عن البشر ويشبه بالصقر والحبارة والناقة الاصيلة وغير الاصيلة وهو تشبيه يوصل المعنى المقصود للمستمع من أقرب الطرق دون ان يخطىء في حق أحد ، هو فقط يرصد ظاهرة تنوع اخلاق البشر.

وهكذا فإن شرح القصيدة يطول ونترك الفهم للسادة القراء وخاصة أبناء القبائل العربية في مصر وأبناء البيئة البدوية التي هي أمل مصر المستقبل في إعمار الصحراء.

نماذج من الشعر الفكاهي :

أ) يوجد الكثير من الشعر الفكاهي سواء في نقد الذات أو نقد الآخر ، فهذا هو الشاعر المرحوم أحمد عقيلة الفاخري يتحدث عن نفسه أنه أقام شادوف

للزراعة، فحسده شخص ، فتهدم الشادوف ويستحث كل الشعراء أن يكتبوا في هذا الموضوع فيقول في قصيدة طويلة نختار منها الأبيات التالية :

١ بنيت العدة فـــي اول دار ∴ اريد اللي تالف نسقيــه

٢ خذت بحنيه ونضّ انفــار ∴ اكري غير اللي انعشم فيــه

٣ وناما عندي ولاديــنار ∴ إنمّده ونطّريهم بيــه

٤ وجاها بو محمود اسطــار ∴ ضربها كوّمها وسطيــه

٥ الله ينعل كل الشعــار ∴ اللي عنده قول وكاميــه

ب) وهذه شاعرة عربية هي الشاعرة المرحومة رودس محمد ابو شوشة تتهكم على بعض العرب الذين زرعوا طماطم وهم يجهلون تسويقها فتلفت الطماطم انتظاراً للتجار الذين لم يحضروا لشرائها ولذلك هاص فيها فقراء النجع وطبخوا كما لم يفعلوا من قبل فقالت في قصيدة نختار منها الأبيات التالية :

حيه على زّواع القوطــة ∴ باظت غطّوها بالفوطــة

غطّوها بحشيــش ∴ على ذمة تاجر مضيــش

وظاطوا فيها عيت الكيــش ∴ لين داروا دمعة مظبوطــة

جـ) وهذا هو الشاعر إبراهيم ابو سوكاية يتهكم في قصيدة على قصة حدثت حينما اعتقد بعض أهل النجع أن هناك ضبع دخل النجع فانتفض أهل النجع والنجوع المجاورة وحدثت مواقف عديدة وإذا بهم بعد التدقيق يجدونه ذكر الماعز (تيس) فيقول قصيدة طويلة نختار منها مايلي :

شيخكم هرب من التيس سيّب بيتــه ∴ انعنهم افداه عويلته ووليتــــــه

بو (فلان) جا من غريــــــة ∴ متحزّم بثوب اسمر وفي يده حريــــة

تراّس وين يفزع يفكّ الكريــــة ∴ ياريت كثرت منه اللي ضانيتـــه

عاود يهّر تقول شارب شريــــة ∴ بردان والبرد نافخ ريتــــــه

وهكذا ذكر الشاعر في القصيدة التي تزيد عن اربعين بيتاً كل المواقف التي حدثت من الرجال والنساء في هذه الليلة الدرامية المضحكة ، وقد استبعدنا الاسماء وقلنا (فلان) حتى لايزعل أحد خاصة والقبائل العربية تعتز كثيراً بكرامة أبنائها بشكل ربما مبالغ فيه.

أغاني العَلَمْ

أغاني العَلَمْ أغاني قصيرة لاتزيد فيها الأغنية عن بيت واحد من الشعر ، ويعتمد فيها مؤلف الأغنية الذي هو نفسه في الغالب مؤديها على الرمز وعدم التعبير المباشر ، إذ أن معظم هذه الأغاني عاطفية والعلم هنا رمز للحبيب أو المحبوب من الجنس الآخر.

ربما جاء الاهتمام بالمعنى على حساب حسن الآداء في أغاني العلم ، ولذلك فالكل يغني هذه الأغاني دون خشية من مستوى رداءة الصوت ، بل سيجد من يستمع إليه للنهاية حتى يعرفون ماذا يريد أن يقول ؟ ومن هي أو هو المقصود بالأغنية ، حيث يكون بيت الشعر في معناه أقرب إلى لغز عاطفي يصف حالة المغنّي ، وكثيراً ماحدثت مشاجرات بين العرب نتيجة تفسير الأغنية بأن المغني كان يقصد بنت فلان أو أخت فلان مما يثير حفيظته فيتصرف في حدود قف ، إما بالمشاجرة أو التنبيه على المغني بالكف عن الغناء.

تؤدي جميع أغاني العَلَمْ بطريقة واحدة لاتتغير ، إذ يبدأ الأغنية من نهاية بيت الشعر ، فيتناول الكلمات الثلاث الأخيرة من الشطر الثاني ، ثم يقدم الشطر الأول وبذلك تبقى كلمة واحدة وهي دائماً أول كلمة في الشطر الثاني هي التي يضيفها في نهاية الأغنية ، وهذه الكلمة تسمى (الرباط) أو (الوصلة) (١٩ : ١٩) مثال ذلك الأغنية التالية .

(العقل ذيبله مرهون .·. يموج في خلا ماله سند)

وتؤدي بصوت مرتفع وفق الخطوات التالية :-

(١) **ماله سند ... ماله سند ... في خلا ماله سند.**

(٢) **ماله سند ... في خلا ماله سند.**

(٣) **ماله سند ... العقل ذيبله مرهون.**

(٤) **ماله سند ... في خلا ماله سند ... يموج في خلا ماله سند.**

ولذلك فإن الوصلة هنا هي كلمة (يموج) وهي التي لاتقال إلا مرة واحدة في آخر مرحلة من الآداء ، ولعل سرعة آداء الأغنية بما لايزيد عن ثلاث دقائق هو الذي جعل العربي يتغاضى فيها عن حسن الصوت ، ومع ذلك فهناك مشاهير بحسن الصوت الذي يأخذ بألباب العرب ويسجلونه ويسمعونه باستمرار بلا ملل.

يرى البعض (١٩ : ١١) أن أغاني العلم هي التي تسمى بأغاني الصوب نسبة إلى بحر صوب خليل ، وهناك شك في أن يكون خليل هذا هو الخليل بن أحمد وهو أحد أئمة النحاه بالبصرة ، والرأي الآخر (١٩ : ١٢) يرى أن خليل هذا شخص عربي أشتهر بقرض الشعر المليء بالالغاز والعاطفة فلجأ إليه كثيرون من الشباب من الجنسين لحل ألغاز الشعر فاطلق عليهم (أصحاب الصوب) ، غير أن الفن الشعبي دائماً نابع من الشعب ويصعب الوصول لمصدره ، ومع هذا فحتى الآن تطلق كلمة أصحاب الصوب على كل شلة شباب يتغنون بهذه الأغاني.

وهناك ملايين الأغاني من هذا النوع سواء التي تغنيها النساء أو الرجال ، أو أغاني (المكايرة) وهي الأغاني التي يردّ المغني فيها على أغنية زميله أو غيرها ، وقد اخترنا نماذج لعدد من الأغاني تمثل غناء الرجال والسيدات في مختلف الأهداف : الحب والهجر واليأس والأمل والعمل وغيرها كما نبينها فيما يلي :

نماذج من أغاني العَلَم

١	العقل مومقـــــــل او لاف	∴	الاّ شيء هواني في الغـــــــلا
٢	شديد خاطري حمـــــــال	∴	للياس والقراية والعَلَـــــــمْ
٣	العقل كان جـــــــاور د:ه	∴	يبقي إسببه لولاف ياعلـــــــم
٤	يجُوشن يزيد ضـــــــلال	∴	العقل وين يطروله علـــــــم
٥	سعى الياس نين اختـــــــار	∴	قنّاص دوب لوعات خاطـــــــري
٦	الياس دار لك ياعيـــــــن	∴	صرّاته غلالين ذيلـــــــك
٧	حتى انكان منـــــــزولات	∴	إديارك عَفَا روق للبـــــــدن
٨	اتقول ماليّ منـــــــزول	∴	ريبعك بموجات ياعلـــــــم
٩	ملك الموت فيه الهـــــــون	∴	ولا عذاب نيران القـــــــدم
١٠	تبقى الموت في الاســـــــلام	∴	نسّاية ولاصوبك إنســـــــي
١١	غلاك طرح مـــــــالي الأرض	∴	تستيف لين راقي للسمـــــــا
١٢	إسبلن خاطري على المـــــــوت	∴	غيّات كيف عامات الجـــــــذب
١٣	الجرح جار على الخاطـــــــر	∴	اعصره لين زيتونة قطـــــــر
١٤	اللي قديم في لصـــــــواب	∴	حتى ان تاب عاداته ايجـــــــن
١٥	ستين الف شايب يـــــــاس	∴	على غلاي ياما ميعـــــــدوا
١٦	ديما الموح يسيـــــــر	∴	ويجوا بعده لاولاف يقسمـــــــوا
١٧	بعد خراب سوق العقـــــــل	∴	عمر نين دلاّله ضبـــــــح

الكلمة التي تحتها خط تبين (الوصلة) التي لاتتكرر عند الغناء وتقال مرة واحدة فقط في نهاية الأغنية ، وكأنها كلمة السر التي تفسر المعنى المقصود كله من الأغنية.

١٨ بعد اعوام في لوهـــــام ∴ اليوم يابعيد ويش خطـــــرك

١٩ عارف حروف الصـــــوب ∴ حلال القراية على الغنـــــى

٢٠ اذنوب ياعزيز عليـــــك ∴ تدويرك على ليل في ضحى

٢١ نتلاه وين مانتســـــاه ∴ سريب الغلا هو قرايتـــي (١٩: ١٢٩)

٢٢ اتقول شاريات سكيـــــر ∴ يموجن مع نار الغـــلا (١٩: ١٥٢)

٢٣ غزير يامحيط اليـــــاس ∴ عوامك قليله فزعتـــه

٢٤ العقل ذيبله مرهـــــون ∴ يموج في خلا ماله سنـــد

٢٥ ننهاها تزيد ضـــــلال ∴ العين على الغنى موتايبـــة (١٩: ٩٩)

٢٦ عليه ميعدوا حســـــاد ∴ عزيز مانلومه على الخطـــا (١٩: ٧٩)

٢٧ نحساب خاطري صبّـــــار ∴ هفن عوايدة جال على الغلا

٢٨ رياني وانا قـــــزون ∴ الياس بوي وانا جنينـــه (١٩: ١٠٤)

٢٩ جروح قبل بريانـــــات ∴ خطمت يادعى حاييتهـــن (١٩: ١١٨)

٣٠ حكّيتهن مضن شيبـــــات ∴ حسايف على موج الغـــلا (١٩: ١٤٢)

٣١ إلهن زمان بـــــدادات ∴ اجروح لايمن دووينهـــن

٣٢ امغير قيلني يايـــــاس ∴ نبني معاك ديوان ياجضـــر

٣٣ عزيز خادعوه النـــــاس ∴ اذهبو شيرته والس علـــى

٣٤ الراحل عليك ايقيـــــم ∴ رييع ياعلم لومينـــك

٣٥ عزيز وين مانتســـــاه ∴ يجيبه الديوان ياعلـــم

٣٦ سبحان خالقك ياليـــــل ∴ سبب اسمور عيني من الغلا

٣٧ يدور في الهوا تعبـــــان ∴ الخاطر اللي ماله سنـــد

٣٨	الله يعينهم لـــــــولاف	∴	اخطروا عاونوني على الرحـــى	(١٩ :٢٥)
٣٩	كلّنا صوابع ليـــــــد	∴	الشض يارحى رايح قنـسـد	(١٩ :٢٥)
٤٠	بلاه مايسير طحيـــــن	∴	القلب راه ديسوم الرحـــى	(١٩ :٢٥)
٤١	انحدد لها وتزيـــــد	∴	وتجي جايرة نار الغـــــلا	
٤٢	كنيب في رجالـــــولاف	∴	يزهي العقل ويروق ياعلــم	
٤٣	مربوط في مواثق يـــــاس	∴	الخاطر ايلاوي على الجضر	
٤٤	حتى ان كان مومنظـــور	∴	مرجي عزيز قانون ياعلــم	
٤٥	الخاطر بعد ماتـــــاب	∴	هفن عوايده جار على الغلا	
٤٦	كنيب في رجاهن صــــوب	∴	اديارك امغير إيموّحـــــن	
٤٧	عطشان في حرور القيــض	∴	وهايب امواريد الغــــــلا	
٤٨	ناوي العقل ايديــــــر	∴	صواب غير ماقابل عـــدل	
٤٩	حلال المغار عليـــــك	∴	يابنت لولا صغيــــــرة	
٥٠	مالي غرض في صــــوب	∴	امغير جايني طاري العلــم	
٥١	صعيب ياكتاب الصـــوب	∴	حتي ان كان قاري نجهلــه	
٥٢	الموح وجيوش إليـــــاس	∴	ابعدك ياعلم دالن علـــى	
٥٣	إللي مذيبلات العقــــل	∴	تمويح دار وارياف وجضــــر	(١٩ :١٥١)
٥٤	انتي ذوق مربــــــي ذوق	∴	ديارك عفى روق للبـــــدن	
٥٥	اطري ربيع غربي صفـــط	∴	الدار ريغنت شيلوبنـــــا	
٥٦	يابعيد يوم العيـــــــد	∴	اوليدك بكا غونن ذبــــل	
٥٧	من يوم ياعزيز غنيـــــت	∴	ذبلت ياعرب يانا اللـــــي	
٥٨	ازعمة يابعيد الـــــدار	∴	ترجو رجاك ولاّ ينسّـــــو	

ومن الملاحظ أن أغاني العلم وخاصة تلك الاغاني التي تحمل اليأس وضيق ذات اليد والضنك ، والتي تمثلها كلمات مثل : (إلياس ، الجضر ، حسايف ، الموح) وغيرها ، يحتكر الغناء فيها الفقراء مالياً ، مع ملاحظة أن الفقر المالي لايشكل أي نقص لدى العربي ولاينتقص من قدره إلا الهيكل القبلي أو مدى سيادة قبيلته ، ومن هنا فإن الفقراء يستهجنون لو أن شاباً من أبناء الاثرياء تغنى بهذه الأغاني ، بل ويعتبرون هذه الأغاني منطقة نفود لهم ونقطة تفوق لاينبغي أن يدخلها المنعمّون.

أغاني المكايرة :

وفي الافراح احياناً يتنابذ الرجال والنساء من عائلة العروسين بالأغاني وكل فريق يحاول أن يظهر مزايا ابنه او بنته على حساب الآخر ، وهذا يحدث دائماً على سبيل الفكاهة والتندر واحياناً يكون محاولة حقيقية لإظهار عدم الرضا عن الطرف الآخر ، ويسمى هذا التنابذ (المكايرة) أي الأغنية والرد عليها. ومن امثلة ذلك أن تغني واحدة من أهل العريس قائلة :

(خذنك مسارب الارض نزلت ياولد دار واطية)

أي انك انحدرت بمستواك إلى الحضيض بهذا الزواج من هذه العروس. أو تغني واحدة من أهل العروس قائلة :

(مكشخ ووجهه شين على ارقيبتي مانك الها)

أي ان وجه العريس غير جميل ودائماً عابس وعلى مسؤوليتي فهو ليس مناسباً لهذه العروس الجميلة. أو تقول : (**يجري ورا البياع ومازال عيل غالياً**) أي أنه مازال طفلاً صغيراً يجري وراء أي بائع ينادي على بضاعته ، لاحظ أن كلمة

(غالياً) منصوبة لكونها خبر (مازال) التي هي من أخوات (كان) فاللغة فطرة لدى البدوي.

فيرد أحد أفراد العريس قائلاً :

(لولا سحون الدحى ياعين ماكان جايك)

أي لولا انكم قدمتم للعريس رشوة عن طريق تغذيته باطباق من البيض المقلي واستضافته ماكان قد طلب هذه العروس ، وهكذا المكايرة كانت جميلة رغم قسوتها ولكن الآن كل هذا التراث اوشك على الانقراض ، ولاتعلم الاجيال الجديدة عنه شيئاً كثيراً.

الشتـــاوة

الشتاوة بيت من الشعر على قافية واحدة في الشطرين ، وتستخدم في (الكف) والكف عبارة عن حلقة التصفيق على الطريقة البدوية ، وهي تقام في ليالي الأفراح سواء الزواج أو طهارة البنين ، حيث يقف الرجال على هيئة قوس ، ويصفقون بطريقة معينة لها ايقاع خاص وهم منقسمون إلى قسمين نصفهم يقول الشطر الأول من الشتاوة والنصف الآخر يرد عليهم بالشطر الثاني .
فإذا كانت الشتاوة مثلاً : (عيني وين النوم ايجيها ∴ يخطر بوجمّة سافيها) فنصف المصفقون في الكف يقولون (عيني وين النوم ايجيها) ويرد عليهم النصف الثاني قائلين معاً (يخطر بوجمة سافيها) وامامهم ترقص (الحجالة) وهي راقصة من أهل العريس أو العروسة أو المحبين لهم وليست محترفة ، وتظل ترقص على طريقة رقصة الحجالة التي تقدمها فرق الفنون الشعبية المأخوذة من هذا التراث ، وتقريباً بعد ١٠ دقائق من التصفيق الحاد جداً، مع ترديد الشتاوة بانتظام ينبري أحد المصفقين ويتقدم للأمام رافعاً يده للحجالة قائلاً بصوت مرتفع (واقف) فيتوقف التصفيق للراحة ، ورغم أنهم يكونون منهكين من الجهد المبذول في التصفيق الحاد والجاد جداً ، وأيضاً رغم أنهم في حاجة للتوقف لالتقاط الانفاس، إلا أنهم دائماً يوجهون اللوم للشخص الذي اوقف التصفيق، وفي فترة الراحة هذه يغني احد المصفقين في (الكف) بالطريقة المطروحة في الجزء الخاص بأغاني العلم من هذا الكتاب ، وبعد اتمام الأغنية التي غالباً ماتوجه للحجالة أو لإحدى الشابات يطلق الرجال الاعيرة النارية كما تطلق النساء ارتالاً من الزغاريد ، ويقوم نفس المغنى باقتراح الشتاوة الجديدة للفقرة التالية ، وهكذا تصفيق وتوقف للغناء ثم فترة تصفيق بشتاوة جديدة يعقبها توقف للغناء وهكذا لفترة حوالي ثلاث ساعات إلى أن يتقدم أحد أصحاب العرس قائلاً بصوت مرتفع (بيضا) أي الليلة بيضاء ومعلناً بذلك عن إنتهاء الكف لهذه الليلة على أن يعود مساء الغد لإحياء ليلة أخرى وهكذا لمدة أسبوع أو أسبوعين قبل إتمام الفرح ، وأحياناً تمتد ليالي الكف لأكثر من أسبوعين ، وأحياناً تزداد أقواس

الرجال لمسافة كبيرة مشكلة أكثر من كف وأكثر من حجالة وأكثر من شتاوة في نفس الموقف متنافسين على قوة التصفيق وجمال الغناء ومعاني الشتاوة وإتقان الحجالة للرقص ، وكل هذا أخذ في الاندثار الآن وأصبحت ليالي الأفراح بالطبلة وأغاني المدن والفلاحين ، إلا فيما ندر ، ومن أمثلة الشتاوة التي تدور حول معاني عديدة عن العقل ، والجمال والحب والهجر وغيرها من المشاعر مانقدمه في النماذج التالية :-

نماذج للشتاوة

١ عيني وين النوم يجيها ∴ يخطر بوجمة سافيها

٢ يابو مضحط كيف الجينة ∴ في جرارك ياما تعبنا

٣ بوسالف مدهون بزيت ∴ رق عزومي لين بكيت

٤ يابو سالف يابو قصة ∴ وان جاك المرسال توصى

٥ انتي كيف الساعة في الجيب ∴ يجازويك مافيها عيب

٦ اصغير دويه دوب الدوب ∴ ان دبته على الحيين يدوب

٧ كبدي من مردوع الطول ∴ كيف لبوس التاسع حول

٨ ياللي عقودك دارن ضبحة ∴ حتى الشايب فات السبحة

٩ مجروحين ادما ناسايل ∴ على اللي يقيم الصوب ولايل

١٠ ربيعك ياحلو التوصيف ∴ زهاته في حنان الصيف

١١ ان قالولك يالعين غني ∴ تقول غلاه مذيلني

١٢ قيد النار وحط حطبها ∴ منك يامرهون سببها

١٣ لابس لاواقي مخليني ∴ لانرقد لانوم يجيني

١٤ ان ماجيت انت دزّ نبالك ∴ يعيشن الانظار بطرواك

١٥ بوسالف ستين قضـــــيبة ∴ نبكي كان ابكاي ايجيـــبه

١٦ عزيز دوانا بين ايديــــه ∴ ان متنا مكتوبين عليـــه

١٧ كل مانقول إلياس تباعـــد ∴ نلقاه ابكبوطة قاعـــد

١٨ جيت وجابك ليه اللــــيل ∴ عليك انظاري دارن ســـيل

١٩ يالابس عقد المرجـــيني ∴ ان كان معاك دوا داويـــني

٢٠ النار اللي داها مدهـــوب ∴ دواها عند اصحاب الصـــوب

٢١ إن عشنا وبقينا حـــيين ∴ انديروا للصوب قوانـــين

٢٢ الجنب اللي جَامن يـــالاك ∴ إتاكل من نيران غـــلاك

المجـرودة

المجرودة مثل الشتاوة ولكنها قصيدة كاملة وليست بيت شعر واحد مثل الشتاوة ، والشتاوة مقسمة إلى مقاطع كل مقطع منها بيتين وتقدم مع الكف كبديل للشتاوة ، وهي تريح المصفقين من مجهود الكف حيث يقف أحد المصفقين ويلقي المجرودة ، ويرد خلفه كل من بالسامر من المصفقين يرددون فقط الشطر الأخير من البيت الثاني ، ويستمر هو في الالقاء وهم يرددون خلفه بينما التصفيق خفيف والاجسام واقفه تماماً عكس الشتاوة التي تتداخل فيها أرجل الرجال وتميل الاجسام للأمام وتقل قامة الرجل إلى النصف ويكون في غاية الإنفعال ، أما في المجرودة فيسودها الهدوء لأن الجميع يسمعون الموضوع الشعري الذي يتغنى دائما بالبطولات أو الغزل العفيف وهذا نموذج للمجرودة عن حرب بورسعيد أيام العدوان الثلاثي :

أمثلة للمجرودة

اول مانبدي بكلامـــــــــــي	∴	من فضلك صبّي قدامـــــــــي
نشكيلك بعيون تدامـــــــــي	∴	على اللي صار في بورسعيـــــــد
على اللي ساير في وادينـــــــا	∴	تم المدفع يرزم فينـــــــــا
وعبد الناصر لم اجيوشـــــــه	∴	ويحارب عن بورسعيـــــــد
ويحارب بولاد عصَـــــــاره	∴	مفروزين على النضـــــــاره
واخذ بندقته وشكـــــــارة	∴	وسلاحه سالك في ليـــــــد
وسلاحه سالك مهـــــــدو	∴	يضرب في الارض وفي الجـــــــو
وابو عامر زاد مـــــــرو	∴	طلعهم من بورسعيـــــــد
والطياره رايحه جايـــــــه	∴	والاسطول عايم في الميـــــــه
وايدن عامل كي الوليـــــــه	∴	مقدرش على بورسعيـــــــد

التقديـر

التقدير يمثل حالات من التأمل وإثارة معاني الحكمة التي يقدمها العربي في بيتين من الشعر بقافية رباعية واحدة لكل شطر من البيتين ، حتى تصبح المقاطع الأربعة على قافية واحدة.

وتتغني النساء بالتقدير عادة عند استخدام الرحى في طحن الغلال بينما يتغنى به الرجال في أوقات الفراغ وبصوت منخفض وبه مسحة من الحزن تستحق ان يصاحبها الناى ، وللتقدير لحن معين في الأداء عندما يتغنى به الرجل أو المرأة أو عندما يقوم رجلان معاً بالتقدير حيث ينتهي الأول فيبدأ الثاني مع المحافظة على نفس اللحن. مثال ذلك تقدير البيتين التاليين :-

كيف امس كيف اول امـــس ∴ كيف مامضى في الليالـــي

كيف من مكمّض على الشمـس ∴ في الكف واليد خالـــي

حيث يكون لحنهما والقائهما على خمسة مراحل كما يلي :

١- امـــــــس ∴ كيف مامضى في الليالـــي

٢- كيف امس كيف أول امـس ∴ كيف مامضى في الليالـــي

٣- امـــــــس ∴ كيف مامضى في الليالـــي

٤- كيف من مكمّض على الشمس ∴ في الكف واليد خالـــي

٥- كيف من مكمّض على الشمـس ∴ في الكف واليد خالـــي

وهكذا يبدأ من آخر كلمة في الشطر الأول من البيت الأول ثم يكمل وينتهي بتكرار البيت الثاني لينهي بذلك تقدير البيتين ، ويبدأ في غيرهما حول نفس المعنى ، ومعنى البيتين السابقين : ان أمس مثل أول أمس أي حياته رتيبة وتشبه الشخص الذي يمسك بأشعة الشمس في يده وهو ممسك بالوهم ، ولذلك فإن البيتين اللذين يمكن تقديرهما حول نفس المعنى هما رقم (١) ورقم (١٠) من الأبيات المطروحة كنماذج للتقدير في الجزء القادم ، ويمكن للمرأة أن تتغنى بالبيتين أرقام (١٢ إلى ١٧) فهي في نفس الموضوع ، وأيضاً يمكن لأي عربي أن يضيف أو يحذف أو يؤلف أبياتاً جديدة صالحة للتقدير ، كما يوجد آلاف الأبيات من التقدير نعرض منها مايلي :

١ شى السنة وشى عمنـــــول ∴ وشى هاليـــــنام زادن
عندي قلب يامن يقضـــــه ∴ يلقى جواجيــه بـــــادن

٢ كم منهل في ذرا غـــــرد ∴ عاميه سفى الـــــتراب
جبتيه بالجوز والفـــــرد ∴ ياشاهرة كل غابـــــي

٣ من الحارة للعبـــــد ∴ نين توصل تنيـــــده
خذت ليلها جيد في جبـــــد ∴ مبيات الخلا ماتريـــــدة

٤ في الصبح شيل الكراميـــــد ∴ في الليل مشى القطـــاوي
في العصر جيب التجاريـــــد ∴ فوق عاليات الشهـــاوي

٥ الخيل ماكلها خيـــــل ∴ وقت العليق يندهـــوهـــا
بات المسا واظلم اللـــــيل ∴ واهل العوايد يجوهـــا

٦ قولوا لركابة الخيـــــل ∴ را النجم بوذيل جاكـــــم
ان كان شرق يكثر المســـير ∴ وان كان غرب ياشقاكـــم

٧ حجلة ورجليها بيـــــض ∴ وعليقها بالـــــمداري
واقفه على القـــــارات ∴ وتنادي لكل والـــــي

٨ ركب الذّكر حظ في حـــظّ ∴ ويزيد منقلة عن النثايـــة
وين مادفسته بالركاب فــزّ ∴ وجاب الحصى على العبايـــة

٩ ناديت ياحسن هـــــوه ∴ خش الدكاكين غـــادي
من ذاق عيش المدينـــــة ∴ ماعاد يولف بـــــوادي

١٠ لا ليلة اخت ليـــــلة ∴ ولاسعد لايام دايـــــم
ولامن قاني كحيـــــلة ∴ كيف من قاني بهايـــــم

١١ الرزق يريد اللحاليـــــح ∴ اللي مايرقدوشي سمـــارة
يجضّوا كما المجاريـــــح ∴ عطوا نومهم للفقـــــارة

١٢ لا الأمْ كيفها حـــــد ∴ ولا الأُخْت كيف الدمايـــة
تاكل وتوكل ولـــــدها ∴ وترمي عليّا الجرايـــة

١٣ حق النبي شاهر الديـــــن ∴ انا على غير عينـــــة
ومايضحكن غير الأنيـــاب ∴ كلاّ الجواجي حزينـــة

١٤ لا الأم كيفها حـــــــد ∴ ولا الأخت كيف الدمايـــــة
تسمر كيف ماسمرنـــــا ∴ وتفرح ليلة هنايـــــة

١٥ كان حال ودّي يـــاودودي ∴ جيران والسّر هـــــادي
ياللي حبيبي تحبيـــــه ∴ وكيف مانعادي تعـــادي

١٦ انا انريدك خزيـــــني ∴ واختك تريدك بزايـــــد
انت لعازات الايـــــام ∴ تمسح دموعي بدايـــــد

١٧ يارب خلّي خـــــوي ∴ وياتي عزي وديـــــني
أمّي تريدهم حَلَقـــــها ∴ وانا نريدهم خزيـــــني

١٨ يابوي هذين الايـــــام ∴ اللي مافيهن شماتـــــة
اللي خذنه خذنـــــه ∴ واللي عقب لاحقاتـــــه

١٩ ان عاب صاحبك ماتعابيـــــه ∴ را صاحب العيب نـــادم
زَلّ القلم في يد قاريـــــه ∴ يابال عقل البنـــــادم

٢٠ اللي يكرهك مايحبـــــك ∴ وسيبك من الحجـــــاوة
ومشيك مع من يسبـــــك ∴ يزيدك الاّ عـــــداوة

النقيـز

النقيز كلمة تقال لتدل على مظهر من مظاهر الافراح في البيئة العربية في مصر ، وقد كان النقيز من مظاهر أفراح الزواج قديماً ، أيام كان الزفاف يتم على الإبل ولكن استخدام السيارات الآن جعل هذا التراث ينقرض ولاتكاد ترى الآن أي أثر لهذا المظهر ، والنقز مصدر (نقز ينقز نقزا) أي نط أو أسرع على قدم واحدة فهو يسير أمام العروسة يوم الزفاف على مسافة أقل من ١٠ أمتار ذهاباً وإياباً على قدم واحدة والآخرى تضرب الأرض كأنه (على قدم ونصف) ممسكاً البندقية ومؤدياً لقصيدة شعرية من قصائد الغزل أو الوصف بايقاع سريع مع التركيز على مخارج الحروف في الكلمات الهامة واللزمات التي يكررها في الأداء أكثر من مرة ، وفي النهاية وبعد فترة توقف الفرح بكامله حول النقّار يختم النقيز بقصيدة وصف صغيرة ثم القاء أغنية عَلَمْ بدون غنائها ، مجرد القاء لأن التركيز هنا على المعاني المقصودة وليس على جمال الصوت ، وربما يلقي أغنية علم فقط كختام للنقيزه ثم يطلق عياراً نارياً دون قصيدة الختام الوصفية الصغيرة ، وكان النقيز من أجمل تقاليد الأفراح العربية ، وله قصائد مشهورة بعضها تؤدي وكأنها رسائل حب مرسلة للحبيبة بذاتها أو لوالدها أو قبيلتها ، وعند الزفاف والعروس فوق الجمل وبجوارها وصيفاتها يرفع رجل بندقيته ويوقف الجمل فيتوقف الفرح بالكامل ، والكل يعرف أن هناك رجل سينقز وتتكون دائرة بيضاوية كبيرة حوله في صمت كامل (اتمنى ان يكون لديهم مثل هذا الصمت والانصات الكامل وهم يستمعون لتلاوة القرآن) ، ويمسك البندقية بيديه الاثنتين من الامام والخلف ويرفعها لأعلى ويسير للأمام والخلف على ظهره أي لايغير اتجاه جسمه ويدق الارض بإحدى قدميه قائلاً (إشْ ... إشْ) وكأنه يتساءل ماذا سوف اقول لكم فكلمة (إشْ) تعني (ايش) أو (أي شيء) فهي كلمة تساؤل ثم يبدأ في أداء القصيدة بايقاع منتظم.

والنقيز كان يؤدي دائماً أثناء موكب الزفاف فإذا لم يتقدم أحد طوال المسافة بين منزل العروسين ، فإنه قبل منزل العريس بما يقرب من مائة متر تصنع دائرة نقيز يتقدم لها أكثر من شاب مرددين معاً أبياتاً معدودة ومحفوظة وبأداء جماعي وحركة دائرية قائلين :

شدّوا ذيل البيت إقربنا

ياالعزيز عليك إتعبنا

ويرددون ذلك معاً رافعين الاسلحة لأعلى في منظر بديع وهم يلفون حول بعضهم ومتقدمين ببطء ، أي يتحكمون في سرعة سير دائرة الفرح بالكامل في اتجاه منزل العريس ، والمعنى المقصود أي ساعدونا بإعداد الخيمة فلقد اقتربنا من البيت وإننا قد تعبنا ، ولكن تعبنا هذا يهون لأنه تعب على العزيز أي الحبيب.

تقاليد جميلة وأداء بديع ولحن مميز ومعاني قوية كل ذلك تلاحظه في النقيز الذي لم يعد له وجود الآن في ظل طغيان الحضارة واغتيال الفطرة ، وبعض القبائل يطلقون على النقيز (رطز) ومن الأهمية بمكان ان نقول أن كل منطقة عربية لها خصوصيتها وربما تجد نفس القصيدة في منطقة وتجد أبياتها متغيرة في منطقة أخرى ، وحتى الامثال وأيضاً نطق اللهجة البدوية فيها اختلافات ولاضرر في ذلك ولاغرو فهذه طبيعة اللغة اللفظية ، فمن يجد اختلافاً فمعذرة.

١- امثلة للنقيز :

هناك قصائد عديدة للنقيز الفردي تستحق ان يفرد لها مؤلف خاص وسوف نعرض مطلع هذه القصائد مثل :

- جَذي الريم جفل من ضلّـــــه ∴ نختل في مرقاه تعلّـــــي

- سوتهتيه ابنية نجمك.سوتهتيـــه ∴ بعد فتّيه .. وحتى البوم يجفرد فيــه ابنية نجمك

جـ - ياعون اللي طال الغيّة ..حبيبه جـاء بعدحقه قام فتح له.تبسم وضحك في عبا

د - بنت تقول جنيه نصـــــاري موش خسارة.. بيضه والرقبة جمّـــارة

هـ - علم عالي ياعونك بيـــــه بعد خذتيه .. علم عالـــــي

ومن أمثلة النقيزة الكاملة مايلي :

١- لاوي الكيمار

ايش حالك يالاوي الكيمـــــار ∴ ايش حالـــــــك
وايش حال نبـــــــاك ∴ وايش حال الجيران احـــــذاك
عيني طرفت من يـــــالاك ∴ مويحـــــــكار
الدمعه تسكب ليل نهار .. ايش حالك

ايش حالك يالاوي الكيمـــــار ∴ ايش حالـــــــك
وايش حال طاريـــــــك ∴ وايش حال الغوش اللي فيـــــك
نايومة نتعب ونجيـــــــك ∴ انروح ساكع من المشـــــوار
ايش حالك يالاوي الكيمار .. ايش حالك

ايش حال الجملـــــــة ∴ وايش حال العيلة بالكملـــــة
بنت اتقول دقوقة عملـــــــة ∴ ياستار.. بلاها عقلي موصبّـــــار

ايش حالك يالاوي الكيمار .. ايش حالك

ايش حال قسميتـــــــــك ∴ وايش حال اللي جو في نيتـــــك
كان الغية موطانيتـــــــك ∴ درّ خبار... ونرقد نين ايجي النهـــار
ايش حالك ياالاوي الكيمار .. ايش حالك

٢- روحي أنا

روحي أنا ... اجعل ماروحك
روحي أنـــا ∴ فرغت ابكـــا ∴ غريمي بودور إسّفـــي
اجعل ماروحك

- روحي المنهاســـــة ∴ روحي انا روح المنهاســـة
واخذها جرار مداســـة ∴ خدالبنت كما مقباســـة
واللي خذها بات هنـــا ∴ اجعل ماروحـــــك

- روح المُبلـــــى .. روحي انا روح المبلـــى
خذت مني عقل الغالـــي ∴ عزيز تباعد ميتي يجـــي
يرد الروح لصاحبهـــا ∴ اجعل ماروحـــــك

- روحي ياحـــــن .. روحي انا روحي ياحـــن
خذاها موللدملـــــج رن ∴ وين جرحه جاني على الظـــن
عدوني ماڤ عـــزا ∴ اجعل ماروحـــــك
روحي انا .. فرغت ابـــكا .. عزيمي بودور اسّفـــي
اجعل ماروحك

٣- الدور إتّنى

الدور إتّنى .. ولايامولي.
الدور إتّنى .. عُقصْ البنت بعد حلّنه .. مشاطاته زهقن منه.
حطن فيه .. قزايز بّنه.
واطناشر وقه من الحّنه .. ولايامولي.

٢- امثلة لقصائد ختام النقيز :

أ) أول سلامي

اول سلامي.. على الرسول الهـــادي	∴	محمد شفيعي.. يوم صهد النــــــار
ثاني سلامي .. على الحبيب الدامـي	∴	عطشان ضامي .. ماوردت ابيـــــــار
الخاطر جالك.. من الجضر شاكالـــك	∴	يابو حلق بالك.. تدير عضـــــــــار
الخاطر اجّول.. من ثلاث تحـــــــول	∴	تنقل وراء الزينين دار بـــــــــــدار
لوريتوا عقوصه.. من ورا برنوصـــــه	∴	جدايل سفينه.. معانده التيـــــــار
لوريتوا فّمه.. منطوى من يمـــــــــه	∴	لايطلع عيبه .. لايوجّع جــــــــــار
لوريتوا اكفوفه.. في ورق ملفوفـــــه	∴	ان بانت اطروفه.. يشكمن بالنــــــار
لوريتوا ساقه.. خالقه خلاقـــــــــة	∴	لاخّشاته سوسة ولامنشـــــــــــــار
لوريتوا اقدامه.. دحيتين جمامـــــــه	∴	ماعمرهن حقن.. احرورنهــــــــــار

أغنية العَلَم (وريتي الزها ياعين وريتي الخطايا كلهن)

ب) ياناعليّه

ياناعليه من سريب الغيّـــــــة	∴	انهّمد شوية تشيط في النـــــــار
تباعد عليّه خظرت الكوهيـــّــــه	∴	ونومي اشويّه من الغلا سمّـــــار
تباعد الغالي بونياب مجالـــــــي	∴	وابنايه العالي طاح راح دمـــــار
تباعد غلايه بعد بان زهايـــــــه	∴	سبايب خطايا راه من النّقـــــار
ندعي ياك يصادفه ادعايـــــــه	∴	انعنه الناقر لاضننا لامـــــــال

أغنية العَلَم (إداعيا يخلّف فيه الناقر اللي حال دونهم)

جـ) عينك كما عين

عينك كما عين عالي مطاره غريم الحبارة	∴	وخدك كما برق شلّع بنـــــاره
صقر الفجوج احزامك يــــــــــروج	∴	وخدك كما برق بوزع المـــوج
وضّيع اجـــــــــــــــواره	∴	وريّس ولد قنصلي من النصارة
صقر اريطوله اركيب غزولــــــــــه	∴	وسيدك يجي فوق حمرة وكولة
وقزّن اصفـــــــــــــــــاره	∴	ودقّن عليه النسا فوق الطـــاره
صقر الحدادي اعيونك همـــــــادي	∴	وخدك كما برق نور الـــــوادي
وهالـــــــــــــــــب ازراره	∴	وشيّب جنبن انولد في نهـــــارة
صقراً الحدْ ذراعك إجبـــــــــــدْ	∴	واجبدْ من يســــــــــاره

كسوبه ولد يوم سوق الخســــــارة

أغنية العَلَم (وحالف العقل يمين ان يوفي غلاه وماقدع)

وبعد القاء أغنية العلم يطلق العيار الناري ثم تنطلق زغاريد السيدات والفتيات إيذانا بمواصلة سير موكب العرس نحو منزل العريس.

الحــداء

الحداء نوع من الغنـاء يقـال خلف الابـل خاصـة في السـفر أو اثنـاء العمـل ، وهو بيت واحد من الشعر مقفّي من الشطرين بنفس القافية ، وهـو يختلـف عـن أغاني العلم في بناء البيت بالقـافيتين عكس أغـاني العلم ذات القافيـة الواحـدة ، وأيضاً يختلف في الأداء ، وطريقة الالقاء ، غير أن التشابه بينهما يظهر في ارتفـاع الصوت وصغر الاغنية فهي في كلاهما بيت واحد مـن الشـعر ، وهـذا مثـال لأداء الحداء خلف الابل :

(سايق عليك الله ماتموحّي ∴ يامفرحة الصغار يوم تروحّي)

ومعناه رجاء للناقه أن تسرع وتجد السيرلتفرح أطفـال القبيلـة بما تحملـه لهـم على ظهرهـا ، ولحـن الحداء يـؤدي بصـوت مرتفـع ومنه مـد وتطويـل في إحـدى كلمات البيت وهي دائماً الكلمة الهامة مثـل لفـظ الجلالـه (ا لله) في البيـت السـابق وتؤدي بالترتيب في الخطوات الخمس التالية :

١- ا لله ماتموحي.
٢- سايق عليك ا لله ماتموحي.
٣- ا لله ماتموحي .. سايق عليك ا لله ماتموحي.
٤- ا لله ماتموحي .. يامفرحه الصغار يوم تروحي.
٥- يامفرحة الصغار يوم تروحي.

وهكذا ظهر الفرق في الآداء بـالبدء بنهاية الشطر الأول مـن البيـت عكـس أغاني العلم التي تبدأ بنهاية الشطر الثاني ، وهذه القواعد في الأداء لاتخرق ، بـل

أنهم يعرفون العربي الاصيل من غيره ، بالاخطاء البسيطة التي يمكن أن تكتنف الأداء لدى غير البدوي.

يقول أحمد محمد حسنين (٣١) : " اغاني البدو بسيطة شعرية تنم عن حياة الصحراء " ، فتشمل احداها بدوياً ينتظر القافلة المنشودة في إحدى الواحات ويغني إبلها قائلاً : " الليل هوّد والمرازق تاقت .·. وانتي لفيتي والخواطر راقت " وهنا نجد حسنين يسمي الحداء غناء ، كما أنه يسم هذا الغناء بالبساطة ، وفي الحقيقة فإن الأداء صعب للغاية ولابد لغير البدوي أن يخطيء إذا حاول تقليد هذا الأداء الذي يبدو له بسيطاً مهما كانت حنكته . وأما عن الغناء فهو غير الحداء الذي يسمى (مهاجية) لدى العرب ، وكلمة حداء تستخدم لتدل على الغناء المصاحب للحيوانات بغرض اطرابها والترويح عنها والدعاء لها أثناء العمل الشاق والسفر الطويل في الصحراء.

أمثلة للحداء

١ - يامرحبا ياشايله الرديف .·. من الغرد لقصى لبلاد الريف

٢ - ريتي ضنا لجواد ياحنانّه .·. ماتوا مكافي ماهو وجبانه

٣ - مشى الليالي ذيبلك ياعودة .·. وانا اللي ذبلني بو العين السودة

٤ - اخليلها من الدرب ياقدامي .·. جاتك اكحيله رافعة العلام

٥ - حنتّ حنين ماحنين احوار .·. حنينها على هلها ابعاد السدار

٦ - إلبل هبيلة ماتهاب الليل .·. حجّب عليها ياشديد الحيل

٧ - هاوي عليها يامهاوي هاوي .·. بنّة عرقها كي المسك الجاوي

٨ - سيدك ولد ياقوت وامه جابت .·. يسري مع النجمة وقلبه ثابت

٩ - ياماقطعتي دير فيه امواير .·. جاتك كما فرق الحمام الطاير

١٠ -	يامن يحدّرها علي حي العرب	∴	مع خلصة المتعة مع طي القـــرب
١١ -	بنت المعلم داقّه صلبـــــان	∴	داقّه على الصّرة جمل واحصـــان
١٢ -	يارب سلّمها من التهديــــد	∴	واجعل قوايمها من الحديـــــد
١٣ -	لنّا ثلاث ايام غير الليلـــة	∴	لا كلب ينبح لاظقيق عويلـــه
١٤ -	تقبلي وادعي على النجـــار	∴	اللي ولفّ الخشب على المسمـــار
١٥ -	كيدك على العلاف وانا مالـــي	∴	كيدك على العلاّف صاحب المال
١٦ -	لو تعرية الشيشان وامه خـادم	∴	واللي جراله ماجرا لبنـــــادم
١٧ -	شغل العصارياعين ياموهوقاسي	∴	ويبيّن الفضة من النحـــــاس

ونلاحظ ان المغني دائماً يبدأ بأهم كلمة وسط البيت الأول وهي الكلمات التي تحتها خط تكون هي بداية الحداء ، ويختلف ذلك عن أغاني العلم التي تبدأ بآخر كلمة من البيت مثلما تبينّ ذلك في الجزء الخاص بأغاني العلم.

الحضـرة

الحضرة عبارة عن احياء ليلة ذكر ا لله على الطريقة العربية ، ويقوم بها فريق ينتمي إلى قبيلة من قبائل المرابطين ، من ثلاثة إلى خمسة رجال ، ويمسك كل منهم (طار) يسمى (البندير) وهو من الجلد المشدود على اطار خشبي مستدير قطره ٤٠سم تقريباً وعرض الاطار من ١٠ إلى ١٥ سم تقريباً وبه فتحة بمقدار إبهام يد الرجل حيث يدخل بها اصبعه الابهام ويقبض على البندير واليد الأخرى هي التي تقوم بالضرب أو العزف ، وبايقاع واحد وحركة واحدة من الفريق كله يؤدون الحضرة حيث يجلسون متجاورين في مواجهة الجمهور ويضربون على البندير وهو اما م المؤدي ثم يرفعونه لأعلى باقصى طول الزراعين وهكذا يظل النقر والضرب والحركة من الفريق وهم يؤدون مقطع من قصيدة دينية فيها ذكر ا لله ، بينما يتفرغ احدهم لالقاء القصيدة بلحن مميز وعند اللزمة التي عادة تأتي عند الشطر الثاني من البيت الثاني ، حيث أن معظم قصائد الحضرة رباعيات عند هذه اللزمة يردد الفريق بصوت مرتفع ويضرب الدفوف بصوت مرتفع وتشتد حركة البنادير صعوداً وهبوطاً ، وبعد أداء اللزمة يهدأ الفريق ويخفت الصوت والحركة وصوت البندير مشكلاً خلفية صوتية من الهسيس الصوتي الجميل أثناء أداء الشيخ الذي يؤدي القصيدة مُنفرداً، واحياناً يقف الفريق ويؤدي حركة جماعية متحركة ، واحياناً يظهرون بعض الكرامات التي رأيتها بعيني مثل وضع سكين محمي على النار لدرجة الاحمرار في فمه أو أن يدخل النار بقدميه أو أن يمسك بكوب فارغ فإذا به مملوء بالماء ، هذا مما رأيته بعيني ولازلت اشك واراجع نفسي ولا اصدق ما رأته عيني ، فقد تمكن السحرة يوم الزينة أمام سيدنا موسى وفرعون أن يسحروا أعين الناس حتى خيل إليهم من سحرهم أن الحبال والعصي حيات تسعى ، وأيضاً مايجعلني أميل لتكذيب هذه الكرامات أن بعضها يعتمد على عنصر النار ، مثل إحماء السكين أو المشي في النار ، ولا استبعد الشيطان عن عناصر النار ، ومع ذلك لابد أن نقول العلم

عند الله. وأما الآن فقد ندرت الحضرة لدرجة تكاد أن تكون انعدمت بفعل الحضارة الطاغية ، وانشغال العرب بالعمل والتنافس الحضاري في البناء والتشييد والزراعة ، فلم يعد هناك من يطلب الحضرة ولامن يقوم بها ، وهذه بعض قصائد الحضرة أو الذكر على الطريقة العربية.

امثلة لمطلع قصائد الحضرة (أو اللزمة) :

١ - صلّوا على صاحب المعجـــزات ∴ باهي الصفـــــات
شفيع الخلايق يوم الممـــات ∴ صلوا علـــــى
٢ - ياسامع صلي على النبــــي ∴ محمـــــدي
صاحب الشفاعة سيـــــدي ∴ ياسامع صلّـــــي
٣ - يافارس بغداد هايا جيلانـــي ∴ نظرة ياصلاح بالك تنسونـــي
٤ - الاقدار ضاعت والعقيدة قلّــت ∴ والقلوب من السيات راهي ملّــت
٥ - الاقدار ضاعت والعقيدة زالــت ∴ والقلوب من السيات راهي مالــت
٦ - خايف من هيبة مولانا .. ياسبحانه ∴ بكرة يودونا الدفّانة.. خايـــف
٧ - الدنيا فانية واللي عليه فانـــي ∴

ومن القصائد مايلي :

- ياجاهلين امور الدنيـــا .. راهي من قديم غـــرورة
اشقوا بدينكم (اي اهتموا بدينكم)

- دار خرابـــــــه ∴ دار بالنكد والحزن تنبت صابـــة
حتى لوزهت ساعة إلها انقلابـــة ∴ تواطي رفيع شان تذهب شــــوره
ياجاهلين امور الدنيا .. راهي من قديم غرورة .. اشقوا بدينكم

- اللي قبل عند الناس واخذ قايـه ∴ يردوا عليه ويتبعوا في شـــــوره
يبقى غضيب ويكرهوه أصحابـــه ∴ ويدير شيء ماينفع إلفي جمهـــوره
ياجاهلين امور الدنيا .. راهي من قديم غرورة .. اشقوا بدينكم

- دار مشومة دار خاربـــــة ∴ خربة مقر البومـــــــــــــه
وماهي للخلود من أصلها مديورة.
ياجاهلين امور الدنيا .. راهي من قديم غرورة .. اشقوا بدينكم

وهناك قصائد عديدة وشهيرة لشعر الحضرة منها قصيدة (الغزالة) وهي تحكي قصصاً عديدة من معجزات النبي صلى ا لله عليه وسلم وكيف تبسمت له الناقه وسمعته الغزالة ، وهناك قصائد عن أولياء ا لله الصالحين مثل (سيدي عبدالقادر الجيلاني) وقصائد في التأمل مثل الدنيا والموت والبعث والحساب وغيرها ، ومهما كان فإن ذكر ا لله شيء مطلوب وباستثناء بعض الخوارق التي تحدثنا عنها فإن الحضرة شيء جميل وتقليد ممتاز طغت عليه الحضارة واندثر.

الترجيب

الترجيب يعني لدى العرب تدليل الأطفال الصغار بالغناء لهم ، وترَجَّبه أو أرجبه ، أي : هابه وعظمه ، فهو مرجوب ، مثال ذلك :
أحمد ربي فرقاً وأرجَبُه
أي : أعظمه ومنه سمي رجب ، ورجب - بالكسر - اكثر.
ورجب : شهر سموه بذلك لتعظيمهم اياه في الجاهلية إذا كانوا لايستحلون القتال فيه وفي الحديث : " رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ".
قيل : رجب مضر اضافة إليهم لأنهم كانوا أشد تعظيماً له من غيرهم فكأنهم اختصوا به والجمع : ارجاب فالترجيب يعني التعظيم. وفي القاهرة يقولون (هشتكة الطفل) وفي دول الخليج يقولون (أغاني الهولولي) وتحاول فيها السيدات بابيات شعرية قليلة التعبير عن آمالها العريضة في طفلها أو طفلتها ، وتحمل هذه الأبيات الشعرية رقة وعذوبة تدعو إلى التأمل وإعادة النظر في كل ماقيل عن جفاف البدوي ، وأن البيئة الصحراوية الجافة قد انعكست عليه وجعلته جافاً حتى في معاملة أطفاله ، والحقيقة أن أغاني الترجيب تعكس صورة رقيقة وحانية ومعاني عذبة في الترجيب على الأطفال ، وأن جفاف الصحراء شيء لايوجد إلا في عقول الذين يشاهدون الصحراء من بعيد دون معايشتها.

معظم الترجيب يقدم للأطفال في سنتي الرضاعة وتلقي الأبيات أثناء رفع الطفل بيدي أمه غالباً أو أبيه أحياناً من تحت أبطية ويرفع لأعلى ولأسفل بحركة خفيفة تظهر شيئاً من الحنان ، ويلقي الشعر متزناً مع حركة الطفل بين يدي أمه بايقاع منتظم ومكرر لكل الأبيات تقريباً بجملة موسيقية واحدة مثال ذلك مايلي :

اولاً : من ترجيب النساء على أطفالهن الذكور :

تداعب البدوية أطفالها باشعار بديعة تنم عن حس مرهف ورقة مع الطفل غير متوقعة في البيئة البدوية ، وتترنم بهذه الاشعار بشكل معين يختلف في لحنه عن الانماط الأخرى من الشعر البدوي.

◆ هذه سيدة تتمنى أن يكبر طفلها ويلحظه الناس وهو فارس فوق حصان أحمر. فتقول :

١ يامن لحظه[١] فوق حمر حوح[٢] ∴ ولاّ حمرة حوحية
نازل من عرقوب الطوط ∴ ناهب قوت الميرية

◆ وهذه أخرى تتمنى أن يلحظ الناس طفلها فارساً فوق حصان جميل ومرتدياً ملابس جميلة فتقول :

٢ يامن لحظه فوق اللي يشابي[٣] ∴ لابس رقراقي هبهابي[٤]
لاوي خف على الأكعاب ∴ حايا الأرض بعد الاجداب

◆ وهذه تتباهى بعقل أبنها وأنه سيكون قائداً أو حاكماً ... فتقول :

٣ يامن لحظه فوق رهيف[٥] ∴ عقله وازن موش خفيف
ستاشر باشا من الريف ∴ اللي وداهم للومان

◆ وهذه ترى طفلها بعد العلاّقة وهي حلق في أذن واحدة للطفل فتقول :

المعاني:

١- يامن لحظه : يامن يراه بعد ان يكبر.
٢- حمر حوح : حصان أحمر قاني.
٣- اللي يشابي : حصان يشيح بذيله.
٤- رقراقي هبهابي : حرير ناعم.
٥- رهيف : حصان (كناية).

٤ يامن شبحه بعد العلاقــــة(٦) ∴ والسروال مخانق ساقــــه

يمش هو ورفاقة

❖ وهذه تراه في فرح بدوي يضرب البارود بين المزغردات من النساء فتقول :

٥ يامن شبحه فوق أريــــد(٧) ∴ منّعلْ بنعالات اجــــدّد

وبين الزغراتات يــــرد ∴ وباروده داير دخــــان

زنادة قاسي على العدوان

❖ وهذه تراه محارباً فتقول :

٦ يامن شبحه فوق تليــــد(٨) ∴ يامن شبحه فوق تليلــــه

زرقة وقلادتها نيلــــة ∴ لاوي غُرّة ومهاويلــــه(٩)

عقب الليل يدق رسيلــــه ∴ ماخلّى في الكّرم جريــــد(١٠)

❖ وهذه ترحب به فتقول :

٧ مرحبا يامرحبــــا ∴ اللي مايقول مرحبــــا

لايبنيله بيت كبــــير ∴ لايفرشله فيه حصــــير

الاّ الحنش والعقربــــة ∴ والفار قد المنصبــــة

وهكذا فالحصان عامل مشترك والفروسيه أمل والصورة الشعرية بها إيجاز وبلاغة وتتكرر في تركيبات شعرية مختلفة. مرة على الحصان حينماتقول (تليد) ومرة أخرى على الفرس حينما تقول (تليلة) أي (تليدة) مؤنث تليد.

٨ يامن لحظه فوق تليلــــة ∴ زرقة وقلادتها نيلــــة

والعاقب في الدار يشيلــــة ∴ عقب الليل يدق رسيلــــة

لاوي غرة ومهاويلة

المعاني :

٦- العُلاقة : قردة حلق في أذن الطفل.

٧- أريد : حصان لونه مختلط.

٨- تليد : حصان قوي.

٩- لاوي غـرة ومهاويلـه : يشـد على الحصان ويرخي

١٠- الكرم : واحة من النخيل.

٩ من شبحه فوق الحـــــــوّا ∴ والشال عليه ملْـــــــــــوي
في الملعب ياما ســــــــوى ∴ ماخلى في الكرم جريــــــــــد
يامن حقه فوق تليد

١٠ اهلاً وسهلاً وين يجـــــــي ∴ يرمو له الطاعه والكرســـــــي
خليه لي ... خليه لـــــــــي ∴ يبني بيت كبير غريـــــــــي
يشيّع كلبه ياكلني

١١ خليه لي ... خليه لّـــــــي ∴ إنعنه زوله مايغــــــــــادّي
لاهو من جحفه ذكـّـبـــــار ∴ ولا هو من النجار ارحّــــــــى
روّد والمنزول احتـــــــــار ∴ ومابانيزل نين ايحيـــــــــيّ
وين نزل جوه الخطـّـــــار ∴ وجاب حصير وجا يجـــــــريّ
ودز العبد يقيد النـــــــــار ∴ ودز الراعي يجيب ثنـــــــيّ
هذا هو اوليدي بالحــــــــق ∴ على الجودة مامتغـــــــــبيّ
وبيته مشرّب للريـــــــــــح ∴ وناره للتايه تضــــــــويّ

١٢ من لحظه ياخالاتــــــــــا ∴ واوراق الباشا جاتــــــــــا
يقراهن ويستقراهـــــــــن ∴ ويعلقهن في شاشاتــــــــــا

١٣ من شبحه بعد العيقـــــــات ∴ حصان ارزق فيه اشنافـــــــات
يحجّل قدام الخودات

١٤ مرحب بيه مرحب بيـــــــه ∴ عين عدو ماصاغت فيـــــــه
حجبة والزغاريت عليه

١٥ حنه بريــــــــــــــــة ∴ جابوها العبيــــــــــــد
في يدك (يافليــــــــــنّ) ∴ في يوماً سعيــــــــــــد

ثانياً : من ترجيب النساء على أطفالهن من الإناث :

١ الفين تحير الفين تسيـــــر ∴ الفين تحاذي جحفتهــــا[1]
سبع مراكب موسوقـــات ∴ امغير كساوي عيلتهــــا
سبع جمال محمـــلات ∴ امغر بناني قصتهــــا

٢ من لحظك يامزّ المـــزّ ∴ ميت نويقة جت تلتـــزّ[2]
ميت نعيجه تحت الجُـــز[3] ∴ وباتك[4] من الميعاد قفـــزّ
وقال شوي في مز المز
من لحظك ياعجبانـــه ∴ ميّت خادم رطّانـــه[5]
ميت عبد بقفطانـــه ∴ وباتك من الميعاد قفـــزّ
وقال شوي في العجبانه

٣ هايالَلّ وهايـــالال ∴ ولد باسل شيع مرســـال
وقال عبيد وقال جمـــال ∴ وقال ذهب مالا كيّـــال
وبوها متعند مازال

٤ ياالحبيبة ودي ليـــك ∴ ياالحبيبة ودي ليـــك
ودي ليك خرص مجلجـــلْ ∴ وجحفه ترهج فوق جمـــل
وبيتك مبني وسط الهـــلْ ∴ وعيني ديما ترعي فيـــك
ياالحبيبه ودي ليك

٥ ياالحبيبة ياالحبيبـــة ∴ ياود الحطار تجيبـــه
وتدحلب به كيف الذيبـــه ∴ خليك ليه ياالحبيبـــه

المعاني :

١- تحاذي جحفتها : بجوار هودجها.
٢- تلتز : تتدافع وتدفع بعضها.
٣- تحت الجز : غنم كبيره لها صوف.
٤- باتك : والدك (ابوك).
٥- الخادم الرطان : غير عربي اللهجه.

٦ من لحظك وانتي ياخيتـــــي ∴ ميعادك عامر في بيتـــــي
وين لفاسيدك صبيتـــــي ∴ صرتي متبحوس جرجـــــارك
من لحظك وانتي بســـــوارك ∴ تلوي في الشال علـــــى زرارك
سيدك عاجبته بشكارك

٧ ابن المامور مشى مقهور ∴ على شرية من قلتّها
ابن السلطان مشى غضبان ∴ على قعدة في ضلتها

٨ ماجابوك عربْ ياحنـــــا ∴ ماجابوك عـــــرب
ماجابك جيـــــاب ∴ ولاجابك من حج وتـــــاب
هنى من سكر دونك يـــــاب ∴ بعد ينظر زولك يطـــــرب
ياحلوه ماجابوك عرب

٩ ماجابوك فلـــــوح ∴ ولاجابك ساكن مطـــــروح
اللي حقك روح مجـــــروح ∴ اشقى مالقيولاشي طـــــب
ياحنا ماجابوك عرب

١٠ ماجابوك عرايـــــب ∴ ياعين الشاهين الطايـــــب
اللي ماحقك ودرنايـــــب ∴ عدا يرقد من المغـــــرب
ياحلوة ماجابوك عرب

ويترك المؤلف تفسير بعض هذه الأمثلة العربية من الترجيب ، حيث أن تفسيرها يحتاج لصفحات كثيرة ربما يشق على القارىء قراءتها ، وسوف يفهم تفسيرها أبناء هذه القبائل والباحثين المشتغلين بدراسة البيئات الصحراوية.

الألغاز الشعرية لدى البدو

تحمل الالغاز الشعرية لدى العرب أهمية خاصة لكونها أسئلة كانت تتم بين العشاق وتحتاج لاجابات شعرية أيضاً ، وكانت فصاحة الرد كافية لاظهار مدى الاحترام بين الحبيبين أو استهزاء احدهما بالآخر والأسئلة والردود عليها في الالغاز الشعرية تتضح من الأمثلة الأربعة التالية :

أمثلة للألغاز الشعرية لدى العشاق

أ - سؤال :

١ ان كانك ولد وعـــــــراف ∴ وعرفك ينجي الرفاقـــــــة
تجيب لي ريشة من البـــــاف[1] ∴ تحمّل ثلاثين ناقـــــــة

•••••

ب- رد :

انا ولد وعـــــــــراف ∴ وعريّ ينجي الرفاقـــــــة
ومانجيب ريشة من البـــــاف ∴ نين تحلبي بوشراقـــــة[2]

أ - سؤال :

٢ يابو ملفحة جدل في جـــــدل ∴ ويابو عيوناً ســــــكارى
اقعدلي على تل رمـــــــل ∴ وعدة لي دارة بـــــــدارة

•••••

ب- رد:

يام قناع جدل في جــــدل ∴ يام عيوناً ســــــكارى
اقعدي على شق نمـــــــل ∴ واعري الفاضيه من العشـــارة

---

(١) الباف جمع بافة وهي البومة. (٢) بوشراقة الصقر.

أ - سؤال :

٣ ان كانك ولد وعريـــــف ∴ وتعرف حروف العبـــــادة
تقوللي على ضفدع الريـــــف ∴ يبيض بيـــــض ولاّ ولادة

•••••

ب- رد :

انا ولد وعريـــــف ∴ ونعرف حروف العبـــــادة
وعندك ضفدع الريـــــف ∴ يبيض بيض ليلة الزيـــــادة

أ - سؤال :

٤ ان كانك ولد وعريـــــف ∴ وتعرف حروف الهجايـــــة
تجيب البحر في قعر فنجـــــان ∴ وتوزن الجبال بالوقايـــــة

•••••

ب- رد :

انا ولد وعريـــــف ∴ ونعرف حروف الهجايـــــة
وانفصل من الريح ســـــروال ∴ واندير من المية عصايـــــة

الألغاز لدى الأطفال

الغاز الأطفال غيز ملتزمة بالوزن الشعري ولاتستدعي ان يكون الرد شعراً وعلى وزن شعرِ السؤال وإنما هو لغز (أو فزورة) يتسامر بها الأطفال في الليالي ويتناقلونها جيلاً بعد جيل مع الحذف والاضافة ، ومن أمثلتها مايلي :

امثلة للألغاز لدى الأطفال وحلولها

• بنت المدير .. تخبّ حريـــــر ∴ ان كلمناها .. سال دماهـــا (هي البيضة)

• بوي بنالي قصر ياعز بنيانه ∴ القالب اللي يطيح منه مانقدر نحط مكانه (الاسنان)

• الراجل حي ... الراجل مات ∴ الراجل فيه اربع بقعـــــات (المزمار)

ان كلمناه يقول نعـــم ∴ وان سيبناه تردى مـــــــات

• جريها جري الفـــــرس ∴ بس الفرس عراقـــــة (المركب)
جسمها جسم الشجـــر ∴ بس الشجر باوراقـــــة

• طيراً طار.. مع الكفـــار ∴ اعيونه سود وقلبه نـــار (البندقية)

• حجر حجرين.. حجارة لا - اربع كرعين .. حماره لا ،ترقد وتبيض،حبارة لا (السلحفاة)

• حجر وحجارة وموش حجـارة ∴ أربع كرعين وموش حمـــارة (السلحفاة)

• صحن فول مطرطش من هنا لاستنبول .... (النجـــوم)

• اربع شماخيط .. في خيط شميط .. يقولن شيط .... (ضرع البقـرة)

• العنز الطمسة ... في بطنها خمسة .... (الحـــذاء)

• حنشي الازرق عدى يـــتمزرق ∴ صلى العصر بحري مصـر (القطـــار)

• حطيت صباعي في الـــزرب ∴ جبت تراب الغـــرب (الخطـــاب)

• طاسة في البحر غطاسة ... من جوه لولي ومن برة نحاسة .... (البطيخـــة)

• قاعدة في دكانها .. وتاكل في مصرانها .... (لمبه فلاحـي)

• خَشْ القَشْ ... ما خرّيشْ .... (الظّـــل)

• قاعدة في الخضّ وعينها تلضّ.. (الحيّـــة)

الشعر في ألعاب الصغار

المتتبع لألعاب الصغار في البيئة البدوية يلاحظ أن الشعر هو العمود الفقري لهذه الألعاب ، ويؤدَّي بالحان مختلفة في كل موضع منه مايتغنى بالقبيلة ويفتخر بها وبامجادها وبفروسية أبطالها.

ونجد الكثير من أشعار وأغاني الفتيات الصغيرات أثناء العابهن ، حيث تلعب الفتيات حتى سن الطفولة المتأخرة بالعاب محدودة الحركة ولكنها مملوءة بالأغاني والاناشيد التي تؤدي جماعياً وبنغم معروف لدى كل الأطفال ومعظم الشعر مبسط المعاني ولكنه يبدأ ببعض الكلمات التي تمثل لزمات غير معروفة المعنى مثل (الحباريش) هكذا :

الحَباريش الدباريـــــــــــش ∴ حوايا [1] منقوشات بريـــــــــــش

وأخرى مثلَ :

يابيت يوت على البنات

- **حط الظنظر .. وبارود هلنا ينظر .. وفازعين على العدوان**
- **حط حواش .. شكى ياباركة رماش .. وبيتوا العيال عطاش شكينا وحسن الليل.**
- **نازلات من فوق .. وشاريات روس الروق .. وينادن على معتوق يعلق علون الخيل**
- **هك مقبل .. ورينا الشعر متهبل .. على رمشها المسبل أسود سواد الليل.**

وجمال الآداء يبرز جمال هذه الأبيا ت الشعرية البسيطة والمفعمة بالمعاني رغم هذه البساطة مثلاً (نازلات من فوق) أول الشطر تلقى كما هي بصوت مرتفع حتى تضبط بها ايقاع الآداء ، ثم تنوع في الشطر الثاني فتقول : (وشايبيربات روس الروق) حيث تتغنى بالكلمة ، وأيضاً تكمل : (وينايبيدن على معنوق) بنفس الايقاع السابق ثم تختتم هذه الجمل الشعرية بايقاع جديد في الشطر الأخير فتقول : (يعبيلق علوق الخبييلْ) وتكررها (يعبيلق علوق الخبييلْ) وتركز هنا على تكرار الشطر مع تسكين الحرف الأخير وخطفه خطفاً حتى تظهر أنها انهت الأداء. وهكذا تبدأ من جديد في جمل شعرية أخرى بنفس الطريقة ، الشطر الأول يلقى كما هو والثاني والثالث متشابهان والأخير يكرر مع تسكين الحرف الأخير. وهو أداء جدير بالدراسة الموسيقية لاستخراج مراميه وإمكاناته الفنية ومدى إمكانية توظيفها في إبداع جديد.

وإذا كانت العاب الفتيات تدور في معظمها حول التغني بالاشعار السابقة فإن العاب الأطفال من الذكور متعددة ومتنوعة يمكن دراستها من قبل باحثي التربية الرياضية أو باحثي علم الاجتماع ومنها مايلي :

١- الطق :

كلمة الطق في الخليج تعني الضرب ، ولدى قبائل العرب في مصر تعني لعبه تشبه الهوكي ويطلقون عليها في ارياف مصر (الحوكشة) ، وهي كره بين فريقين مع كل منهم عصا تسمى (الباكور) بها التواء من طرفها تشبه مضرب الهوكي ، ويحددون الجون أو (الميز) قبل اللعب كما يقسم الأطفال أنفسهم فريقين بشكل جميل حيث يقول أحدهم (قدّه يمسك ندّه) أي كل واحد يمسك الطفل المساوي له في الطول والعمر ويوزع كل منهما في جانب ، وبعد تقسيم الفريقين بالعدل حتى إذا كان أحد الفريقين أقل يأخذ (نفله) أي طفل أصغر زيادة عن العدد ، بعد ذلك يقول أحدهم (إدعي والديه تطيح عليه) ويقذف الكرة لأعلى فإذا

وقعت ناحية كابتن أي فريق هو الذي يبدأ طق الكرة ويتم اللعب بلا حكم وليلاً على ضوء القمر المنعكس على الرمال البيضاء الناصعة وخاصة في ليالي الصيف.

٢- اطعيم وهي لعبة شبيهة بالبيسبول.
٣- خطافة الطواقي وهي فريقين أحدهما يهاجم ليخطف الطواقي من فوق رؤوس الآخرين وهم يدافعون في مساحة صغيرة.
٤- غفير الطاقية وهي شخص يحرس طاقية من المهاجمين.
٥- أخشيشيبان ، وهي الدفن في الرمال ويتعرف الطفل على الطفل الذي يتخطاه من اليمين لليسار ، والباقون يسألونه (خطاك من ياقدوس ؟).
٦- حز اقديح ، وهي تنافس بين فريقين.
٧- الحلابوت وهي شبه الاستغماية.
٨- يوه يوه وهي تلعب بالعصا والمضرب أيام الربيع وغير ذلك الكثير من هذه الألعاب الصغيرة التي تستحق المزيد من التوضيح والدراسة.

* **من العاب الكبار مع الأطفال :**

حتى العاب الكبار مع الصغار لها أسماء ، فإذا حمل الرجل طفله على رجليه وهو نائمٌ اسمها (بوالقوقي يرقى فوقي) حمله على ظهره اسمها (البوح)، وإذا حمله على ظهره اسمها (جمال الملح) ، وإذا حمله على عنقه اسمها (القازوزه العالية) وهكذا يطلب الطفل من والده قائلاً شيلني البوح مثلاً أي على ظهرك وهكذا.

شكل (١٤) عينات من ألعاب أطفال العرب

اسم اللعبة	شكل اللعبة	شكل اللعبة
١- المرايا (مرءآه) من قش بوص الذرة. ٢- الساقية اللفافة من بوص الذرة والطين.	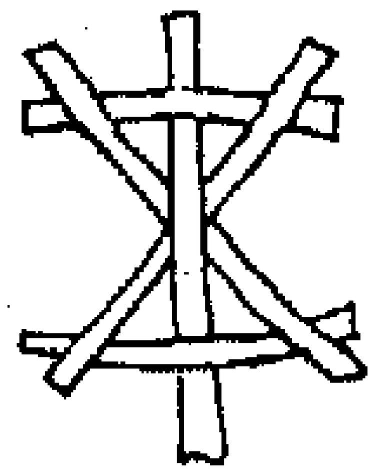 ١	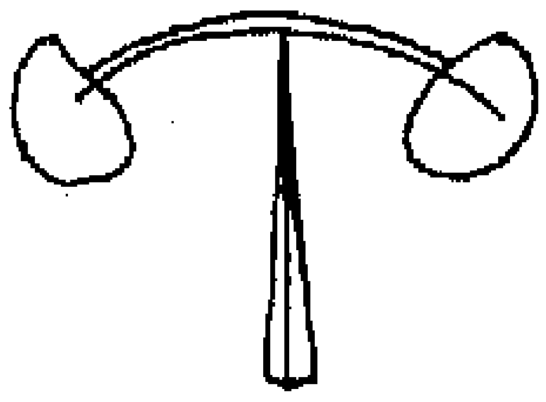 ٢
٣- المكالبة : تشابك عقلتين من بوص الذرة للاعبين. ٤- الساقية الدواره : ربط جُعل يتحرك في دائرة منظمة.	٣	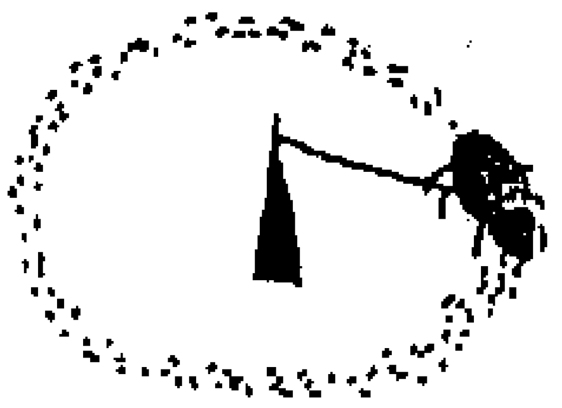 ٤
٥- السيق(مافيها ضيق)أربعة انصاف كعب (عقلة)بوص يرميها اللاعبين لتظهر مقلوبة أو معدولة. ٦- السيجة ٢٥ فتحة و١٢ كلب لكل لاعب.	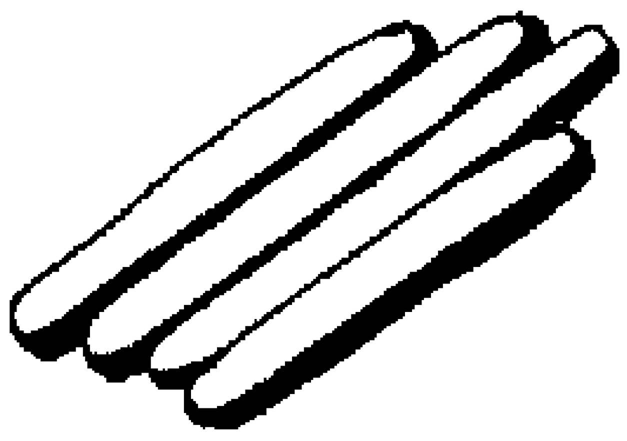 ٥	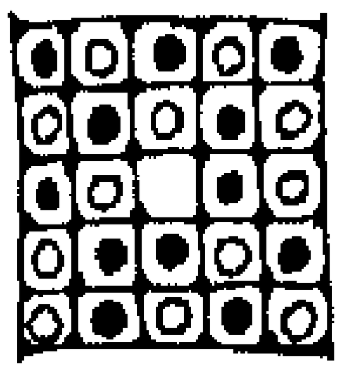 ٦
٧- الناقة ١٤ فتحة في كل منهما (٤ بعرات جمل)ويلعبها أثنان. ٨- الصفيطه ٩ فتحات يلعبها أثنان.	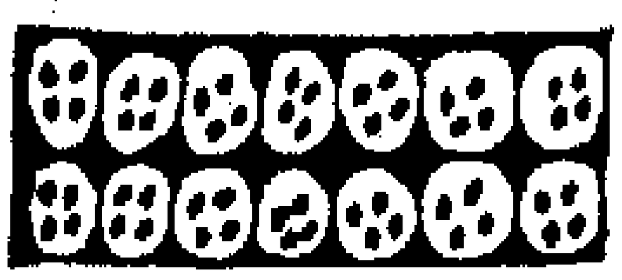 ٧	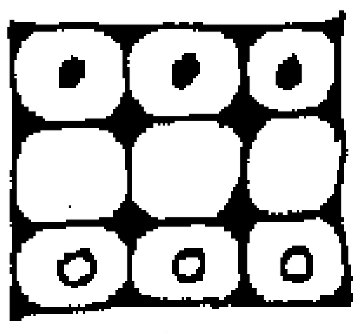 ٨
٩- الفهاقة وهي فخ من القش لصيد العصافير به خيط وصّراته ودودة. ١٠- جمل من الطين في حجم قبضة اليد.	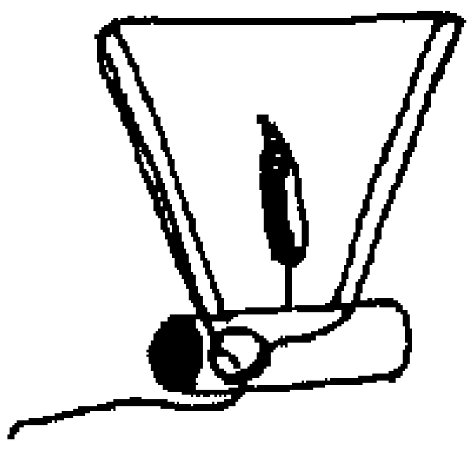 ٩	١٠

لعبة دبّاخ :

وهناك العاب شهيرة مع الأطفال مثل (دباخ) فيمسك الأب كف طفله ويمر عليها بكفه قائلاً (دباخ) ثم يطبق أصابع الطفل برفق ، مسمياً كل أصبع باسم فيقول : هذا تاتتم من تاتتم (الخنصر) وهذا لباس الخاتم (البنصر) وهذا طويل بلا خصله (الوسطى) وهذا لحّاس القصعة (السبابة) وهذا قصاع القمله (الابهام) ثم يمسك خصلة من شعر الطفل وينادي عليه (ياراعي الغلم) فيرد الطفل وهو في غاية الإنفعال والتشوق قائلاً (هو) أي نعم ، فيسأله (عدّنش عليك اجديات) فيرد (عدّن) فيسأله (في نقرة الذيب ولا نقرة الضبع) فيقول (الذيب) فيمر الرجل على ذراع الطفل باصابعه من الكف إلى الابط قائلاً (هذي ابعيرتهن ، وهذي جريرتهن) أي أنه يقتفي أثر الجديان ويبحث عن نقرة الذئب التي هي في الحقيقة تحت أبط الطفل ، وما أن يصلها حتى يكون الطفل قد تدغدغ تماماً وانفرط في الضحك بينما والده يقول ضاحكاً (اهن اهن اهن) أي أنني وجدت الجديان أخيراً.

لعبة ارنب ترنب :

يرسم الرجل للطفل على الرمل بأصبعيه الوسطى والسبابة نقطتان بعد نقطتان ، فيقول (ارنب) ويرسم نقطتان وتحتهما يقول (ترنب) وتحتهما (غزالاً تجنب) ، وتحتهما (عدو لهم) ، وبعدهما (تلقولهم) ، ثم يضع نقطة واحدة قائلاً (كمالة الخمستاش) ، فإذا أعدُ الطفل هذه النقط يجدها ١٥ نقطة بالتمام والكمال فهي لعبة وتعليم.

لعبة الثلاثيني :

نفس الشيء بالنسبة للرقم ٣٠ يضع ست نقاط بأصبعيه على الرمل مع كل جملة مما يلي :

واحد اثنين ثلاثيني
من قالك ثلاثيني
انا قلت ثلاثيني
كيف تقول ثلاثيني
ان كت كذاب احلق دقني

فإذا عد الطفل النقاط سيجدها ثلاثين نقطة وهي (٥ جمل × ست نقاط).

لعبة مين يزابيني :

يقول الأب للطفل مين يزابيني فيرد الطفل آنا مين ياكل الديك فيقول آنا ، فيقول مين ياكل الذيب فـإذا انتبه الطفل للفرق بين كلمتي (ديك وذيب) ينال الرضا. وهكذا يغير له الكلمات المتشابهة مثل (وزه ، وزرة) وغيرها.

لعبة بالحرد :

يمسك الأب ببعض حبات البذور أو الزلط في يده ويقول لطفله (بالحرد بالزوز ولا بالفرد) فيجيب الطفل باجابة منهما (بالزوز أو بالفرد) فإذا قال بالزوز يعني أن الحب الذي في يدك برقم زوجي ، ثم يعد الحب مع والده ليرى مدى صحة توقعه.

وهكذا فإن العاب الآباء مع الأطفال تنم عن عطف ورحمة وعن فائدة وتفكير. هذا غير (الحجاوي) ومفردها (حجّاوة) وهي القصص القصيرة التي يتناقلها الأطفال والتي بها خيال وحكمة ، ومن الصعب حصرها لكثرتها ، ويمكن أن تدرس تحت عنوان (أدب الأطفال في الصحراء) ويبدأ الطفل الحجاوة قائلاً : (حجّاك ا لله) فيرد أقرانه قائلين : (خير ماشاء ا لله) ثم يسرد القصة وعندما تنتهي يقول : (حجّيت وجيت ، وكلت بلينة " فرخة " وديك ، ولولا طاقيتي مشروطة ، كان جيتلكم مخروطة) معلناً بذلك نهاية القصة.

* **مثال لقصص الأطفال :**

حكاية (قرن العنيزة) التي يتداولها أطفال العرب في مصر ، وقد سمعتها في تمثيلية اذاعية من إذاعة الامارات وتعجبت ولم أعرف كيف وصلت للإذاعة ، وفيها يقول الطفل : (كان فيه عنز عندها ثلاث جديان ، واحد حوّ وواحد بوّ وواحد قرن العنيزة) اوصتهم أمهم اللا يفتحوا الباب لأحد في غيابها ، وعندما تحضر هي ستقول لهم افتحوا ياوليداتي الحليب في بزيزاتي والحشيش على قريناتي ، فقالوا حاضر ، وكان الذيب يسمع اتفاقهم ، وعندما خرجت الأم حضر الذيب وقال كما تقول الأم ففتحوا رغم أن الصوت غير صوت الأم فأكلهم الذيب ماعدا قرن العنيزة الذي اختبأ في الفرن ، وعندما حضرت الأم فتح لها وأخبرها ، فذهبت للذيب وتحدته أن يشرب نصف البحر فأخذ يشرب

وهي تخدعه ولاتشرب حتى انتفخت بطنه ، ففتحتها العنزله بقرنها فنزل منها ولديها الغائبين الحوّ والبوّ ، معتذرين لأمهما أنهما لم يسمعا كلامها وفتحا الباب للذئب في غيابها) وهكذا تظهر القصة الخيال الجامح في خروج الجديان من بطن الذئب ، وتظهر الحكمة في وجوب سماع نصائح الأم.

الفصل السادس

تقاليد وعادات

الأمثال البدوية

تعبر الأمثال عن حكمة الشعب النابعة عن تجارب السنين الطويلة في مدرسة الحياة ، وربما كان بعضها معبراً عن قوانين كونية ، فالمثل حكمة مصاغة في كلمات تعبر عن خبرة طويلة تبصر الاجيال بأساليب التخلص من سلبيات الحياة.

وتميل صياغة الأمثال الشعبية لدى العرب إلى الصياغة الشعرية ، فمعظمها مقفي وربما يكون في كلمتين اثنتين فقط ، وبعضها يتكون من عبارة طويلة أو بيتين كاملين من الشعر ، وبما أن الأمثال تنطلق دائماً من البيئة ، فنلاحظ أن معظم هذه الأمثال يذكر الحيوانات كالخيول والابل والماعز والاغنام أو الذئاب ، أو تذكر الزراعة أو الطيور أو غيرها من النماذج التي يشبه بها كبرهان على المثل والحكمة ، ومن العسير حصر جميع الأمثال وإنما نقدم هنا نماذج فقط للأمثال الشعبية الشائعة في البيئة القبلية حتى هذه الأيام ، سنذكر بجوار كل مثل منها فيما يستخدم أو متى يقال ، دون اللجوء إلى شرح وتفسير الكلمات ، إذ أن محاولة التفسير رغم سهولتها لدى المؤلف إلا أنها محاولة تزيد من الحشو ، فالمعتقد أن مثل هذه الدراسة موجهة إلى فئتين هما :

١- المهتمون والباحثون في التراث البدوي وهم اقدر على تفسير هذه النماذج.
٢- القبائل العربية ذاتها وهم اكثر قدرة على فهم وتفسير هذه النماذج.

أما القارى العادي فكيفيه قراءة المثل وفيما يستخدم ، حيث أنه في الغالب لن تستخدم هذه الأمثال إلا في بيئتها فهي تحتاج إلى مستمع ينتمي إلى القبائل العربية في بيئة معينة.

* أمثال تذكر الحيوانات :

- **(المرة الرغاية كيف الناقة الثغاية)**

ويقال للمرأة كثيرة الكلام مرتفعة الصوت.

- **(المرة المنّاعة كيف الناقة القعقاعة)**

ويقال للمرأة كثيرة الجدل والتي لاتستحي بما يكفي.

- **(اشري الخيل بعيوب البل ، والبل بعيوب الخيل)**

يقال لمن يشتري جمل او حصان فعيب الحصان هو تخانة الارجل والسيقان وهي ميزة الجمل فالمقصود هنا هو أن الفرق بين الحصان والجمل يكمن في سمك الساق.

- **(الخيل اقيود إلبل)**

ويقال لينصح به من عنده ابل لابد ان يملك خيول حتى إذا ضاعت الأبل يمكنه أن يلحق بها.

- **(الخيل وجوهها عظم)**

ويقال عند سباق الخيول لمن سينتصر ويسبق ، وكأنه رجاء له بأن لايسبقه فالخيل لاتستحى من الهزيمة لإن وجهها عظم ولايحمر خجلاً كوجه الإنسان.

- **(ياطباب الخيل من عند روسهن احصانك من عند زرّه عاب)**

ويقال لمدعي المعرفة بكل شيء.

- **(اللي تديره العنز في القرض يديره القرض في جلدها)**

ويقال للعبرة بالقصاص.

- **(المعيز فزّ والبعر اشتر)**

ويقال للمتحدث الشاب عندما يأخذ مكان الكبار ، ولايحترم وجودهم.

- **(اكلا بها تنعي اذيابها)**

ويقال لمن عمل عملا بطولياً كان من نتيجته النصر.

- **(كيف الذيب يغيب ويجيب)**

ويقال للمسافر الذي يعود بالخيرات لأهله.

- **(الجيده تنجّع بسيدها)**

ويقال لحسن التصرف ، فالتفكير الجيد كالفرس الجيده تنجي الفارس.

• أمثال تذكر الطيور :

- (الظنظورة تخرب المطمورة)

ويقال للنصح بعدم الاسراف والزرزور نوع من العصافير.

- (الديك الفصيح من البيضه يصيح).

ويقال للطفل اللبيب (واعتقد أنه مثل غير بدوي لأنهم يقولون على البيضة "دحية").

- (الحمام المكسر يلم على البرج الخربان)

ويقال للشاب الذي يماشي اصدقاء السوء.

• أمثال تذكر الزراعة :

- (الزرع من الزريّعة).

ويقال لمن يعمل عملاً ردئياً أو حسناً. او للأبن المشابه أبيه.

- (ياحصادة بوي جاكم الحنش).

ويقال لمن يهمل العمل أو يعطل العمال أثناء العمل.

- (لقيّة الوطى ماتنعطى)

ويقال لمن يجد متاعاً لا صاحب له. (وهو مثل غير حصيف فمن يجد متاعاً لا صاحب له يقدمه لولي الأمر).

• أمثال حول النصح بعدم الاسراف :

- (اجبال الكحل تفنيها المراود وكثر المال تفنيه السنين)

يقال للموعظة بسرعة فناء المال مهما كثر.

- (يامستكثر الايام اكثر)

أيضاً ليبيّن أن الايام أكثر من المال مهما كثر.

- (الدباره من راس الغرارة).

أي التوفير من البداية وليس من النهاية.

- (البركه في الصوابع موش في الصوامع)

يبين أن المهم البركة وليس كثرة المال.

* أمثال حول موضوعات مختلفة :

- **(المتعوسة كل يوم عروسة)**

ويقال للتي يكثر طلاقها وزواجها.

- **(مايضحّك الشارب إلاّ الحديث الخارب).**

ويقال لتفاهة أسباب الضحك.

- **(خيرة الذرية ولدين وابنية).**

وهو يبين تحديد النسل بثلاثة ولدين وبنت هو الأمثل.

- **(عمر الداب ثلاث كلاب)**

وعمر الكلب عشر سنوات وبذلك فالدواب كالخيل والبقر تقرب من الثلاثين في العمر.

- **(حُول الجبيرة يوم)**

وهو يبين أن العظم يجبر إذا ماكسر لدى الطفل ذو الخمس سنوات في خمسة أيام ولدى الكهل ذو الستين عاماً في شهرين ، فكل حول أو عام من السن يقدر له يوم حتى يجبر كسر العظام.

- **(يابطينه ماتجوعي ياخبيزه ماتنكسري)**

ويقال للبخيل المسك رغم ميسرته.

- **(صون الجبل واحفظ ثماير السانك)**
(رفيقك ان ماشي عدوك خانك)

ويقال للنصح بحفظ اللسان ، ولتمييز صديقك فهو الذي لايتعامل مع عدوك.

- **(انا وانت ياذابل السـود — لافايدة لاضـرورة)**
(كيف صحبة الفار والحـوت — الصاحب صاحبه مايـزوره)
(الفار مايخش لبحـار — والحوت ياموعر اظهـورة)

ويقال للصديق غير الوفي فالفار والحوت ليسا صديقين ويستحيل تعايشهما معاً.

- **(الليل بوذيناته والنهار بعويناته)**

ويقال للنصح بمتى تستخدم الحواس (السمع والبصر) فالسمع ليلاً والبصر نهاراً.

- **(الفرح نهبة والدواهي لزّ)**

ويقال للاسراع بالافراح خوفاً من المفاجئات غير السارة.

- **(الخير يخيّر والشر يغير)**

ويقال لمن ظهرت عليه علامات الثراء والنعمة حديثاً.

- **(اسعدهن وابعدهن)**

ويقال لبنات الرجل يتمنى لهن السعادة بعيداً عنه.

- **(بنت القندوز على عيون بوها الجوز)**

ويقال للبنت الوحيدة التي يدللها والدها.

- **(كثير النط قليل الصيد)**

ويقال للشخص المتسرع الذي لايصيب خيراً من تسرعه.

* أمثال في تركيبات لغوية صعبة :

- **(شلطوط عليهم ملطوط)**

ربما يقال عند سماع اخبار سيئة عن قوم آخرين.

- **(شلغبهم يلغبهم)**

ربما يقال لنفس السبب السابق.

- **(الزمباع منين ينباع)**

ربما يقال ليبين قدرة الشخص على أخذ حقه.

- **(للقريب لاوالله للغريب حق الله)**

يقال لمن يخدم الغرباء ولايخدم نفسه أو أهله.

- **(موت الرجال للرجال فسحة)**

يقال للأبناء الذين يفرحون لموت عائلهم.

- **(حواصل الطيور ولاظلام القبور)**

يقال لبيان صعوبة القبر.

- **(ان صادف العيّاب عيّاب مثلهـــــــم ∴ مايزيد في العياب غير اجنـــــون)**
(وان صادف العيبات عيبات مثلهـــا ∴ لابد من العياب يرتجعــــــون)
يقال لعدم مقابلة الخطأ بالخطأ. والمعنى أن الشخص العايب (المخطىء) إذا قابله شخص مخطىء مثله سيزداد الخطأ والخطر والجنون أما الأفضل فهو مقابله فعل المخطىء بفعل مثله هنا يرتدع فالعبرة بالفعل وليس بالشخص وفي قوله تعالي : (ومن أعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ....).

- **(طاح الشلطة اطلع ياخلط)**
يقال في المعركة كي يخرج منها الغرباء.
- **(عز البوادي كل يوم رحيل)**
يقال للترغيب في الترحال.
- **(مرتك منك وبنتك من القوم)**
يقال للبنت التي تطلب مال أهلها.
- **(مايتمّرس نين تهّرس)**
يقال للطفل حينما يقع على الأرض أو يصيبه مكروه أنه لايشب حتى يتهرس أي تعركه الحياة.
- **(الغلم ماتسيب والراعي يلقى نصيب)**
الغلم هي الاغنام والمثل مثل (الارزاق على ا لله) فإذا طردت راعي أغنامك فسوف تجد للغنم راعيا غيره كما أن الراعي نفسه سوف يجد نصيبه عند غيرك.
- **(الدار بقعه والمزار بعيد)**
ويقال حينما تذهب لتزور احد ولاتجده في داره والادهى أن تجد الدار مفتوحة كناية عن عدم وجود أي شيء يخشى عليه من السرقة.
- **(هذا بيت عطارة كله وانا زاد عطارة كيفه)**
ويقال عندما يكون رب البيت غير ملتزم ، مثل (إذا كان رب البيت بالدف ضارب فشيمة أهل البيت كلهم الرقص).

- **(لولا التخليب نهار عطيب)**

أي لولا ندبر قرش من هنا وقرش من هناك ولولا التصرف لما نعرف كيف نعيش، ويقال للتحايل علي الحياه والمعيشه تحت أي ظرف.

- **(لاراجل يطلّق ولاعمود يفلق)**

ويقال للسيدة المتحررة والتي لايردعها زوجها لا بالطلاق ولا بالضرب بعمود خشبي (عمود الخيمة) يفلق به رأسها ولذلك فهي جريئة في تعاملها مع الناس.

- **(راس بلا كيف عاوزة سيف)**

أي الراس التي لايشرب صاحبها الشاي أو السجاير فهي جديرة بالقطع وهو مثل غير حكيم.

- **(ادهن بالزيت وارمي برة البيت)**

ويقال ليبين قيمة زيت الزيتون وانك لو دهنت به جسم طفلك في الشتاء وفي البرد القارس وجعلته ينام خارج البيت في الخلاء لما أصابه مكروه لأنه يدفئه.

- **(مشى يحج جاور)**

ويقال للشخص غير المرتبط بأهله والذي إذا ذهب لأي مكان لايعود بسرعة مثل الحجاج قديماً كانوا يقيمون بجوار البيت الحرام.

- **(إن كان الولد سايسه بوه فيه الرجا للمراجي)**

إذا الولد كان في طوع والده فيمكن أن نسترجى منه الخير والعكس صحيح، وهو بيان قيمة الأب.

- **(إن كان خال الخال فيه الرداوه يطلع ابن اخّيه ردّى الخصايل)**

يقال لبيان معدن الخال وأثره حتى إذا كان خال الخال فهو مؤثرا أيضاً على أبن الأخت ويورث الرداءة أو الكرم والشهامة.

- **(قولة حَتّ اتلم إلبل)**

حَتّ كلمة تقال لردع الجمال والمعنى ان صيحة النجدة تجمع القبائل وخاصة المتقاربة.

- **(ارميها للتمساح ولاتعطيها للفلاح)**

وتقال لعدم زواج بناتهم بغير العرب.

- **(قاعد في ركني ومعاركني)**

ويقال للشخص الذي تستضيفه ولايحمل الجميل.

- (جت من وراء النواطير)

النواطير جمع ناطور وهو الحارس او الخفير والمعنى الذي يقال فيه حينما يؤخذ الشيء من وراء الحارس او يفيض الشيء ويستعصى على الحراسة.

- (اللي إضرب بشيء صاده)

أي كل إنسان ادرى بما فيه.

- (كيف اللي صاكّاه فرسة)

مثل الرجل الذي يرفسه حصانه، فلمن يشتكي.

- (هذا يوم يعّد اللوم)

يقال في الايام العسيرة جداً في الحرب او غيرها.

- (عليها يابلال إذن)

يقال عندما يراد عمل شيء دون الخوف من عواقبه عند اطلاع الناس عليه.

- (سد كليب في الناقة)

هذا المثل متوارث من حرب البسوس وان مقتل سيد القوم (كليب) على يد (جساس) ابن عمه لم يحدث ان أخذ أحد بثأره غير ناقة أي أن دمه ضاع هدراً.

- (صايغ ويصوغ لروحه)

ويقال للشيء المنفذ بدقة على أنه مثل الجواهرجي إذا صنع جواهر لنفسه.

- (صابح القوم ولاتماسيهم)

ويقال لعدم الرغبة في زيارة الاقارب ليلاً ويفضل الزيارة بالنهار.

- (بنّه مرق في طاسة)

ويقال عندما تجد قريب من بعيد جداً جداً فهو مجّرد (بنه) أي رائحة.

- (ان تفيتها لفوق تجي في وجهي وان تفيتها لتحت تجي في حجري)

ويقال حينما لاتستطيع رد التعدي فهو مثل (من رفسه حصانه).

- (اللي عليك مسلوم لك)

تقوله المرأة حينما تطلب الطلاق من زوجها أي أنها تبرئه من كل حقوقها وتسلم بها له من أجل أن يحررها.

- (هكة يامكة)

يقال عند انقطاع الصلة بين اثنين مثلما يقولون (العركة على الحمارة والحمارة ماتت) أي انقطع سبب الاتصال.

- **(شيء بفوّت العطار خرجه)**

يقال عندما يلهو الفرد عن عمل معين بسبب شيء معين كان يلهيه شخص بحكايات أو طرائف فينسيه عمله.

- **(عيون شّراطهن مو ماوي)**

ويقال للفتاه ذات العيون الواسعة.

- **(الغنم غنيمة في الدار المقيمة)**

ويقال ليبين فضل تربية الاغنام فإنها كنز في الدار.

- **(قدّة يمسك نَدّة)**

ويقال لكي يعرف كل فرد قدره ويحترم الصغير الكبير والند هو المساوي في السن.

- **(ادعى والديه اتطيح عليه)**

ويقال عندما تأتي الخطوب بالصدفة مثل إنسان يسير ويقع عليه فرع شجرة مثلاً فيقال له هذا المثل. ويستخدمه الأطفال في الألعاب عند توزيع الفريقين.

- **(النور ولاظلام القبور)**

ويقال عند جلم الغنم وقص صوفها حتى ان الفرد يقول للقصّاص (النور) فيرد عليه (ولا ظلام القبور).

- **(ياطالع من عُلة ياطايح في سلاّل القلوب)**

مثل (يطلع من نقرة يقع في دحديرة).

- **(اجعل انيابهم في جنابهم)**

يقال لغرباء اقتتلوا مثل (شلغبهم يلغبهم) أي الأمر لايعنينا ودعهم يتقاتلون.

- **(لاتجاور نسيبك ولاتآمن طليبك)**

يقال للابتعاد بزوجتك في سكن بعيد عن أهلها ، ولاتعطي الامان لمن له لديك حقوق.

- **(لاينفع العليق ليلة الغارة)**

يقال للاستعداد المبكر في كل شيء سواء سباق الخيل أو علاج المرض أو المذاكرة ليلة الامتحان وهكذا.

- **(اللي في يدك اقرب من اللي في جيبك واللي في جيب الرجال بعيد)**

يقال للاعتماد على النفس مثل (ماحك ظهرك مثل ظفرك).

- **(شراية العبد ولارِبايته)**

ويقال لاستسهال شراء الجاهز عن التفصيل وان الجاهز افضل وأيسر.

- **(الزقادة قبل العبادة)**

وهو مثل غير حكيم يعني الطعام قبل العبادة مثل الصلاة مثلاً ويقال للتهكم.

- **(يجي على راس الحنش ويتقلى)**

يقال للشخص الذي يبحث عن الخطر كأنه يستفز الثعبان.

- **(يلعب على مشربها)**

مثل المثل السابق تماماً ومثل الذي (يلعب بالنار) وكلمة (مشربها) يقصد بها فوهة البندقية.

- **(الهون معاه العون)**

ويقال للتيسير على الناس ، او تقسيط الدين مثلاً لإعانة المدين لسداد دينه.

- **(ترمي السفينة على مايكره السفار)**

ويقال عند الاضطرار الى غير مانحب وكأن الظروف اجبرته على ذلك.

- **(كيف ساقية حلو لو)**

ويقال للذي لايستفيد من مجهوده مثل الذي يرفع الماء من النهر ويعيده للنهر.

- **(كل عيش ام كنانة ولاتاكل عيش المنانة)**

المنانه هي السيدة التي تمن وتعاير بما تقدمه للآخرين وهنا يقول أنه لايأكل من يدها حتى لو أكل من يد سيدة غير نظيفة.

- **(لفعة في الطريق ولارغاية في الفريق)**

أي نفضل أن نصادف أفعى في الطريق ولانرافق رغاية مع الفريق في السفر.

وهناك أمثال طويلة وتأخذ المظهر الشعري في اعطاء الحكمة ، مثل هذا المثل الذي ينصح بكيفية معاملة الرجال في مستويات العمر المختلفة ، ويحذر من كل عمر على حدة قائلاً :

ولد عشرين لاتجاريـــه ∴ ولد ثلاثين لاتصارمـــه

ولد اربعين لاتقاديـــه ∴ ولد خمسين لاتشاركـــة

ولد ستين لاتسهريـــــــــه ∴ ولد سبعين لاتعاملـــــــــه
ولد ثمانين لاتبايعه لاتشاريه

ويعني ذلك أنك لاتحاول مسابقة الجري مع الشاب ذو العشرين ربيعاً فهو السن الاقدر والاسرع في العدو ، وكذلك سن الثلاثين فهو الاقدر في المصارعة ، والاربعين هو الاقدر في العناد والخمسين لاتشاركة في عمل لان شخصيته تكون قد تكونت ويصعب ان تكون شخصية مرنة لتتواءم مع الشريك الجديد في العمل ، اما ابن الستين عاماً فلا تحكي معه بل عليك ان تسمعه فهو صاحب خبرة طويلة حان وقت سماعها ، اما ابن سبعين فلا تتعامل معه لأنه كثير النسيان وفي النهاية ابن الثمانين لايصلح للبيع ولا للشراء ، والمثل طويل وينطوي على حكمة لاتخلو من المبالغة والفكاهة والقدرة الشعرية الفطرية لدى العرب ، ومن الأمثال الشعرية الطويلة أيضاً مايلي :

(الذهب مايصدي لو ردمته في التراب وذاب)
(واللحمماينشحت من الحِدّ" والعيش مايعزمن عليه كلاب)
(الصاحب اللي مايلّقي في الشدة في الوسع مايشتهوه أصحاب)
(أما رديّ" الخال مايتندّى ، وان عاب مالك عليه عتاب)

والمعنى ان الذهب معدن أصيل لايصدأ وهكذا بعض الرجال والحدأة لاتعزم على اللحم وأيضاً الكلاب لاتعزم على الأكل وهكذا بعض الرجال والمثل يظهر اختلاف معادن الناس بين الاصالة والبخل والرداءة وغيرها. وهكذا تعطينا أمثال العرب خبرة عريضة ووعي بدروب الحياة وعدم الاستهانة بأي شيء لضرب المثل عملاً بقول ا لله تعالى : " إن ا لله لايستحي أن يضرب مثلاً مابعوضة فما فوقها ....) الآية .

الوشم والوسم

الوشم هو الدق بالابرة على الجلد ، ويستخدمه العرب لثلاثة أغراض الأول كدواء لبعض العلل فهناك عروق في الجسم يدقون عليها نقطة أو خط فتشفى وهناك مفاصل تسبب الألم لصاحبها نتيجة لملخ أو صدمة أو التواء ويكون الدواء في الدق عليها بالأبرة ، وغير هذا كثير مما يحتاج للدراسة والتطوير لمعرفة مدى الفائدة الفعلية لذلك ، والغرض الثاني هو البحث عن الزينة والجمال، وخاصة لدى السيدات عامة وبعض الرجال ، ومناطق الدق (الوشم) للزينة لدى السيدات هي الذقن على هيئة خط طولي أو خط بجواره نقطتان أو مجموعة خطوط متعرجه ، ويمكن على ظهر اليد أو على كعب القدم والاشكال الزخرفية للوشم محدودة ولاتزيد عن الخط أو النقطة والدائرة والساقية أو الساعة وهي دائرة يخرج من محيطها بعض الخطوط مثل اسنان الترس وتدق على المعصم. وبالرغم من أن بعض العرب كان يرى في الدق زينة وحسن إلا أن بعضهم الآخر يرى عكس ذلك بأن يكون الدق (الوشم) بغرض بعد العين والحسد ، فقد ذكر البغوي في كتاب شرح السنة الجزء ٤ ص٣٧٣ (٤٤) أن عثمان رضي ا لله عنه رأى صبيا مليحاً فقال وسموا نونته لئيلا تصيبه العين ودسموا أي سودوا ونونته النونه هي النقرة التي تكون في ذقن الصبي ، وسواء اكان التدسيم هو الوشم أو غير الوشم فإن النونه هي أكثر مكان للوشم لدى العرب على الاطلاق ولذلك فإن تسويدها أو تخضيرها بالوشم عمل لايؤدي للجمال بل العكس كما في حديث عثمان.

وأما السبب الثالث للوشم لدى العرب هو تمييز العرب من غير العرب ، وهذا التمييز يلجأ إليه العرب في الوسم أي كي الأبل بالنار لعمل علامة معينة بها تميزها عن غيرها " وعلامات وبالنجم هم يهتدون " فكان الوشم على وجه

العربي علامة أنه عربي فيعرفه غيره من القبائل ويسهل مناصرته أو طلب نصرته لغيره من العرب خاصّة في الدول التي تعيش فيها القبائل العربية مع شعوب أخرى من أصول مختلفة ومن يمن الطالع أن هذه الأسباب ذابت مع الحضارة والاجيال الجديدة بعيدة تماماً عن هذه التقاليد.

واستخدام الوشم للتمييز استخدم حتى في الغرب بحيث اعتبر كأنه كلمة السر لعصابات أمريكية ويحددون زخارف معينة في أماكن معينة عن طريق ماكينات تقوم بالوشم ، ومما يجعل الوشم عادة سيئة ويجعلنا نحمد الله تعالى أنها تلاشت واضمحلت لدى العرب ونفر منها الشباب والشابات ماذكر أخيراً عن جماعات عبدة ابليس اللعين والعياذ با لله من أن لهم ضمن مالهم من تقاليد نقش رموز معينة على أماكن معينة في أجسامهم بالوشم.

الوسم :

السمة Trait هي العلامة الظاهرة أو الصفة المميزة للشيء بين الاشياء التي من نوعه ، وقد ورد بالقرآن الكريم آيات تدل على أن السمة هي العلامة المميزة مثل (تعرفهم بسيماهم) و (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) و (سنسمه على الخرطوم) وقد استخدم العرب كلمة (الوسم) لتمييز الاشياء والممتلكات والاستدلال عليها سواء الاستدلال الحسي المتمثل في الكي بالنار على أجسام الدواب وخاصة الأبل أو الاستنتاجي المتمثل في اقتفاء الأثر والوصول إلى الشيء عن طريق الاستدلال على الشيء من أثره.

وفي الحالة الأولى وصلت القبائل إلى علامات معينة حتى أصبح لكل قبيلة وسمه خاصة عبارة عن خط مائل أو جزء من دائرة أو خطان متقاطعان أو شكل شبه حرف النون وتوضع على ثلاث مناطق في الجمل أما على مؤخرة الرقبة أو أحد الكتفين أو أحد الفخذين ، ويتم الوسم عن طريق احماء الميسم وهو سيخ

أو قضيب حديدي أقرب لشكل المنجل ، ويحمي بالنار حتى يحمر لونه ويسير به الرجل على المنطقة المطلوبة بسرعة فيرسم الشكل المطلوب وهو يقوم بعمل اعاقة نمو الوبر في هذا المكان فتظل العلامة ظاهرة يتعرف بهـا العربي علـى ممتلكاتـه مـن الأبل خاصة إذا كانت تذهب لمراعي بعيدة وتغيب فـترات طويلـة في هـذه المراعـي وتختلط بغيرها من إبل القبائل الأخرى.

وقـد ورد في زاد المعاد في هـدى خير العبـاد لابـن قيـم الجوزيـه الجـزء الثـاني ص١٨ مـن طبعـة بـيروت ١٩٨٥ (٤٥) أن الرسـول صلـي ا لله عليـه وسـلم كـان يسم أبل الصدقة بيده ، وكان يسمها في آذانها ، فقد أخرج البخاري ٣/ ٢٩٠ من حديث انس بن مالك رضي ا لله عنه قال " غدوت إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بعبد ا لله بن ابي طلحة ليحنكه فوافيته وفي يده الميسم يسـم إبـل الصدقـة..." ومعني ذلك أن الوسم أكثر قبولاً من الوشم وهي سنة طيبة غير أنها لاتطبق الآن نظراً لاستقرار القبائل في ظـل النظـام الزراعـي ، والـذي يتطلـب عـدداً أقـل مـن الماشية التي تربط جيداً بالقيود والارسان (والشكاكيم والكعاعيم) حتى لاتنفلـت لزراعة جيرانه ومن هنا أصبح الوسم شيئاً من تراث القبائل ، واقتصر الآن كنوع من الدواء لبعض أمراض الحيوان تحت اسم الكي ، ومـع ذلـك فانتشـار العـلاج البيطري قضى على هذه العادة.

أما اقتفاء الأثر الذي يسمونه (قص الجرة) وتسـاعدهم الصحـراء في إظهـار آثـار اقـدام الماشـية التائهـة أو اللصـوص حتـى يصلـوا إلى مكمـن المسـروقات وقصاصوا الأثر مشهورون في الصحـراء الشـرقية والغربيـة وتسـتخدمهم وزارة الداخلية وهيئة الآثار في الكثير من الخدمات الوطنية ، ومن الصعـب سـرقة شـيء من العرب دون أن يصلوا إلى مكانـه ، وقـد عايشـت بنفـس حـادث سـرقة بندقيـة أحد الخفراء وقد وصل قصاص الأثر إلى المكان الـذي دفنـت بـه وقـال هـي هنـا ، وحادث آخر لسرقة بقرة وظل القصاصون ومعهم أهـل النجـع حتـى جلسـوا أمـام

شكل (١٥) عينات من العلامات لدى العرب من الوشم والوسم

نوع العلامة	شكل العلامة
١) الوشم: دق بالأبرة لرسم شكل إما لزينة الذقن أو ظهر الكف أو الرسغ أو فوق جريدة الزراع أو القدم، وإما للعلاج على العروق أو المفاصل ويظهر بلون أخضر.	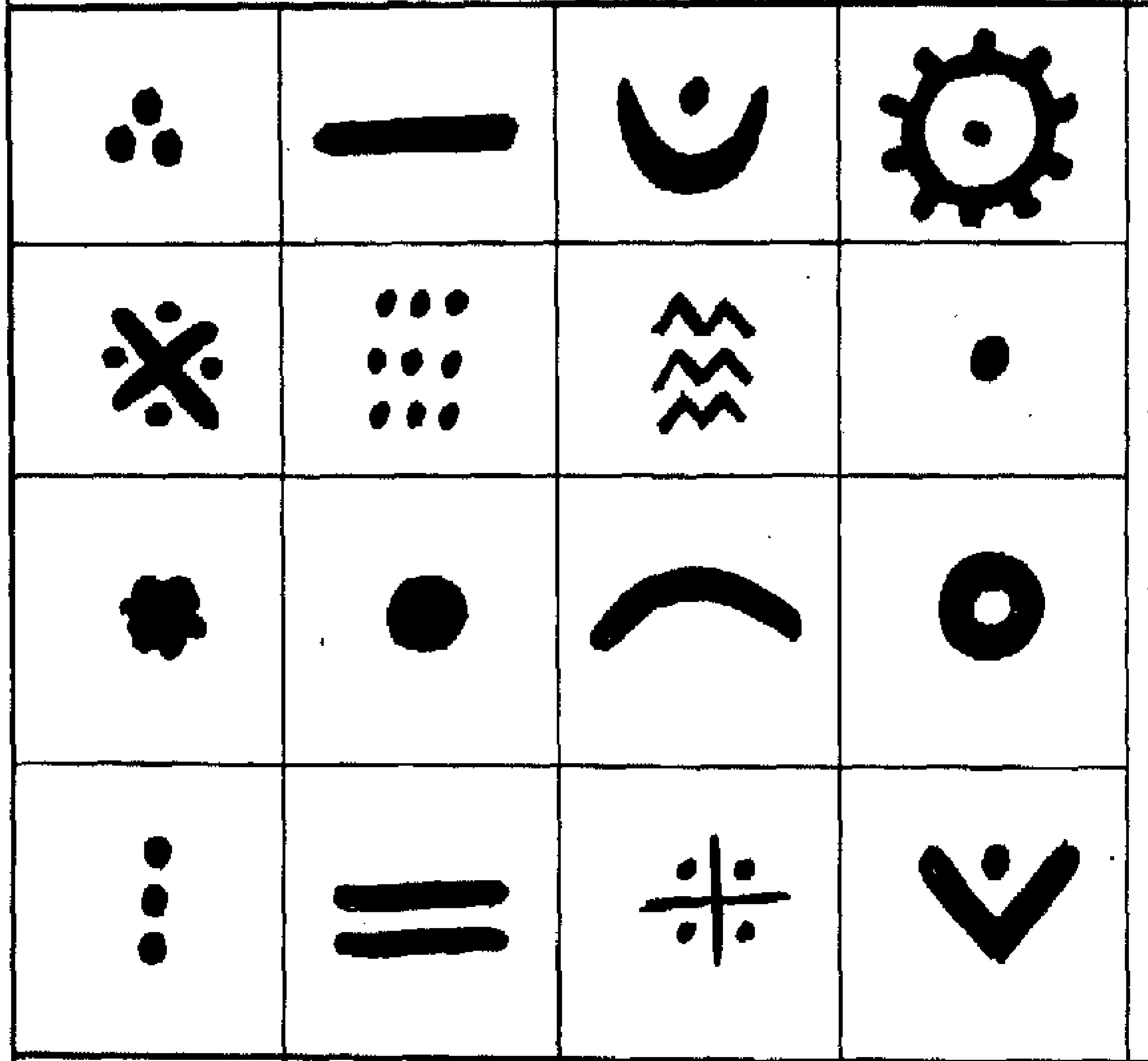
٢) الوسم: كي بالنار (مسمار محمي) لرسم علامة للابل ليسهل التعرف عليها.	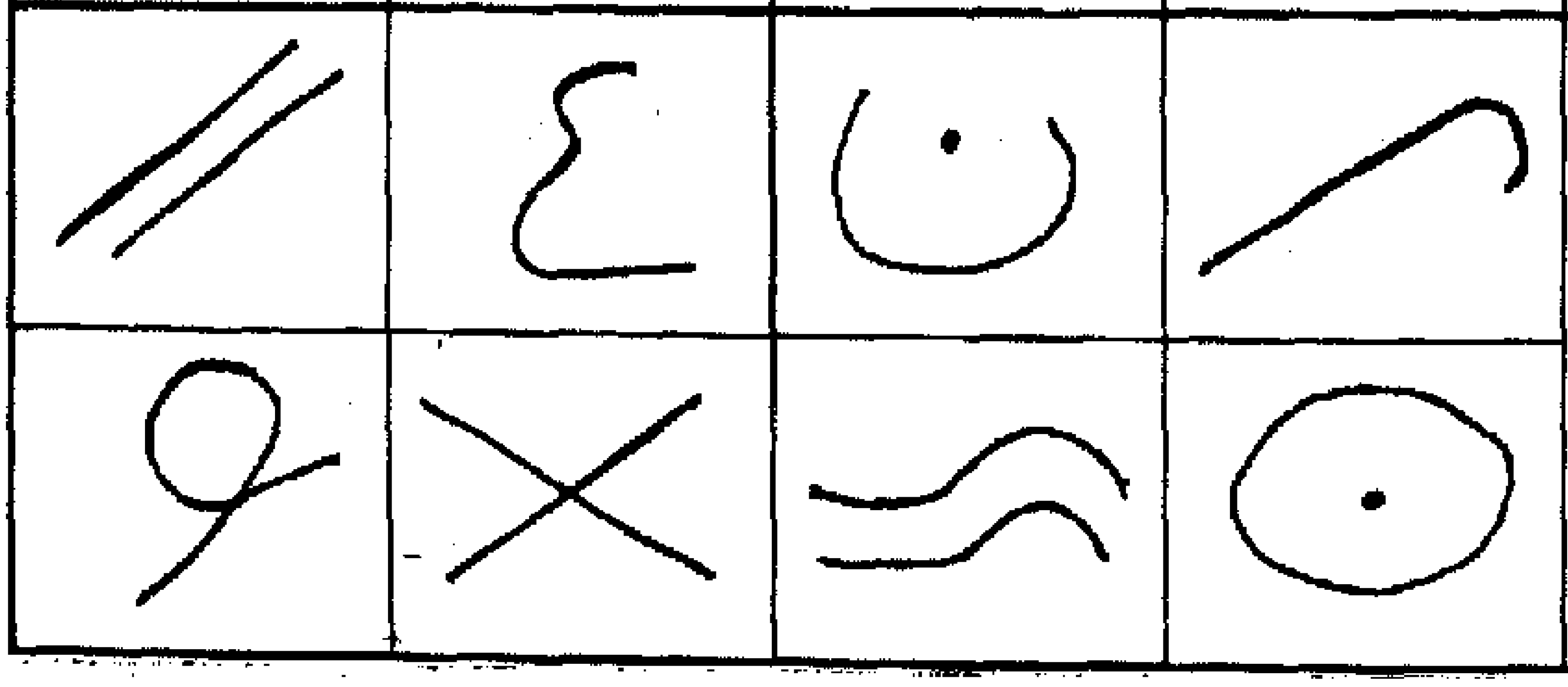

منزل قائلين بقرتنا داخل هذا المنزل والقصاصون المهرة يحددون صفات اللصوص مثلاً يقولون أحدهم أعرج والآخر عجوز والثالث أمرأة وهكذا وللعرب فراسة في هذا الشأن فهم يعرفون الناس من وجوههم وينظر الشيخ منهم لشاب في مقتبل العمر ويقول له (أنت ياولد لعيلة فلان) ويحدد عائلته وغالباً مايكون

صادقاً ، فالخبراء بالصحراء هم العرب والدليل يؤخذ من بينهم بل والخبير والدليل وقصاص الأثر من العملات النادرة في الصحراء.

الاسماء الشائعة في البيئة البدوية

هذه النخبة من اسماء السيدات والرجال في البيئة البدوية اوشكت على الانقراض وإن كان بعض اصحابها من الأحياء ، إلا أن الاسماء شأنها شأن أي تقليد من تقاليد قبائل العرب تأثر بالتيار الحضاري ، واصبح البدو في الوقت الحالي يسمون ابناءهم باحدث الاسماء وبدأت تدخل اسماء المدينة واسماء الزعماء ونجوم الفن والمجتمع ، وتأصيلاً لهذا التاريخ سنطرح نخبة من اكثر الاسماء شيوعاً مصنفة تبعاً لما ترمي إليه كل مجموعة من الاسماء.

أولاً : اسماء السيدات

أ - أسماء مشتقة من المدن والبلاد (تونس ، رودس ، قابس ، سلوم ، هند ، برقة).

ب - اسماء تصف عدم الرغبة في المولودة البنت (كفاية ، بزيادة ، سدينا ، حسوها ، حاملينها).

جـ - اسماء مشتقة من المعادن (ذهب ، جواهر ، فضة ، تبرة ، نفيسة دراهم ، مصيوغة).

د - اسماء نساء ولاتنتهي بتاء التأنيث (مقدم ، لزم ، سَيم ، ميز ، عزّ دِرج ، عَجَبْ ، فطيم ، عَسْكَرْ ، قوت).

هـ - اسماء تميز صفات معينة (عريفة ، حماله ، ميزونه ، مطرية ، دايخة ، درهانة ، جاضرة).

و - اسماء مستمدة من الطيور والزراعة (ريم ، حبارة ، أم الغزْ ، غرسة).

ز - اسماء من الفكاهة (طرايف ، طرفه ، عجايب).

حـ - اسماء مستمدة من الدلال (دلال ، مد لله ، محظية).

ونقدم بعض التفسيرات والمعاني لنماذج من بعض هذه الأسماء فيما يلي :

(سكرانة) اسم غريب أن يطلق في الصحراء التي يكره أهلها السكر ولكن ربما قصد به أن جمالها أسكرها.

(زازيه) ربما أصل الاسم (حجازية) نسبة إلى الحجاز ، أو أنهم يقصدون به انها تزازي بالشيء بمعنى أنها تتباهى وتتفاخر به. فيقولون : (أنتي كيف الساعة في الجيب يزازوبك مافيها عيب) فيصفون البنت بأنها مثل الساعة التي إذا تباهينا بها فلا عيب في ذلك ربما هذا هو مقصدهم من كلمة (زازية) أي متباهية.

(مسمية) أي بنت مسماه كالعلم.

(معاني) أي أنها بنت تعني الشيء الكثير بالنسبة لقومها أو أهل زوجها.

(مطرية) بفتح الميم وتعني أنها مذكورة كثيراً فكلمة يطري في الأصل تعني يمدح ولكنهم يستخدمونها بمعنى يذكر ، فمن اغانيهم مثلاً : (ازعمه بيش نتساهم عرب اعزاز طرواهم عجب) أي باي زعم انساهم وهم اعزاء وذكرهم يعجب المستمع. وحينما يسأل احدهم هل قلت كذا ويكون لم يقله يرد فوراً (وا لله ماطريتها) أي (وا لله لم اذكر هذا الكلام).

(إمْغلِيِّه) واصلها مغنية ولكنها تنطق باللام. ويستخدمون الاسم الآخر (غنيه) أيضاً.

ثانياً : أسماء الرجال

أ - اسماء يستخدم فيها التصغير وتنتهي بالتاء المربوطة (عبيدة ، عقيله ، إلطيفه ، إقوية).

ب - اسماء تبدأ بأبو ... (أبو العيد ، أبو بريق ، أبو طلاس ، أبو القاسم ، أبو سوكاية ، أبو عوصة ، أبو شناف ، أبو حليقة ، أبو ليفة).

جـ - إسماء تبين القوة (جارح ، سيف ، مقاوي ، واعر ، شامخ).
د - اسماء غريبة التركيب (شقلوف ، شليش ، جرمون ، جفلاق ، فركاش ، امشاضي).
هـ - اسماء تحمل صفات (إمهاود ، إمقرب ، إلطيّف ، إمسّلم ، إمجاور).
و - اسماء تبدأ بكلمة بِنْ (بن زيد ، بن دره).

وغير ذلك نجد شيوع الاسماء المعّبدة مثل عبد السلام عبد العزيز عبد البصير عبد البازي ويحترمون هذه الاسماء للغاية:

ونقدم بعض التفسيرات والمعاني لنماذج من بعض هذه الاسماء فيما يلي :

(مقرّب) أي قريب من والديه ومطيع لهما.

(ابو بريق) وكلمة بريق مرتبط بابريق الشاي وإن كان في الوقت الحالي مرتبط بابريق الوضوء ولكن الاسم قديم ويرجح استعماله لان صاحبه كريم ويقدم الشاي أو المشروبات في الابريق للضيوف.

(سِكْرِفْ) بكسر السين والراء وتسكين الكاف والفاء ، وهم يقولون سَكرف الليل أي هدأ وهي فترة ماقبل الفجر ويقولون نار مسكرفه أي فترة مابعد هدوء اللهب التي فيها يكون لون الوقود محمراً ، وربما يعني اسم سكرف الهدوء أو الهدوء المشتعل.

(كليب) تصغير كلب وهو اسم مشهور في العرب كليب بن الربيعة الذي قال فيه اخيه سالم : كليب مات مقتولاً طعينا .·. فمرني أيها الشأر المعّلى ، ومثله (ذويب) وهو تصغير لكلمة (ذئب) وينطقونها بخروج اللسان قليلاً في حرف الذال.

(شقلوف) وهو يعني بقايا الاناء الفخار بعد تكسره مما يوضع فيه الاكل للقطط والكلاب لديهم وبعض هذه الاسماء تستخدم حينما يخافون على الطفل من الحسد.

أما الآن فقد انتشرت بينهم اسماء مدنية مثل عادل عاطف عصام عماد نبيل ، وصفاء ، ومرفت وشويكار وربما استخدموا سوسو ولولو للتدليل ولا استبعد ان يصلوا للاسماء الأوروبية مثل بيتر أو لورد أو جان ذلك لان لدى العربي طموحات لا نهائية وقدرة على التغير والتكيف والتمويه غير محدودة ، وهذا من أهم دوافع هذا الكتاب الذي جاء كمحاولة لحفظ تراث القبائل العربية وهو تراث غزير ويستحق المحافظة عليه قبل الاندثار ، أو قبل الغزو الحضاري الجارف.

* الأدوات الحياتية البدائية لدى العرب :

هناك الكثير من الأدوات التي كان يستخدمها العرب في حياتهم اليومية قبل البوتاجاز والتليفزيون والترانزستور والسخان الكهربائي والخلاطات وغير من أدوات الحياة الحديثة التي بدأت تغزو بيوت العرب ، والأدوات البدائية هي التي يهمنا التأصيل لها عملاً على جمع هذا التراث قبل اندثاره ، وقد كانت أدوات حياتهم بسيطة ومصنعة من أدوات بدائية مثل الطمي ، والجريد والفخار والحجر والخشب والصفيح والنحاس وغيرها ، ونذكر فيما يلي مسميات هذه الأدوات دون تعليق حتى نتجنب الاطالة ، وهي كما يلي :

١- ادوات من الجريد وخامات النخيل :

مثل المعصب ، والعرجون ، والمطرحة ، والقطاعة ، وطبق الخبز ، والشنده، والراية ، ومحراك الفرن ، والنشو ، والهجار ، والعقال ، والفرّاظ ، والداير ، والمخطمة وغيرها.

٢- ادوات من الخشب :

مثل المهراس ، والصلاية ، والدبرك ، والموثق ، والطبلية ، وكرسي الشاهي ، ورف اللمضه ، والمغزل ، والنول ، والرمة ، وعمود الخيشة ، والقصعة ، والشاغر ، والباهوق ، والخطاف ، والشبرية ، والصندوق ، وغيرها.

٣- أدوات من الفخار :

مثل القعيدة ، والماجور ، والجرة ، والقسط ، والقدوس ، والصحفة ، والزبدية ، والزروية ، والزير ، والشقلوف ، وغيرها.

٤- أدوات من المعادن :

مثل الطاوة ، قطاعة المخروطه ، كسار السكر ، زناد قدح النار ، الطشت والابريق ، الانجر ، والرشمه ، واللجام ، والقرطمّه ، والصريمة ، والركاب ، وطاسة الفجعة ، والمرود ، وغيرها.

٥- أدوات من الحجر :

مثل الرحاية ، والمدقة ، حجر الطرفة ، وغيرها.

٦- أدوات من الجلد :

مثل الحلاط ، الخريطة ، والقلد ، والصرع ، والشريحة ، والسرج ، والكيمار ، وغيرها.

٧- أدوات من النسيج :

مثل الحمل ، البطانية ، افراش الدبش ، والحوية ، والمخلاية ، والعقوص، والجرد ، والحقيبة ، وبيت الشعر ، قظاويل مخطمة الناقة ، والعدة، واللبب ، والعباية ، وغيرها.

٨- ادوات من العقيق والعاج :

مثل البذلة ، والرقبة ، فص العقرب ، السبحة اليسر ، قرن الخرتيت ، وغيرها.

٩- ادوات من الطين :

مثل المقرص ، والفرن ، والمنقد ، والبلاطه ، وحصو المنطط ، والطاجون ، والمناصب ، وبعريم النبلة ، وغيرها.

وهناك الكثير من هذه الأدوات البسيطة التي كانت تقوم بها الحياة ، ويخرج منها الكثير من أشهى الأطعمة ، وأدوات الزينة ، والمسكن والملبس مما يستحق أن يجمع وأن يقام له متحف خاص بالفن العربي سواء في القاهرة أو إحدى المحافظات التي يقطنها الكثير من العرب مثل مرسى مطروح والفيوم والمنيا والبحيرة والعريش وغيرها.

وفيما يلي نقدم جداول لبعض هذه الأدوات موضحة بالرسم والتعليق حتى تتضح صورة بعض هذه الأدوات ذات الاسماء الغريبة وهي :

شكل (١٦) عينات من الأدوات المعيشية لدى العرب

الأسم والخامة	المواصفات	الشكل
١- الفرن الصغير من الطين اللبن.	يستخدم لخبز العيش العربي المسمى (خبز شمس) والفتحة العلوية به تسمى (بوق) والسفلى تسمى (العين) والأمامية تسمى (البلاطة).	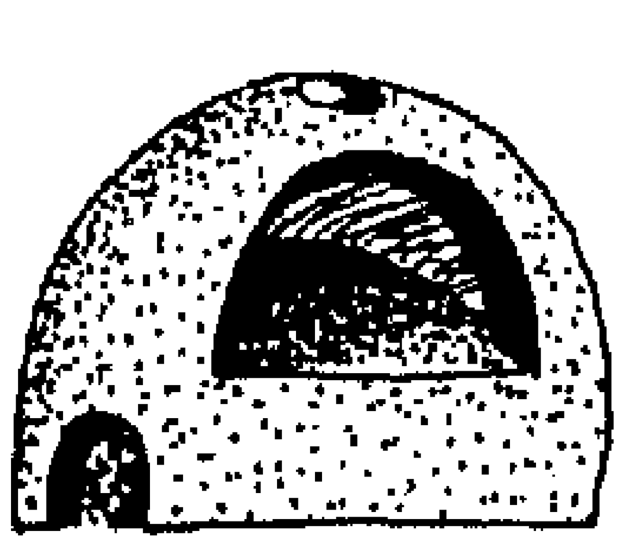
٢- المقرص من الطين اللبن.	مثل لوح العجين ويستخدم في الخبز الشمس عند تقطيعة إلى ارغفة من العجين حيث ترش النخاله أوالردة عليه ثم توضع كل خبزة مستقلة.	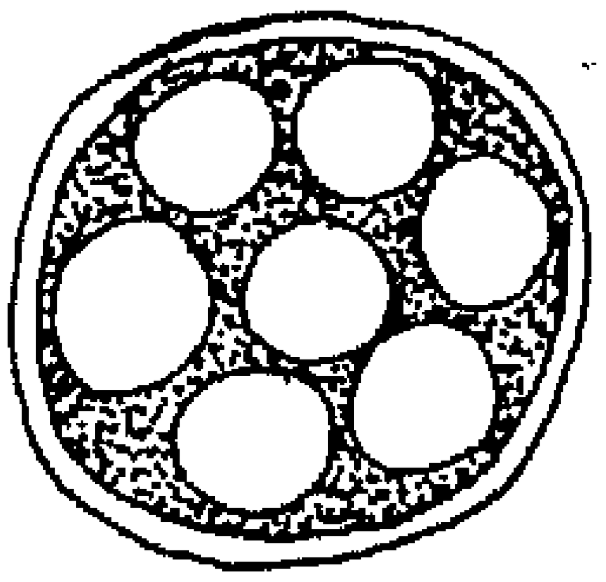
٣- القعيدة من الفخار المحروق.	إناء فخاري كبير لحمل العجين للخبز المنطط ويستخدم إناء مثله أصغر باسم (ماجور) لخبز العيش الشمس.	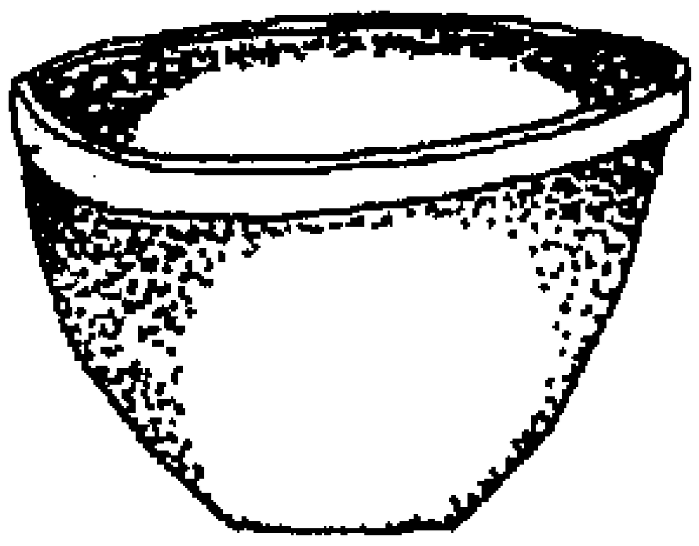
٤- القادوس من الفخار المحروق المخرّم من قاعدته.	إناء فخاري به فتحات للتسوية بالبخار عندما يوضع فوق حلة بها ماء قليل فيخرج منها البخار للقادوس ويستخدم لعمل (الكسكاس) و (القادوسية).	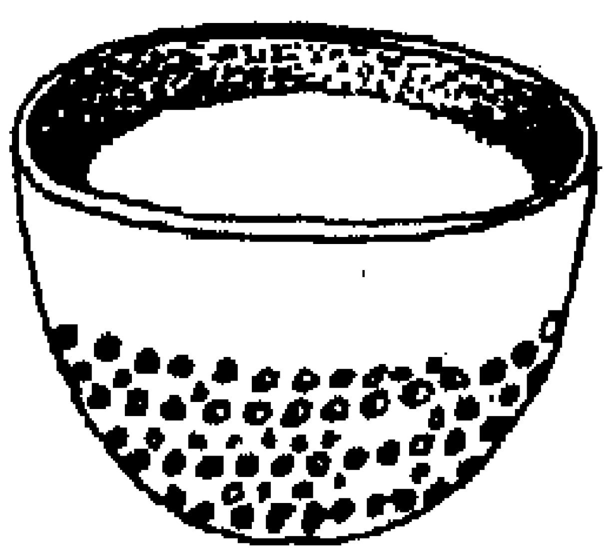
٥- القصعة من الخشب أو الزبدية من الفخار.	إناء كبير من الخشب يستخدم في مأكولات الثريد (الفته) لتجتمع الأسرة على إناء واحد وتستخدم لتقديم الكسكاس والمخروطة والعصيدة وغيرها.	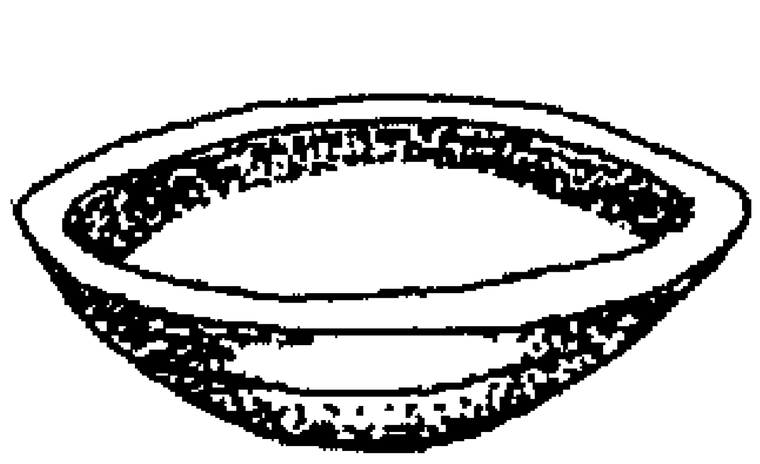

شكل (١٧) تابع عينات من الأدوات المعيشية لدى العرب

الأسم والخامة	المواصفات	الشكل
٦- الطاجون من الطين الأسود الناعم المحروق.	إناء دائري قطره لايزيد عن ٤٠سم ويستخدم كفرن صغير لتسوية أنواع من الخبز العربي مثل المجردق ، والظقوط.	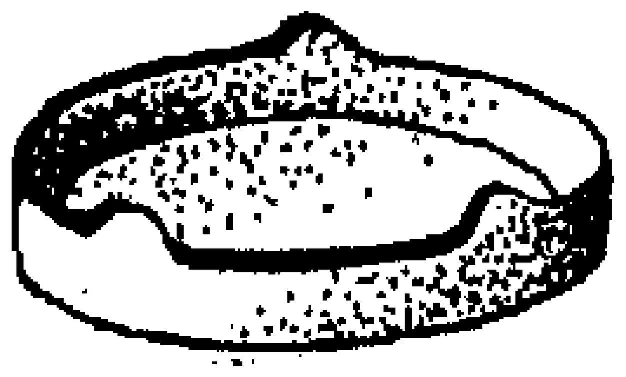
٧- الزروية من الفخار المدهون بالجليز.	إناء كان بديلاً للبرطمان الزجاجي، يستخدم لتخزين السمن البلدي الجامد لمدة طويلة ، وهو أكبر قليلا من القلة.	
٨- الصلاية والدبرك من الخشب.	إناء ويد منفصل مثل الهون ويد الهون، ويستخدم كبديل عن الهون لدق الثوم وغيره.	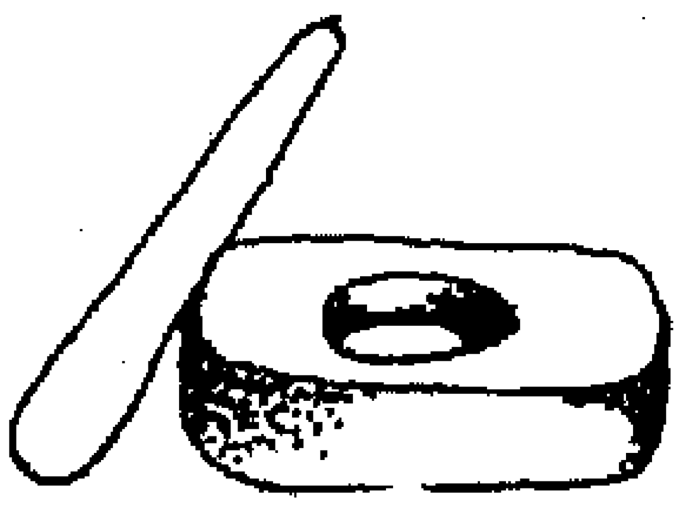
٩- المهراس إناء من الخشب له يد من الحديد.	إناء خشبي مثل الهون المعدني وفي حجمه ويستخدم فقط في دق المضغة أو طحن تباك النشوق.	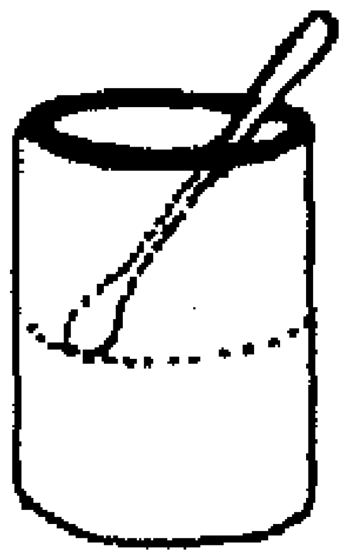
١٠- الطاوة من المعدن خاصة (الصاج).	دائرة قطرها ٨٠سم تقريباً تستخدم في تسوية الرقاق المستخدم في الفته بالحليب أو بالمرق.	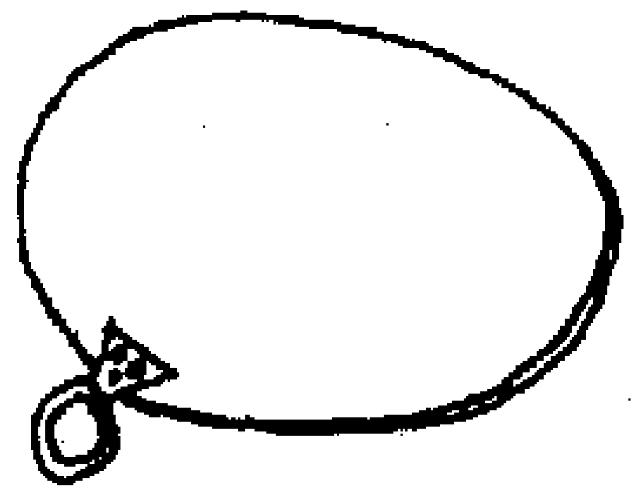

شكل (١٨) تابع عينات من الأدوات المعيشية لدى العرب

الأسم والخامة	المواصفات	الشكل
١١- الحلاط من الجلد.	وهو حزام يشده الرجل من فوق كتفه الايسر وتحت أبطه الايمن لحمل الزخيرة وبه موضع لكل طلقة رصاص على حدة، وهو يحمل مع البندقية (حلاط وبندقة).	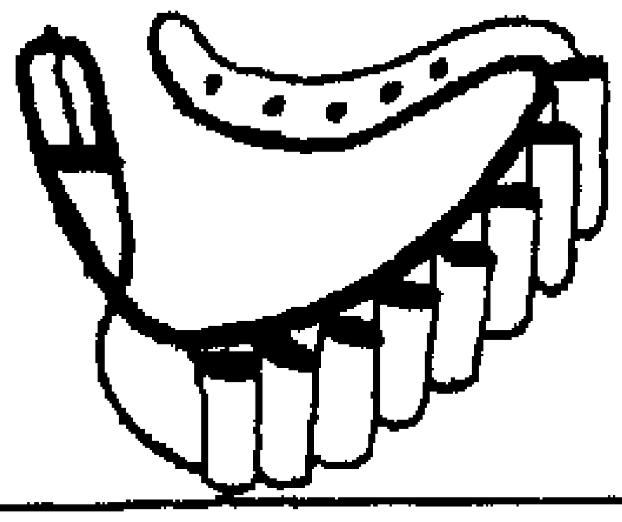
١٢- خريطة من الجلد المطعم بكباسين معدنية ملونه أو غير ملونه.	وهي حقيبة لحمل الزخيرة يتعايق بها الرجل ويحملها بالورب فتكون بجانبه الأيمن بينما حزامها يمر من فوق كتفه الأيسر وتحمل عليه خرطوش (حوالي ٢٥ طلقة رش) وهي مزخرفة بكباسين معدنية.	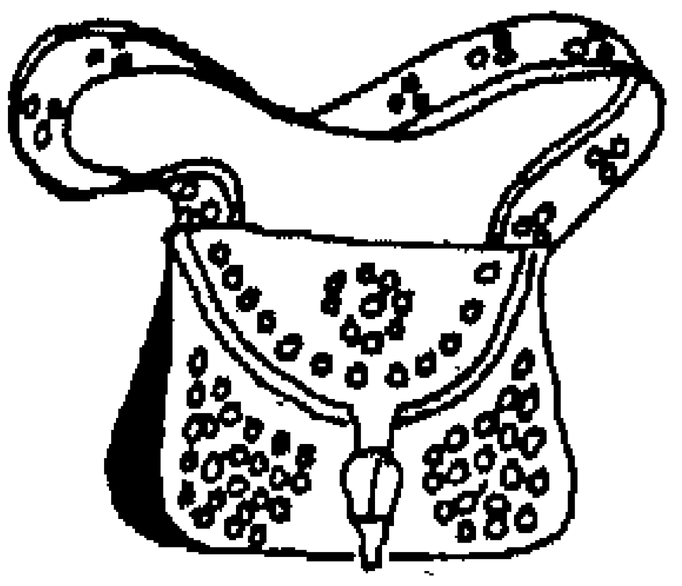
١٣- العدة من الجلد والصوف اللباد، أو من القماش القطيفة مثل المصلية مع صوف اللباد.	نوع من السروح العربية للخيول وكان صناعه المهرة في المدن وخاماته تستورد من تركيا، وانقرض الآن وهو دليل غني الخيال حيث يجعل الحصان في أبهى صورة (والخيل المسوّمة).	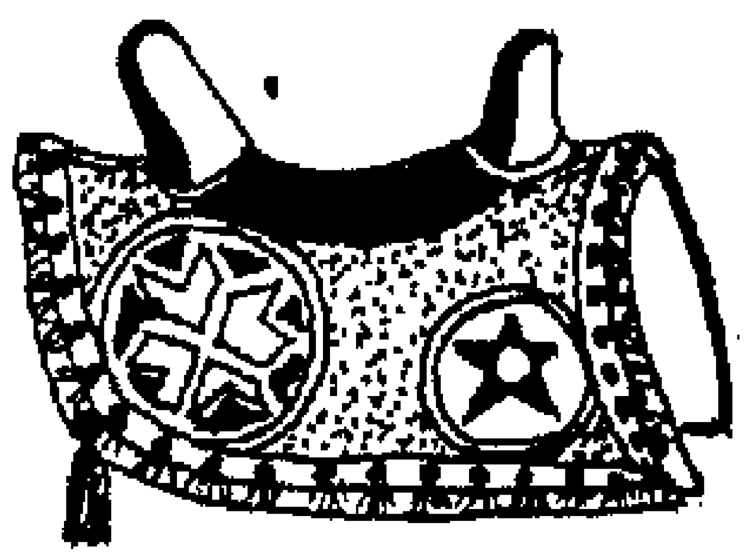
١٤- اللبب. من خيوط الحرير مثل الحليه التي توضع للستائر الثمينة وتسمى (قطاويل) ومفردها (قطواله).	وهو زينة الصدر للحصان ويأتي مع العده وبنفس الوانها كطقم (عدة ولبيب ولجام) ويعلق على صدر الحصان ويثبت من طرفيه بالعدة، وهو دائما بلونين (ازرق واصفر)(ازرق وابيض)(ازرق وبنفسجي)مثل العدة.	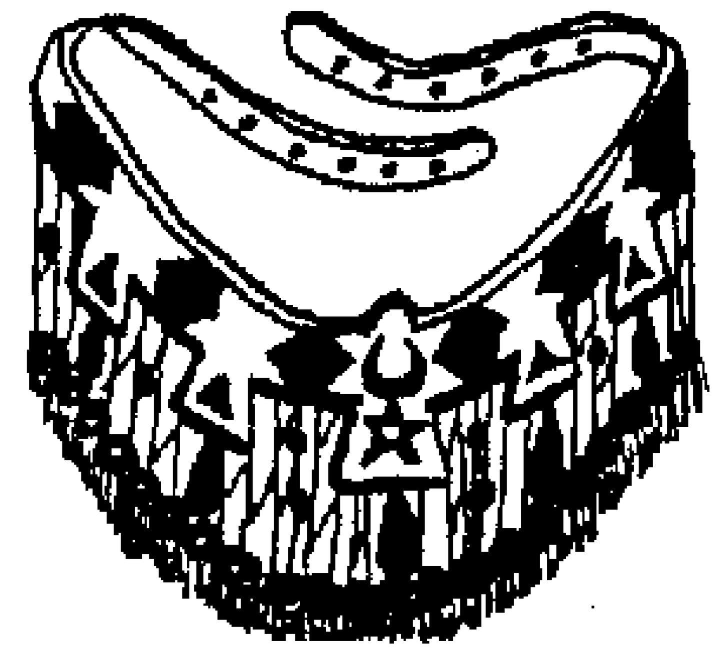
١٥- الشاغر. (الباهوق والروس والخطاف من الخشب) (والقوالب والحويةمن غزل الصوف، أو حبال الليف).	وهو برزعه الجمل المصممة بحيث يسهل ربط الاحمال به أو عمل شبرية فوقه لحمل العروس ويركب به خمسة خطاطيف وسلبه ودايرمن الحبال المتينة التي تتحمل الاثقال.	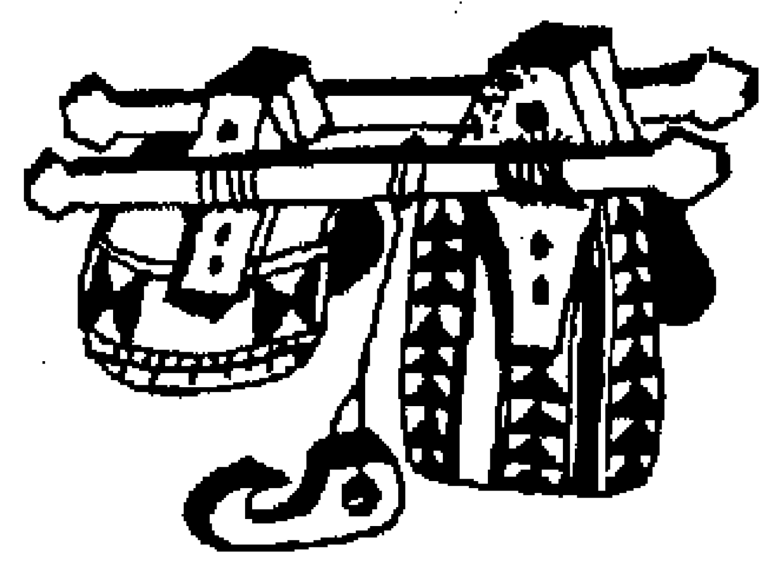

الأطعمة العربية :

الأطعمة العربية بسيطة سهلة الهضم معظمها من الثريد وليست معقدة في تركيبها ، وبعضها يسوي على البخار ، ومعظم هذه الأطعمة لازالت تقدم حتى الآن بل أنها تطلب بالاسم وسط الأطعمة الشرقية التي انتشرت لدى البدو من العرب ، ومن الأطعمة العربية الكسكاس ، والعصيدة ، والمخروطة ، والبريمة ، والرغيدة ، والحساء وغيرها ، وهناك أكلات قديمه لم تتذوقها الأجيال الحالية مثل القديّد والهبيط والظمّيتة كما وتوجد أكلات مرتبطة بمواسم أو ظروف معينة مثل (الذوبة) التي تقدم عند تحويل الزبد إلى سمن سواء من القمح المجروش والسمن أو العجوة والسمن أو العسل الأسود والسمن ، أما العجائن فيصنعون منها أصنافاً عديدة من الخبز منها الخبز الشمسي ويخبز في الفرن الصغير ، والمجردق، على الطاجون ، والرقاق على الطاوة ، والظقوط على الطاجون ، (والمنطط ، واللزّيق ، والبتاو) وهذه الأخيرة مأخوذة مثل الكشك من ريف مصر فهم يجيدون الآن مثل الأرياف عمل الفطير المشلتت والفايج والبسكوت (المنين) والكعك الريفي وكلها أطعمة ريفية وليست من أطعمة البدو ، وفيما يلي نقدم عينات من الأطعمة العربية :

١) الكسكاس : هذه الأكلة مشهورة في المغرب العربي ، وفي ليبيا وهي أكلة شعبية في المطاعم هناك مثل الفول في مصر ، وأهل المدن في مصر يعرفون الكسكسي باللبن أما كسكاس العرب فهو من القمح المجروش يدوياً على الرحى ، وتبرمه سيدة ماهرة في قصعة حتى تحول الدقيق إلى حبات صغيرة مثل الرش ، ويسوي على البخار في قادوس مخصص لذلك ، ويوضع عليه أدام آخر يخلط به مثل شربة اللحمة أو قرع العسل أو تقلية البصل ، وأهم نوع منها هو الكسكاس بالقرع العسل الأحمر (البرتقالي) ويؤكل مساء ، وهو أهم الأطعمة العربية أو هو شيخ الأطعمة العربية ودائماً يؤكل ومعه اللحوم الدسمة ، ومن الممكن أن يؤكل في الصباح مع اللبن والسكر إذا زاد الكسكاس عن العشاء.

شكل (١٩) صورة لسيدة من القبائل العربية (زمزم محمد)
تطحن القمح على الرحى لعمل الكسكاس ، التقطت عام ١٩٨٣م ،
لاحظ شناف الذهب على الأنف ، والوشم على الذقن.

أما البريمة فهي نفس حبوب الكسكاس ولكنها لاتسوي على البخار وإنما تسوى باللبن الحليب مباشرة وهنا ممكن أن تكون عملية برم الحبوب أقل اتقاناً عنها في حالة الكسكاس ، حيث أن البريمة أكلة سريعة للعشاء في الليالي التي لايكون فيها لحوم أو طيور، والبريمة والكسكاس يؤكلان بالملاعق في قصعة واحدة لكل الأسرة.

٢) المخروطة : إذا كان الكسكاس هو أهم الأطعمة الدسمة للمساء فإن المخروطة هي أهم وأرقى الأطعمة الخفيفة للصباح ، وتصنع من رقاق دقيق القمح الذي يطوي ويقطع إلى شرائح فتكون الشريحة عبارة عن خيط بطول الرقاقة ، ويغلي اللبن جيداً وأثناء الغليان توضع عليه هذه الخيوط بطريقة فنية حتى لايتعجن بعضه ، وبعد قليل يستوى ويوضع في القصعة ويرش عليه السمن وعسل العود الأسود ويقدم ساخناً ويؤكل بالملعقة ، وتوجد حالياً ماكينات لفرد وتقطيع المخروطة آلياً يملكها العرب بدلاً من الطريقة البدائية اليدوية.

٣) العصيدة : العصيدة عبارة عن دقيق قمح أو ذره وتغلي لها مياه ثم يوضع هذا الدقيق على الماء المغلي أثناء الغليان بانتظام فلا يوضع الدقيق مرة واحدة ولكن على عدة دفعات ومع كل دفعة تحرك الدقيق في الماء الذي يغلي بواسطة عصا مخصصة للعصيدة تسمى (معصد) وبعد الإنتهاء من وضع الدقيق تأخذ العصادة في تقليبه جيداً بواسطة العصا المعروفة حتى يتحول هذا الدقيق إلى كتلة واحدة ممتزجة ومتماسكة ثم يُنزل من فوق النار وتوضع كتلة العصيدة في القصعة وهي إناء من الخشب المجوف على شكل نصف كرة وتنقر كتلة العصيدة من وسطها لعمل نقرة حتى يوضع بها السمن والعسل الأسود وتؤكل باليد مباشرة بدون ملاعق، وممكن يستبدل العسل باللبن الرايب ، وممكن يستبدل بالتقلية وهكذا العصيدة واحدة والاختلاف في الخلط ، أما القديد فهو عبارة عن عصيدة عادية ولكنها ممتزجة بقطع صغيرة من اللحوم والتي سبق تسويتها قبل العصيدة ثم يوضع عليها الدقيق وتقلب مثل العصيدة العادية.

التقويم العربي :

يرتبط التقويم لدى العرب بالشهور القمرية ، ويسمونها باسماء لايعرفها غيرهم مثلاً يطلقون على الشهور العربية الاسماء التالية : (عاشورة ، وتويبعها ، والميلود ، والمناسي ثلاثة ، ورجب ، وقصيِّر ، ورمضان ، وشهر العيد ، والفطار اثنين ، والضحيّة) ، (والميلود) مثلاً أي ربيع الأول وهو شهر مولد الرسول صلى ا لله عليه وسلم فيسمى الميلود ، والمناسي ثلاثة (ربيع ثاني / وجماد أول / وجماد ثاني) وقصيِّر هو شعبان لأنه سريع ويمر بسرعة يقولون : (قصيِّر عدّى يتيِّر) أي ذهب مسرعاً ، وشهر العيد هو (شوال) وهكذا هم يحفظون هذا التوقيت تماماً ولاسيما كبار السن من الشيوخ الذين لم تبهرهم المدنّية.

وهم يقولون : " يوم صومكم يوم نحركم يوم عيدكم الأكبر " أي أن صيام رمضان إذا بدأ أول يوم فيه يوم جمعة مثلاً فإن يوم النحر أوعيد الاضحى الأكبر سيكون يوم جمعة أيضاً ، وهكذا وإذا حدث اختلاف نجدهم يبررون ذلك بأنهم صاموا بدري يوم أو بدأوا الصيام متأخراً وهكذا لهم دلائل فلكية تستحق ان تدرس وان يلقي عليها الضوء من الوجهة العلمية.

فالنجوم لها أسماء منها (العصيّ) وهي مجموعة نجوم مكونة من سبعة نجوم متقاربة كما لو كان بينها رباط شكلي وهي على درجة متقاربة من التوهج ، (والبدرية) وهي نجمه لامعة تظهر من ناحية الشرق قبيل الفجر ودائماً يضعون بزوغها بداية للعمل المبكر مثل (نزح الحسيان) أو (بداية السفر للرواح) ، (والتبان) وهو خط طولي في السماء كأنه سحاب وهو ليس بسحاب ولكنه مجرّة ضوئية يستدلون بها على أماكن وأوقات ، (والمرازق) ثلاثة نجوم تظهر مع منتصف الليل تقريباً ، أنظر إلى قولهم في الحداء على الابل : " الليل هوّد والمرازق تاقت ∴ وانتي لفيتي والخواطر راقت " وهذا يعني أن ظهور نجوم

(المرازق) بعد أن يهُود الليل أي عقب منتصفه تقريباً ، كما أن عندهم مايسمى (بالنجم ابو ذيل) ويقولون :

قولُوا لركابة الخيل ∴ را النجم بوذِيل جاكم
إن كان شّرق يكثر المير ∴ وإن كان غرب ياشقاكم

كما نجد قبائل العرب في مصر يحددون القبلة بسهولة فهم يقولون قبل الظهر صلي على اتجاه الشمس وبعد الظهر ضع الشمس في ظهرك وصلي ، وصلاة الظهر عندما يكون الظل أقل من نصف قامه الرجل والعصر قامتين أو أكثر قليلاً ، وإذا اردت أن تعرف الاتجاهات الأربعة ارفع بعض الرمال ستعرف اتجاه الريح وهو في مصر في معظمه يأتي من الشمال وطالما عرفت الشمال ستعرف الجنوب ومن ثم الشرق والغرب هذا إذا كان الوقت ليلاً وبعد غياب الشمس.

اما الهلال فله لديهم اشكال والوان ويتحدثون عنه كمولود يقولون أنه (ولد ليله) أو (ولد ليلتين) أي أن عمره ليلتان ، ولهم مشاهد في شكل الهلال فإذا كان نائماً ، أي مثل حرف النون فله معنى وإذا كان جالساً أي مرتكزاً على إحدى حافتيه فله معنى آخر ، وهكذا الكثير مما يندرج تحت التفاؤل والتشاؤم مما ذكر في هذا الكتاب ، وعند رؤية الهلال يقولون : " هل هلالك شهر مبارك انعنك علينا بالخير والخمير والرزق الكثير واجعلك ابرك الهّلة ، لافيك مرض ولاعلّه"، كما يقولون عندما يروا الشهب اللامعة : " نجمتنا لاحت لاحت ونجمة العدو طاحت" وبعضهم يقول " اجعلك رجمةً للشياطين " ، وإذا سقط المطر يفرحون به رغم عدم حاجاتهم إليه ونجد الأطفال يهرعون للخارج ويغنون قائلين : "يالنطر ياعمتي حنيلي جمتي" " يالنطر ياخالتي حنيلي قطايتي".

وهكذا فإن هناك ملامح لغلوم الفلك وهذا شيء طيب أفادهم كثيراً في السفر والترحال كما أنه تفكر وتدبر في خلق السماوات والأرض (... ويتفكرون

في خلق السماوات والأرض ...) وهانحن نؤكد على العادات الطيبة ونحاول أن ننهي عن الرزيلة وبا لله التوفيق.

الافراح العربية :

عندما يرغب أحد من أبناء البادية في الزواج فأمامه عدة طرق أولاً إذا كانت الفتاة من بنات عمه وليس عمه هو أخ والده فقط ولكن كل فتيات قبيلته يعتبرهن بنات عمه ، فله الحق أن يتزوجها ولايمنعه من ذلك أحد طالما هو قادر على دفع مهرها. والفتاة في القبيلة كإنسانة تحب وتكره ولكنها لاتملك حرية اختيار زوجها والرأي الأول والأخير لوالدها أو ولي أمرها.

وعادة مايحدث الزواج من بعيد أي من قبيلة أخرى فقد قال الرسول صلى ا لله عليه وسلم : (اغتربوا تضووا). ويقول البدوي (بارك ا لله النسبة البعيدة والزرعة القريبة).

فإذا رغب شخص من قبيلة الزواج من قبيلة أخرى يحدث ذلك على عدة مراحل فإذا أحب فتاة يتردد على دارها عدة ليالي وتحاول الفتاة الا يراها وهو في منزلها وذلك من دواعي الحشم (الخجل) وإذا كان لها أبناء عم يرغبون في الزواج منها فيمنعونه من التردد على هذه الدار فإذا لم يمتنع يعملون له (رباط) والرباط هو وقوفهم في الطرق المؤدية إلى النجع الذي تعيش فيه الفتاة فإذا ما أتى هذا الشخص (الغاوي) تحدث معه معركة كلامية وربما تتحول إلى معركة بضرب العصي. وعند ذلك وفي تلك اللحظة فقط تأخذ أم الفتاة رأي بنتها فيمن تريد أن تعيش معه وإذا فاز بذلك ابن عمها يمنع الشخص الغريب بواسطة والد الفتاة وكذلك إذا فاز الغريب يمنع ابن عمها بشرط أن تتم عملية الزواج بطريقة سريعة ، ثم يتقدم الشخص الراغب في الزواج رسمياً ويدفع المهر الذي كان في الاربعينات من (٥ إلى ٤٠ جنيها) وفي الخمسينات من (٢٠ إلى ١٠٠ جنيها) وفي

الستينات من (٥٠ إلى ٢٠٠ جنيها) وفي السبعينات من (١٠٠ إلى ٥٠٠ جنيها) وفي الثمانينات من (١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ جنيها) أما في التسعينات فقد وصلت بعض المهور إلى ٢٥٠٠٠ جنيها ولاتقل عن ٥٠٠٠ جنيها إلا في الحالات القليلة والاقارب ربما يجيزون ٣٠٠٠ جنيها.

وبعد مرحلة دفع المهر ينصب الفرح ويذهب أهل الفتاة إلى (البندر) أي المدينة ويأتوا بالأثاث اللازم لمنزل العروسين الجديد ، وهم يهتمون بشراء الذهب أكثر من أي شيء آخر ثم يشترون أثاثاً بسيطاً عبارة عن صندوق من الخشب أو دولاب صغير لتضع به العروس مايلزمها ومرتبه وإذا أمكن سرير ولحاف أو اثنين ثم الحصير المصنوع من الخوص وثوب الزفاف الذي عادة مايكون من الحرير الابيض أو الحرير الأحمر ثوب (منجليه) والآن موبيليا وحجرات نوم وسفرة وعلى أحدث مايكون ، ولاينسون أن يحضروا معهم (الحنا) فهي من متطلبات الفرح الضرورية حيث توضع في يد كل من العريسين ليلة الزفاف.

ثم يأتي الناس من النجع ليباركون للعروس على هذا الاثاث وعلى المصاغ الذهبي الذي أحضر لها . وفي ذلك الوقت يقيم العريس الفرح بعد أن يتفق مع أهل العروس على يوم الزفاف وقد تكون المدة بين دفع المهر ويوم الزفاف أسبوعين أو أكثر أو أقل قليلاً. المهم في هذه المدة وبعد غروب الشمس يقيم أهل العريس السمر أمام منزلهم وهو عبارة عن اجتماع أبناء القبيلة لإحياء السمر فيقفوا صفاً على شكل نصف دائرة وأمامهم تقف الحجالة (الراقصة) ثم يبدأوا بالتصفيق ، وهم يرددون بيت من الشعر البدوي فنصفهم يردد الشطر الأول والنصف الآخر يردد الشطر الثاني. وهناك أبيات شعر كثيرة جداً يرددونها وهي موضحة بالفصل الخامس من هذا الكتاب. وعادة ماينتقل شباب القبائل الأخرى من مساكن بعيدة لحضور هذا السمر الليلي الذي يستمر كل ليلة حتى ليلة الزفاف التي يذهب فيها أهل العريس وأتباعه ومدعويه ليذهب كل منهم إلى بيت العروس منهم من أمتطى الجياد ومنهم من يركب الأبل والحمير ومنهم من يسير

على قدميه وتركب النساء عند زفاف العروس على الأبل وتركب على كل جمل حوالي أربع نسوة وذلك بوضع خشبتين طويلتين على عكس خشبتي الشاغر فيكونان معهما صليباً من الخشب توضع عليه البطاطين والمراتب وتجلس عليه النسوة وتسمى " شبرية ".

ثم يذهبون في ليلة الزفاف في موكب كبير وينصبون السمر في دار العروس حتى الصباح فيأخذون عروسهم على أحسن الجمال المزينة بالصوف الأحمر المصبوغ ومن حولها تجلس أجمل فتيات قبيلتها وقبيلة عريسها ، ويسمى هذا اليوم يوم العرس وفيه تظهر الفتيات للزفاف راجعين إلى دار العريس في موكب كبير وجو من الأغاني البدوية والزغاريد الطويلة الرنانة ورمح الجياد الاصيلة ولعب الحلقة وضرب الأعيرة النارية وغيرها من الألعاب الدائرية الجميلة التي يلعبها راكبي الجياد من الخيالة ، ويجب أن تصل العروس منزل العريس في وضح النهار وألا تتأخر عن موعد العصر وإذا تأخروا عن ذلك يشك الناس في أمر العروس ويجب أن تصل ظهراً من أجل أن يرى الناس جميعاً شرف أبنة القبيلة الفلانية ويعد أن يتناول المدعويين طعام الغذاء في منزل العريس ينصرف كل منهم إلى عمله لتبدأ مرحلة أخرى وهي مرحلة النقوط وهو مايقدم من هدايا ونقود للعريسين طوال أسبوع واحد بعدها يخرج العريس من الحجبه وهي مكان الحجرة التي يسكنها والنقوط إذا كان نقوداً وكان قديماً لايتعدى جنيها وتقدم هدايا أغنام وماعز لصاحب الفرح أو والد العريس ويقدم الشباب النقوط للعريس ليلا ويسامروه قليلاً وتكون العروس قد أعدت معها في صندوقها (المنين) وهو البسكويت ليوضع أمام الشباب الذين يقدموا النقود ثم تبدأ الحياة الزوجية بعد ذلك وتكون ناجحة إلى حد كبير إذا نتجت عن غية.

ولاننسى أن نذكر (الطرّادية) عند وصول العروس إلى منزل العريس لتدخل داخل حجرتها المخصصة لها ثم يذهب الشباب والمدعوين مع العريس إلى مكان ما يبعد بضع امتار عن المنزل ثم يبدأوا في التصفيق على شكل السامر الليلي غير

شكل (٢٠) صور من الاستعداد لزفاف عروسة على جمل تبين الشبرية فوق الجمل لجلوس العروسه وصديقاتها (صورة اندثرت الآن تماماً).

أن الكلام الذي يرددونه في هذه الطرادية هو بيت واحد فقط هو " الحفيظ ا لله ياحفيظ " وقد يكون لها معان كثيرة لم يتفق على معناها ويقولون أنها عادة موروثة.

وفي أثناء قدوم العرس من بعيد وحين يقترب من منزل العريس يقف أحد الشباب فوق منزل العريس ممسكاً بيده قطعة من القماش الأبيض يلوح بها وكأنها علم وهو يرحب بالعروس قائلاً : (يامرحبا يالافية ، دخولك بطول العافية) ، ويستمر الترحيب على هذا النمط حتى تدخل العروس المنزل ويفضل البدو أن يكون يومي الافراح الأثنين والخميس فالأثنين يدل على ثنائية العريس أما الخميس فيقال أنه تزوج في هذا اليوم الرسول صلى ا لله عليه وسلم ويقال (الخميس كان فيه النبي عريس).

لهم تقاليد لطيفة فيذبح العريس جدياً أو شاه بعد الوليمة التي قدمت للمعازيم وهذه الذبيحة لأسرة العروس وتسمى (الديّرة) ، كما أن اهل العروس يأتون خلال أسبوع ومعهم (الضيافة) ، وكذلك أول زيارة للعروس لأهلها تكون معها (ضيافة كبيرة) من الخراف والماعز وغيرها ، وهكذا لكل حركة يقومون بها أسم ولاعجب في ذلك فهم العرب أصحاب اللغة والذين يملكون ناصيتها.

المآتـــم :

وتتجلى المساعدة عند العرب في المآتم فعند موت شخص ما يقسمون أنفسهم دون أن يعرف صاحب المصاب ، منهم من يذهب إلى الجبانة لحفر القبر ومنهم من يحمل الطوب اللبن من أي مكان وجد به دون أن يمنعهم صاحبه ومنهم من يأتي بالشيالة التي يحمل عليها الميت وما إلى ذلك حتى يدفن الشخص بسرعة ودون مشقة من صاحب المصاب وهم يقولون في أمثالهم.

(كرامة الميت استعجال دفنه)

وهكذا البدوي تظهر الشدة أطيب مافي نفسه وعندها يندفع في نخوة كبرى للمشاركة ناسياً أي خلافات. فيقدمون المساعدة لأهل الفقيد من المساعدات المالية والحبوب والماشية من أغنام وماعز وخلافه.

وعندما يموت شخص يركب رجلين من أبناء قبيلته على جوادين ويسمى كل منهم (خبَّار) ويتجه أحدهما شمالاً والآخر جنوباً ليخبروا القبائل والنجوع الأخرى بأن فلان من القبيلة الفلانية قد توفى وذلك ليحضر الناس من القبائل الأخرى عملية دفنه وخاصة عندما يكون من الشخصيات المعروفة وبعد الدفن يقام المأتم في منزل الفقيد ليتلقوا العزاء من المعزين وكل من دفن الميت لابد أن يقابل أهل الفقيد مرة أخرى ويسمى ذلك (رد العزاء) وأول يوم للميت تزبح له ماشية كبيرة اما أبقار أو أغنام كل حسب قدراته وتسمى هذه الزبيحة (ونيسة) ويأكلها الفقراء لأنهم يتشاءمون من أكل الونيسة وهي عبارة عن اللحوم والكسكاس في شربة اللحمة وتوضع في القصعة. وقد تزبح الونيسة ولاتجد من يأكلها لكره الناس لمناسبتها وخاصة عندما يكون الفقيد شاباً. والحمد لله الآن نجد تلاوة القرآن الكريم واندثار عادات الندب والمبالغة في اظهار الحزن ، وهو اتجاه جيد في تغيير الاتجاهات النفسية في الاتجاه الايجابي فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

التطيّر والتفاؤل :

التطير هو التشاؤم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من التطير وكان يقول : (اللهم لاطير إلا طيرك ولا اله غيرك) ، وقد ذكر التطير في القرآن كما في قوله تعالى : (قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم...) والعرب كما لاحظت مثلاً لايذكرون كلمة (أسود) لأنها رمز حزن فالحمارة السوداء يقولون عليها (خضراء) والعسل

الأسود يقولونَ عليه (عسل عود) أي عود القصب ، والحلبة أو الحياقة باعتبارها شديدة المرارة يقولون عليها (حلوة) كما أنهم لايستخدمون اللون الأزرق الضيني في ملابسهم ويقولون أنه لون (حزايني) ، ويبتعدون عن الايام التي بها رقم (٦) مثل أيام ٦ ، ١٦ ، ٢٦ ولم أجد تعليقاً شافياً لسبب ذلك إلا أنهم لايقيمون فيها الأفراح ولايفضلون السفر فيها ، ويصل التطير لدى بعض القبائل أن لاتأكل الدرّ (السمن والجبن) في أيام محددة من العام وقبائل أخرى لاتأكل طيور الحمام على الاطلاق ، ولدى هذه القبائل مفاهيم ثابتة في هذا الشأن ، كما يتطير العرب من صوت البومة ويعتبرونها رمزاً للخراب ، وكذلك شكل الغراب ونعيقه ، ويتفاءلون بالدواب البيضاء أو التي وجوهها بيضاء وهي أغلى الدواب والمواشي لديهم وربما يتشاءم العربي من لفظ يطلقه طفل ويقولون في أمثالهم (خذوا فالكم من عيالكم) ولاشك أن التطير عادة مزمومة ويجب أن يكون الايمان أقوى من التطير والاتكال على ا لله ، وكانت تحدث أشياء غريبة خوفاً من الحسد أو امعاناً في التطير ، مثال ذلك إذا تزوج رجل بامرأة ثيّب أي سبق لها الزواج فلا تدخل النجع الذي به العريس يوم الفرج وهي راكبة الجمل ، بل ينزلونها من فوق الجمل قبل النجع دون أن تراه وهي راكبة ، وكل المبررات التي كانت تقال حول هذا السلوك نجدها تنصب في خانة التطير ، أيضاً تضع العروس لدى بعض العرب قدمها بالكامل في حلة ماء بارد قبل أن تدخل باب العريس لكي يكون قدمها بارد وخير على الأسرة ، أيضاً كانوا يضعون فردة حلق في الأذن اليمنى للطفل وتسمى (علاقة) كما لو كان بنتاً فيعيش أو لايحسد ، أو يسمونه باسم غير جميل عن قصد لكي يعيش مثل (شقلوف) أو (جرمون) أو (بو قداد) أو (بوكشاش) أو (لفيعة) وهكذا وهي اسماء ذات معان غير سارة ، ويتشاءمون أيضاً من الذي ينادي خلفهم بالأسم إذا كان الشخص مغادراً لسفر أو لقضاء أمر ويقولون (لاتنادوا وراه) ، وربما بعض العرب يرمون وراءة سوار من فضة ثم يلتقطونه وهم يقولون (بيضا قدامك وبيضا وراك) ، كما أنهم ينضحون الماء فوق آثار أقدام شخص يعتقدون أنه حساد فور مغادرته للمكان ، وهكذا نجد للتفاؤل والتشاؤم تقاليد لدى العرب وهي متوارثة ونحن نذكرها لمجرد

رصد حالة ، وهي مثل كل تراث العرب في طريقها للزوال ، ولانجد الآن إلا القليل منها.

الطب العربي :

لا أريد أن اتوسع في الطب العربي حيث هناك الكثير مما يجب الحذر منه كما أن منه الكثير مفيداً ، والأمر يتطلب دراسات تخصصية تقوم كليات الطب والصيدلة حول الطب الشعبي لدى العرب وربما به مايفيد ، فلقد رأيت بنفسي أن الدق بالأبرة يزيل العروق المتكللة ، ويشفي من التنية التي تصيب أصابع القدم بالهرش ، ولكن يجب الاّ نغالي دون دراسة ولدى العرب الكي بالنار ، أو بسمار محمي بالنار لدرجة الاحمرار ويكوي على الرأس من نقطة الوسط من مرض (الساطر) وهو الصداع ، وخلف الأذن بمقدار أربعة أصابع عند ضعف النظر ، وعلى نهاية سلسلة الظهر من عرق النسا ، وحول سرة البطن من الفتق ، وهكذا وكذلك يوجد الخرت (الخزام) وهذا شيء غريب أن توضع فتله تحت جلد الإنسان ، والردم في الرمال للعلاج من الروماتزم ، كما أن لديهم حجر الطرفة من الرمد وطاسه الفجعة من الخضة ، وقرن الخرتيت من لدغ الثعبان ، وفص العقرب من لدغ العقرب ، وجلد القنفود من الحمى ، والبذله من طرفة العين ، والرقبة من اللوز ، علماً بأن (البذلة والرقبة) مجرد عقيق على هيئة عقد يرتديه المريض ، وكذلك السبحة اليسر وهي مسبحة مطعمه بالفضة تستخدم عند انحباس البول ، ولصقة البيض والصابون على الفتحة ومشروبات كثيرة ، وحبوب تغلي ، ونباتات صحراوية تحرق وغيرها الكثير مما يبحثون به عن الشفاء ، ومهما كان فلديهم قدر من الخبرة في جبيرة المكسور ، أما مايسمى (عصابة) أو الربط بالحبال ثم يوضع فوق البخار فهذه علاجات مميته وعقيمة وفي ذلك أقول فقط مزيداً من الدراسة ، ولم أكتب تفاصيل الكثير مما توصلت إليه في هذا الشأن ، فالطب العربي مثل المواعيد العرفية وغيرها من العادات التي تتجه نحو الانقراض إلا أن الدراسات تظهر فوائد هذه الممارسات ومدى إيجابياتها.

الفصل السابع

الصناعات البدوية

الصناعات البدوية

الصناعات البدوية صناعات حرفية بسيطة ولكنها ذات مغزى عميق فهي في الحقيقة دعوة للاكتفاء الذاتي اطلقها العرب منذ فجر التاريخ ولم تجد من يقدم عنها الدعاية الكافية أو ينظر لتطويرها لتتلاءم مع تطورات العصر ، وهي شبيهة بدعوة غاندي إن لم تكن هي ذاتها ، فالبدوي الذي يمتلك (نعجة وناقة ونخلة) هو في الحقيقة امتلك كل شيء من أساسيات الحياة ومقوماتها ، فهو لايرمي من هذه الممتلكات شيئاً فاللبن من النعجة والناقة أساس لمعظم الأطعمة البدوية من الثريد (الفتة) منها المخروطة والبريمة والبخيلة والرغيدة وغيرها من الحليب كما أن اللبن المالح والرايب واللبن الطري كلها تؤكل مباشرة أو مع مؤكولات أخرى مثل العصيدة أو الدشيشة والحسا وغيرها بل أن المالح وهو نوع من اللبن الأقرب إلى المجفف يحتفظ به العرب بعد الربيع لاشهر طويلة لاستخدامه في أيام الخريف والصيف التي يقل فيها الصّر والضّر.

والصّر عملية يقوم بها راعي الغنم أو الأبل لكي يمنع صغارها من رضاعتها بالكامل أثناء الرعي فيربط بخيوط على ضروعها حتى إذا ما اقترب ابنها لرضاعتها تمنعه حتى لايؤلمها الصّر وكذلك الابن لايستسيغ أن يرضع رباط الصَّر.

وإذا كانت صناعة الالبان تمثل مع مخرجات النخله من البلح والعجوة والبسر الجانب الغذائي في حياة البدوي فإن صناعة النسيج تمثل المسكن والملبس والاثاث ، وهكذا فإن الاكتفاء الذاتي والقدرة على الحياة بابسط معطياتها هي القوة بعينها ، وربما أن هذا الاكتفاء الذاتي هو الذي يمد العربي بهذه القوة المتمثلة في وضع نفسه في مرتبة ربما أعلى من حقيقتها ، ويمكن عرض صناعة النسيج بكل خطواتها كنموذج للصناعات العربية الاصيلة التي تحتاج للمزيد من

الدراسة ، وتجديدها وتطويرها بعد أن التقطتها دول شرق آسيا وتركيا وأصبحت تقدمها للوطن العربي من جديد.

صناعة النسيج العربي

يمر النسيج العربي بمراحل عديدة إبتداء من فوق ظهر النعجة حتى فوق أعمدة الخيام وكفرش وأغطية للانسان ويقوم العربي بكل هذه المراحل كاملة كما يلي :

١- الغسل :

يغسل الصوف على ظهر النعجة قبل عمليه الجلم (القص) بأسبوع واحد وتكون النعجة في قمة نظافتها قبل قصها ، ويفضل غسلها في ماء جار كالانهار أو البحار ويمسك الراعي برأسها وهي تتحرك في الماء بينما يقوم مساعده بغسل الصوف بقطعة من ليف النخيل ، وحينما تخرج من الماء تنفض عن نفسها بقايا الماء وترعى في الشمس حتى تجف تماماً وقد ظهر صوفها بخصلاته الناعمة وقد تخلص من الاوساخ وماعلق به من الاشواك والاتربة.

٢- الجَلْم :

يوم الجلم (قص صوف الاغنام) يوم سعيد لدى البدوي وله تقاليده الخاصة ، وله جلم (مقصّ) مخصوص مصنع لدى الحداد وشبيه بمقص الحدائق ومقبضه متسع ليدخل به الأصابع الأربعة بينما الابهام في الفتحة المقابلة وتوضع طبقة من الصوف اللباد حول مقبضي الجلم ليسهل به الجلم ، ويجلم النعجة رجل أو رجلان معاً وهي نائمة على أحد جنبيها مع محاولة أن يخرج صوف النعجة متماسكاً بالكامل وكأنه كان ملتصقا بها ونزع عنها.

وإذا حضر أحد يوم الجلم يلقي السلام قائلاً : (النور) فيرد الذي يقوم بعملية الجلم قائلاً (ولاظلام القبور) ولم أجد تفسيراً مقنعاً لديهم لهذه التحية إلا أنها تقاليد ، وأيضاً حينما ينتهي من جلم النعجة يوقفها ويربت على ليّتها وهو يدفعها للأمام قائلاً (عودي عدوك مايعود ولايدير قعود) أي إلى اللقاء في المرة القادمة داعياً على عدوها (أي الذي لايريدها أن تعود مرة أخرى) بأن لايعود ولا يرى في منزله قعود (ذكر الجمال الذي في مقتبل العمر) ثم تجمع الأصواف كل نعجة ملفوفة على حدة في جوال واحد أو أثنين حسب عدد الخراف ، ورأيت أن ١٥ نعجة ملأت جوالاً كاملاً بالصوف وبعد عملية الجلم أو في منتصفها لابد أن يتغدّى الجلامّه (القصاصون) بالعصيدة المخاطة بالسمن واللبن الرايب أو العسل الأسود وأيضاً هي عادة غير محددة الأصول ، والجّلام الماهر اليقظ هو الذي لايجرح النعجة أثناء جلمها.

٣- النفش :

تقوم البدوية بعملية نفش الصوف (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وأحياناً تستخدم قطعة خشبية يسحب عليها الصوف حتى يكون نسائر قابلة للغزل ولدى عرب سيناء يقال على قطع الخشب هذه كراديش ومفردها كردوشة.

٤- الغزل :

تقوم السيدة العربية المدربة بعملية الغزل باستخدام مغزل يدوي له خطاف معدني صغير وملتوي مركبُ في أعلاه ، وتستخدم يديها الاثنتين واحدة ترق الصوف حتى يكون الخيط في سمك واحد والأخرى تلوي المغزل على ناحية واحدة حتى يبرم الخيط ، ويتطاول الخيط إلى أن يصل لاقصى ذراع السيدة فتترك (الرق) وتلف المغزل (تبرمه) حتى يصل الخيط إلى أحسن قوام له ثم تفكه بسرعة

مدهشة عن الخطاف المعدني وتلف الخيط على عمود المغزل ، وتظل هكذا بصبر تحسد عليه تكرر هذه العملية حتى يمتلىء المغزل تماماً وهنا تلف هذا الصوف على الكيلوفه.

٥- الكيلوفة :

خيوط الصوف المأخوذة من المغزل تلف بنظام على هيئة كرة يسهل استخدام خيوطها دون أن تتعقد وهذه الكرة من خيوط الغزل تسمى (الكيلوفة) وهي التي يصعب إعادتها إلى صوف منفوش مرة أخرى بل أن التي تفعل ذلك توصف بالجنون كما جاء في القرآن الكريم (أو كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) وحجم الكيلوفة مثل حجم كرة اليد ، وهي في حقيقتها مجموعة من الخيوط في دائرة كبيرة بطول ذراع السيدة ثم تثنيها مع اللف لليمين ثم لليسار لتدخل في بعضها بنظام بديع يسر تخزينها وأيضاً إعادة فك الخيوط للصباغة وتزن حوالي كيلو جراماً من الخيوط المغزولة ، وتسمى لدى عرب الصحراء الغربية (كيلوفة) ولدى عرب سيناء (دحارج).

٦- الصباغة :

عملية صباغة الخيوط بالاحمر (الدويدة) وهو أحمر فاقع أو أعلى درجات اللون البرتقالي ويسميه الفنانون (أحمر فرمليون) ومعظم الغزل يكون بهذا اللون ثم اللون (الازرق النيلة) وهو الازرق القاتم ، ويقول الأستاذ / أحمد الجمال في إحدى مقالاته الصحفية " ان النيل كلمة هيروغلوفية بمعنى أزرق ، وهناك نبات النيلة الذي يستخدم في صباغة النسيج " ، والعرب في مصر يقولون في الترجيب على الأطفال :

يامن شبحة فوق تليلة
زرقة وقلادتها نيلة

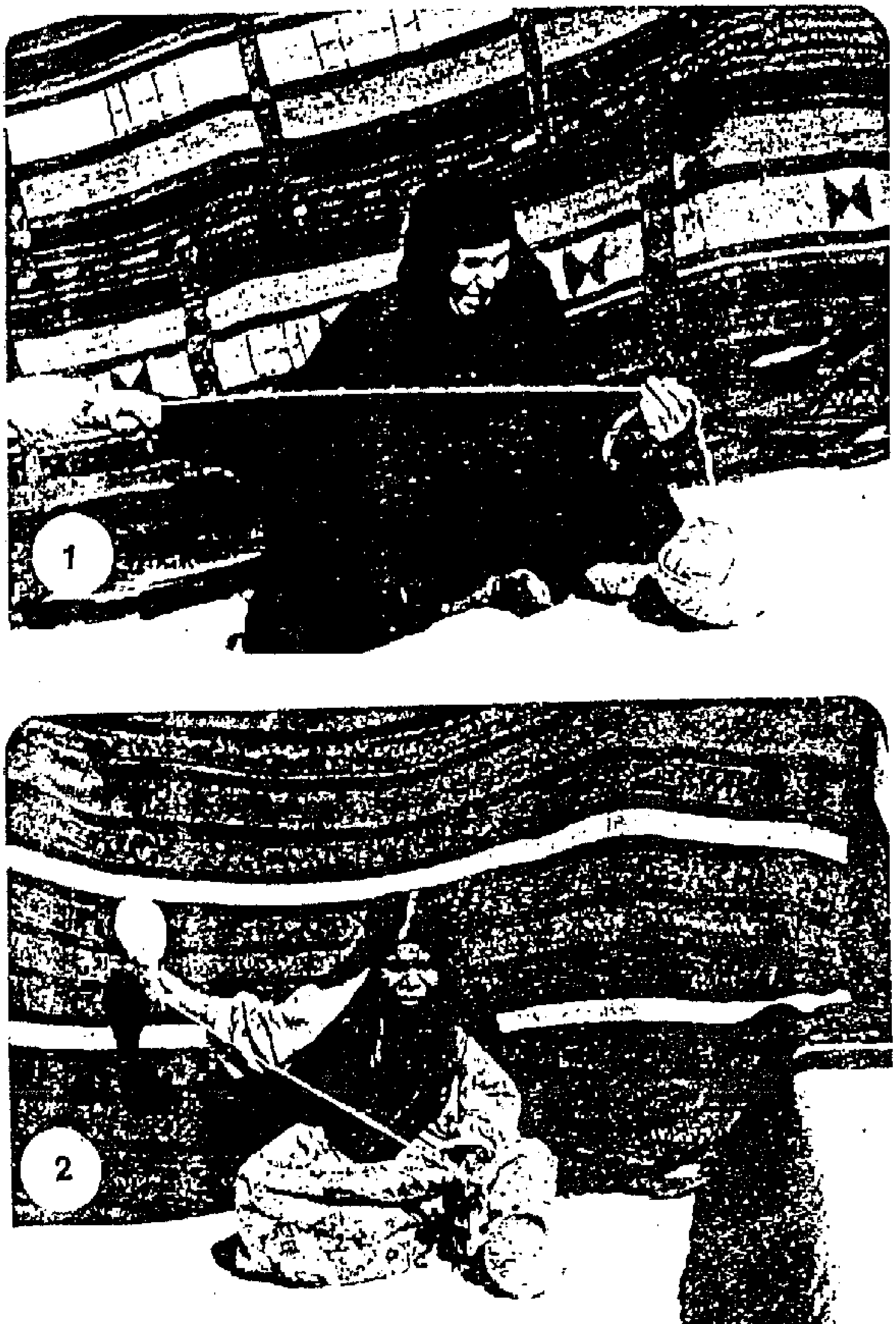

شكل (٢١) صورتان لسيدتين عربيتين تغزلان الصوف بالمغزل اليدوي،
والسيدتان من عرب محافظة المنيا (التقطتا عام ١٩٨٤)
رقم (١) السيدة هنية عبد الله ورقم (٢) السيدة جميعه منصور

أي يامن رآه راكباً فرساً زرقاء وقلادتها (اللجام) أيضاً زرقاء قاتمة (نيلة) وهذا يبين مايسميه الفنانون بالتوافق في اللون أو الانسجام اللوني ، وهو يظهر عندما يكون الشكل كله بدرجات لونيه من أصل واحد ، وهو يعكس بلا جدال الحس اللوني المرهف لدى العربي ، والذي انعكس بدوره على المجموعة اللونية العربية التي تظهر في النسيج البدوي فهي بالتة لونية يمكن تقنينها بنسب كما يلي (احمر ٦٥٪) ازرق (٢٠٪) ابيض (١٠٪) باقي الالوان (اصفر/اخضر/بني) (٥٪) وبذلك فهي بالتة بكل مقوماتها ونسبها ويمكن تطويرها ودفع هذه الصناعة لتستفيد من التطور التكنولوجي مع الاحتفاظ بأصولها العربية.

وعملية الصباغة عملية فنية تحتاج لقدر من التجربة والحنكة ولايشترط أن تكون السيدة الماهرة في الغزل ماهرة في الصباغة ، والعرب كانوا يحصلون على الصبغات الجيدة التي لايخرط لونها ولايبهت من الاسواق التي تستوردها من الهند وتركيا ، وان لم يجدوا هذه الصبغات استعاضوا عنها بالوان الصوف (الأسود والبني والأبيض) وبلون وبر الجمال الطبيعي أيضاً ، ولكن هذه المنسوجات ذات الالوان الطبيعية تستخدم في بيوت الشعر (الخيام) أو الزكائب أو برازغ الحمير وغيرها من الأعمال الأقل شأناً من الأغطية ، وعند الصباغة تسخن المياه في قدر كبير حتى درجة الغليان ثم توضع الصبغة بمقدار معين كما تريد السيدة بلون واحد ثم يغط الغزل (يغمس) في الصبغة الساخنة ، وتضاف (الشبه) للصبغة المغلية أو قليل من الملح لتثبيت اللون على الصوف.

٧- النشل :

هذه الكلمة ربما أخذت معناها المتداول حالياً من حركة نشل خيوط الصوف من السائل اللوني الذي يغلي وبحركة خاطفة حتى تتفادى عدة معوقات منها لسعه اليد من الماء الساخن وقبل أن يتأثر الصوف من الغليان ويتهرأ وأيضاً دون أن يخرج الغزل وبه مناطق لم تغمرها الصبغة تماماً ، لكل ذلك يطلقون عليها في

الصحراء الغربية (نشل الغزل) وفي سينا يقولون (البرم) وربما كلمة البرم مأخوذة من الحركة الدائرية التي يقومون بها بواسطة قضيب معدني أو خشبي للغزل داخل الصبغة حتى تغمره الصبغة دون أن يتعقد ، وعلى كل حال ينشل الغزل أو يلتقط من الإناء وينشر ليجف في الشمس معلقاً بانتظام على الحبال ، كل كيلوفة مفرودة كعقد على حدة.

٨- النسج :

تسمى عملية النسيج بعملية (القَلعْ) وتتم بعد شد النول ، والنول العربي بسيط فهو عبارة عن عمودين من ا لخشب مبسوطان في وضع متقابل على الأرض، ويثبت كل منهما بأوتاد ويلف صوف السدا على العمودين ماراً من فوقهما ومن تحتهما في لفات دائرية منتظمة ومشدودة ، ثم تقوم النساجة بوضع خيوط اللحمة وهي الخيوط المتعامدة سع السدا فالنسيج كما هو معروف (سدا ولحمة) والنسج بطريقة (واحد على واحد) أي يمر خيط فوق خيط وتحت الآخر ثم يعود المكوك الذي يحمل خيط اللحمة من اليمين واليسار وهكذا ينسج يميناً ويساراً ، وهذا المكوك يسمى (قرن) وهو الذي يمر بخيط اللحمة بين خيوط السدا.

٩- الزخارف :

الزخارف التي تظهر على النسيج من إبداع النساجة وهي عبارة عن اشكال هندسية أهم وحداتها المثلث حتى يتمشى مع النسيج فالزخرفة لابد أن تكون خطوطها مائلة وإذا كانت مستقيمة سوف تصنع فتحة في النسيج لأنها ستقف عند خيط معين من السدا ، وهم يطلقون على هذه الزخارف اسماء عديدة مثل (جمال/عرائس/نجوم/ابراج/معورج/مجدول/منقرش/هلالات/حجابات/خلالات) وغيرها من الاسماء التي تظهرها الأشكال التالية :

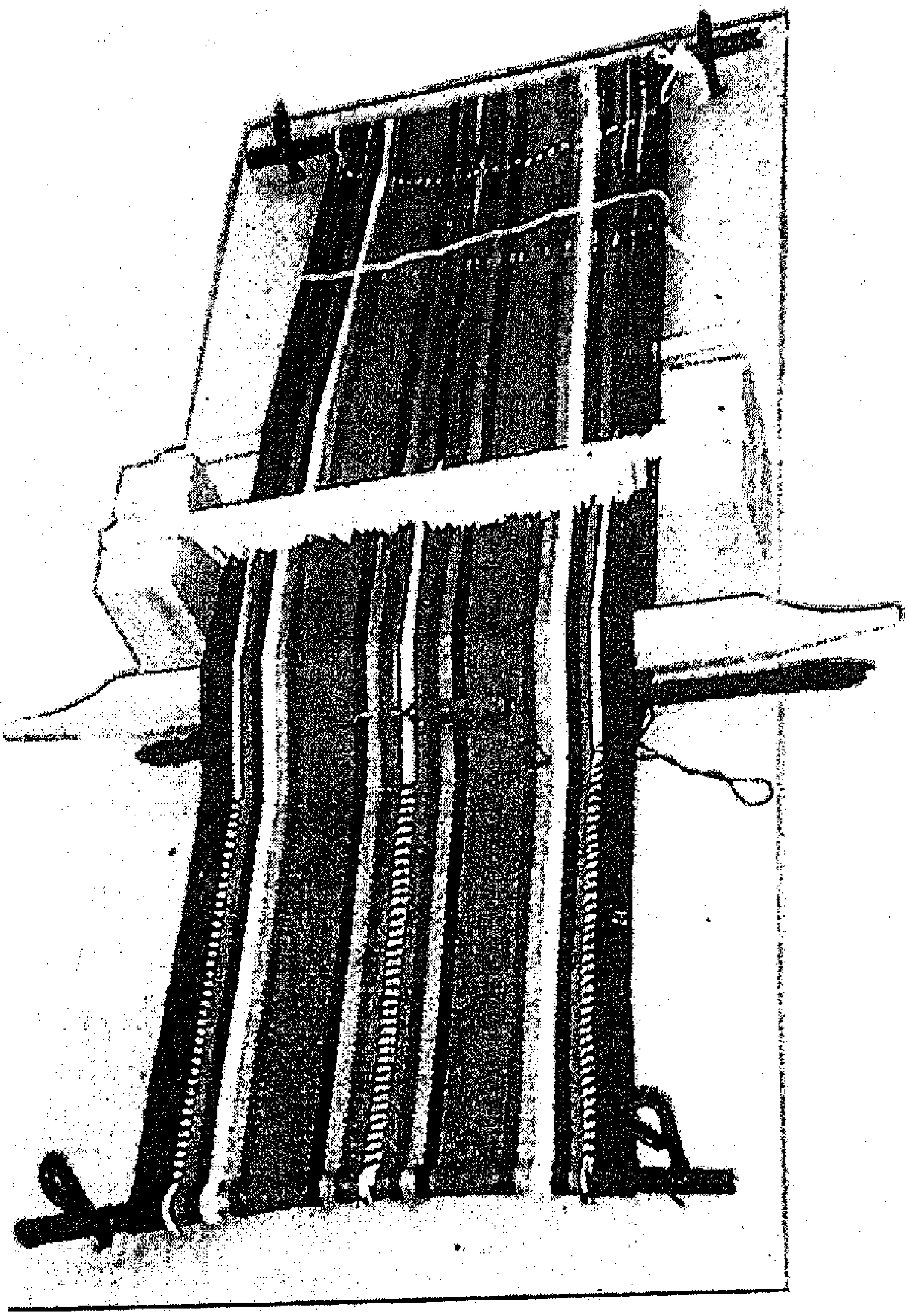

شكل (٢٢) نول بدوي ارضي للنسيج البدوي

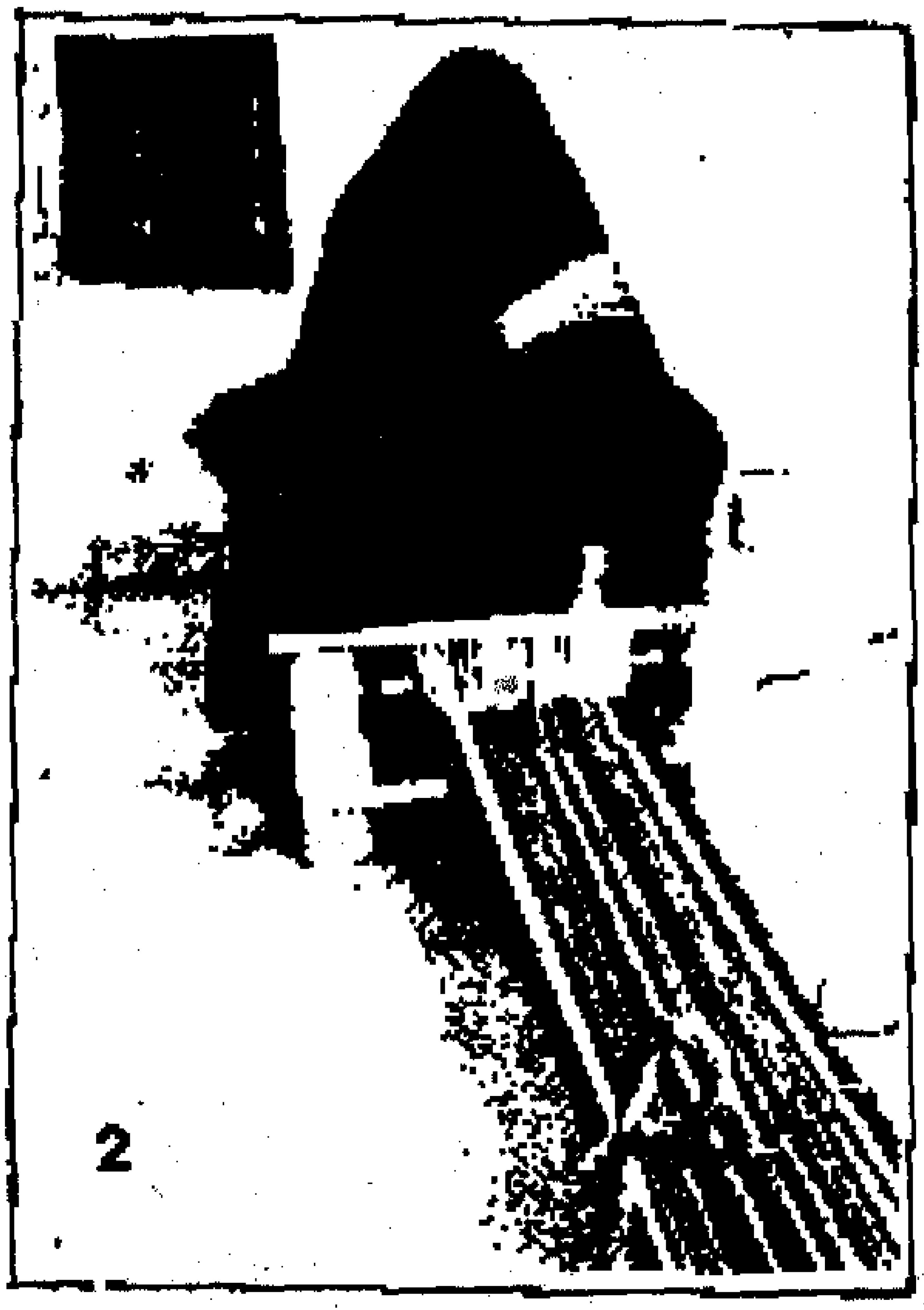

شكل (٢٣) الصورة العلوية رقم (١) لسيدة بدوية من قبائل أولاد علي في مصر (عن جريدة الوفد ١٩٩١/٥/٣٠) والصورة السفلية رقم (٢) لسيدة عربية من دولة الكويت (عن جريدة الشرق القطرية) لاحظ التشابه بين السيدتين في نول النسيج اليدوي ، ومساحة النسيج واستطالة الخطوط الطولية للتصميم ، وأيضاً احتشام السيدتين حتى اثناء العمل

شكل (٢٤) عينات من وحدات الزخارف العربية في النسيج

الأسم	الشكل
١- عينة من الزخارف المأخوذة من (الحمل) وتظهر الوحدة الزخرفية المسماه (أبراج) وهي مثلثات داخلها مثلثات صغيرة ، وتنتج سالب وموجب أي مرة زرقاء ومرة حمراء.	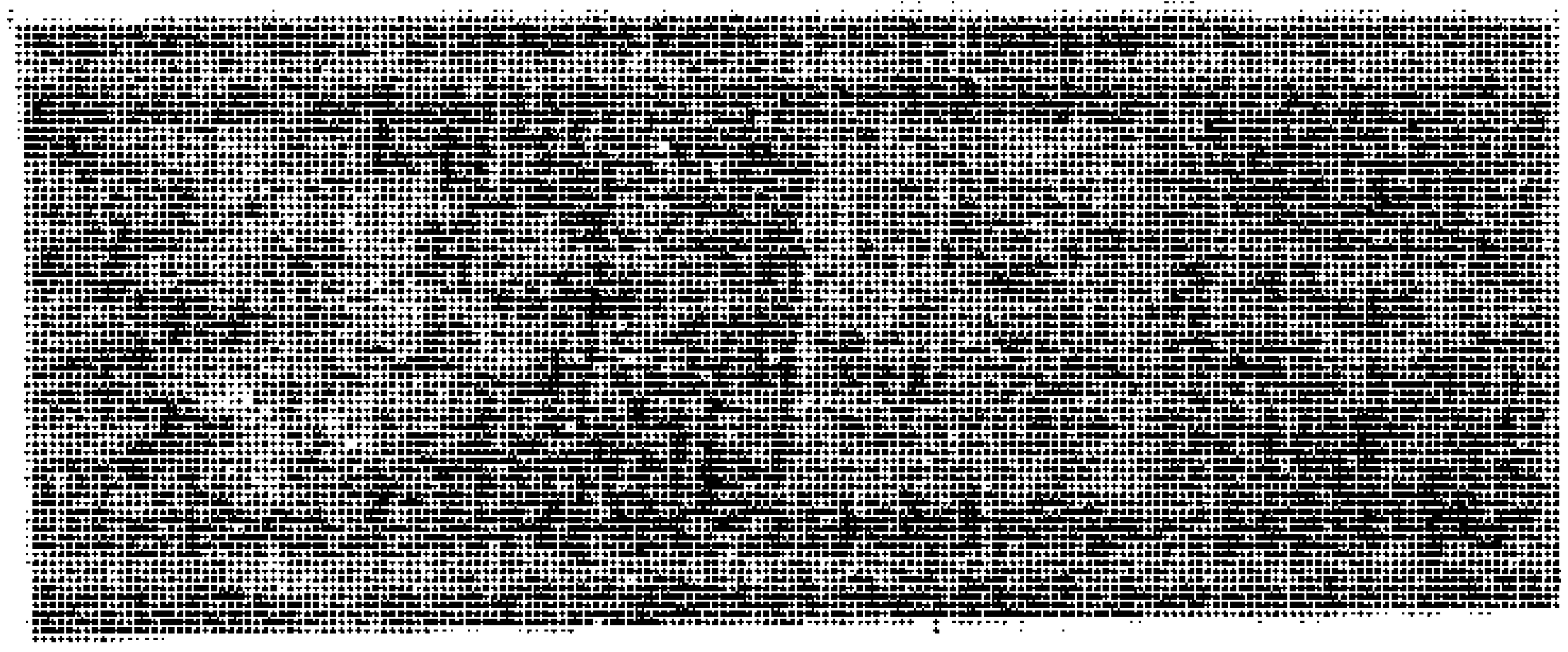
٢- عينة ثانية لزخارف (الحمل) التي تسمى (معورج) ومن الممكن أن تنسج سالب وموجب بين الأزرق والأحمر.	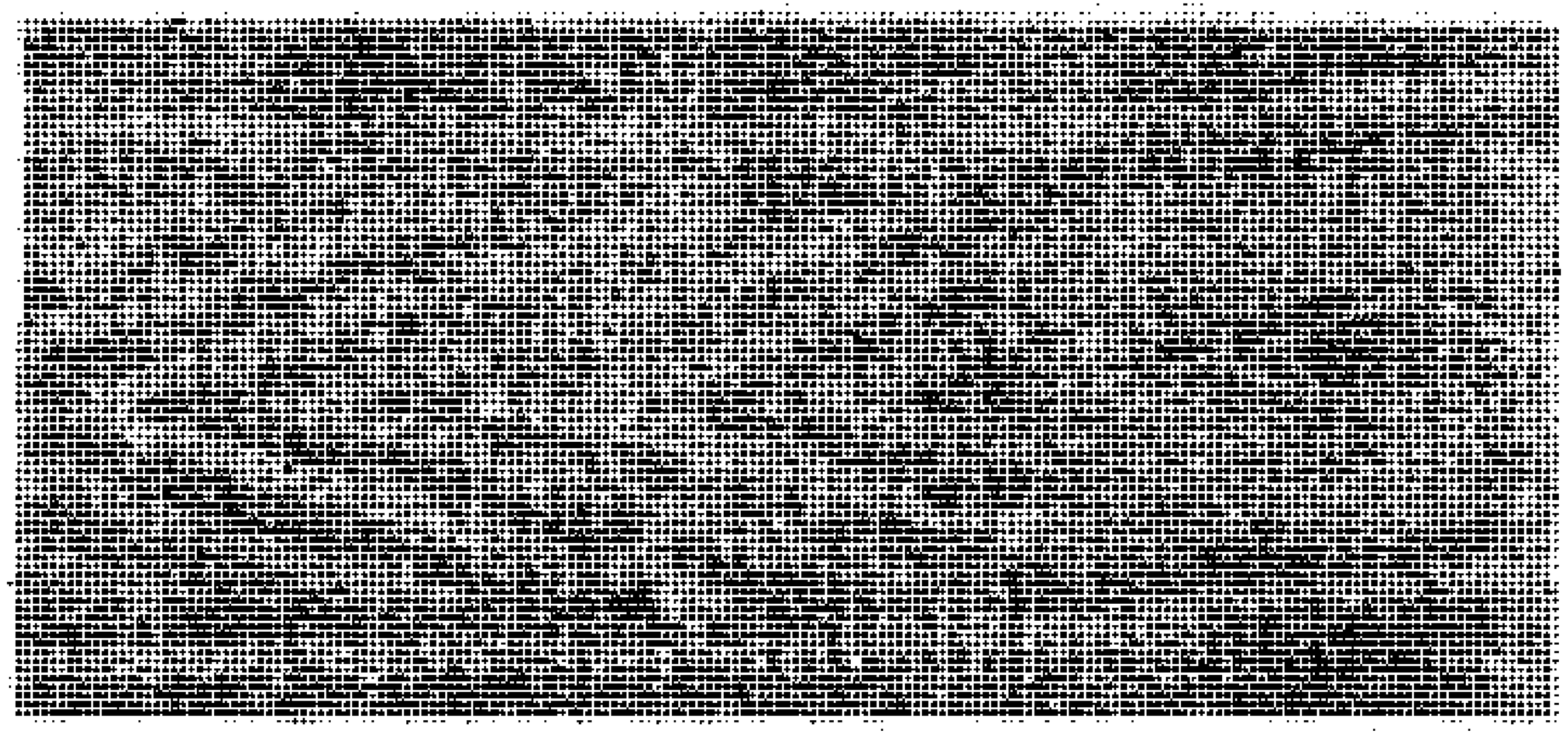
٣- عينة من زخارف (فراش اللبش) أي الفرشة التي يوضع فوقها الحمل وباقي الفرش ويلاحظ سهولة الزخرفة وتساعها وبساطتها واستمرارية تكرارها.	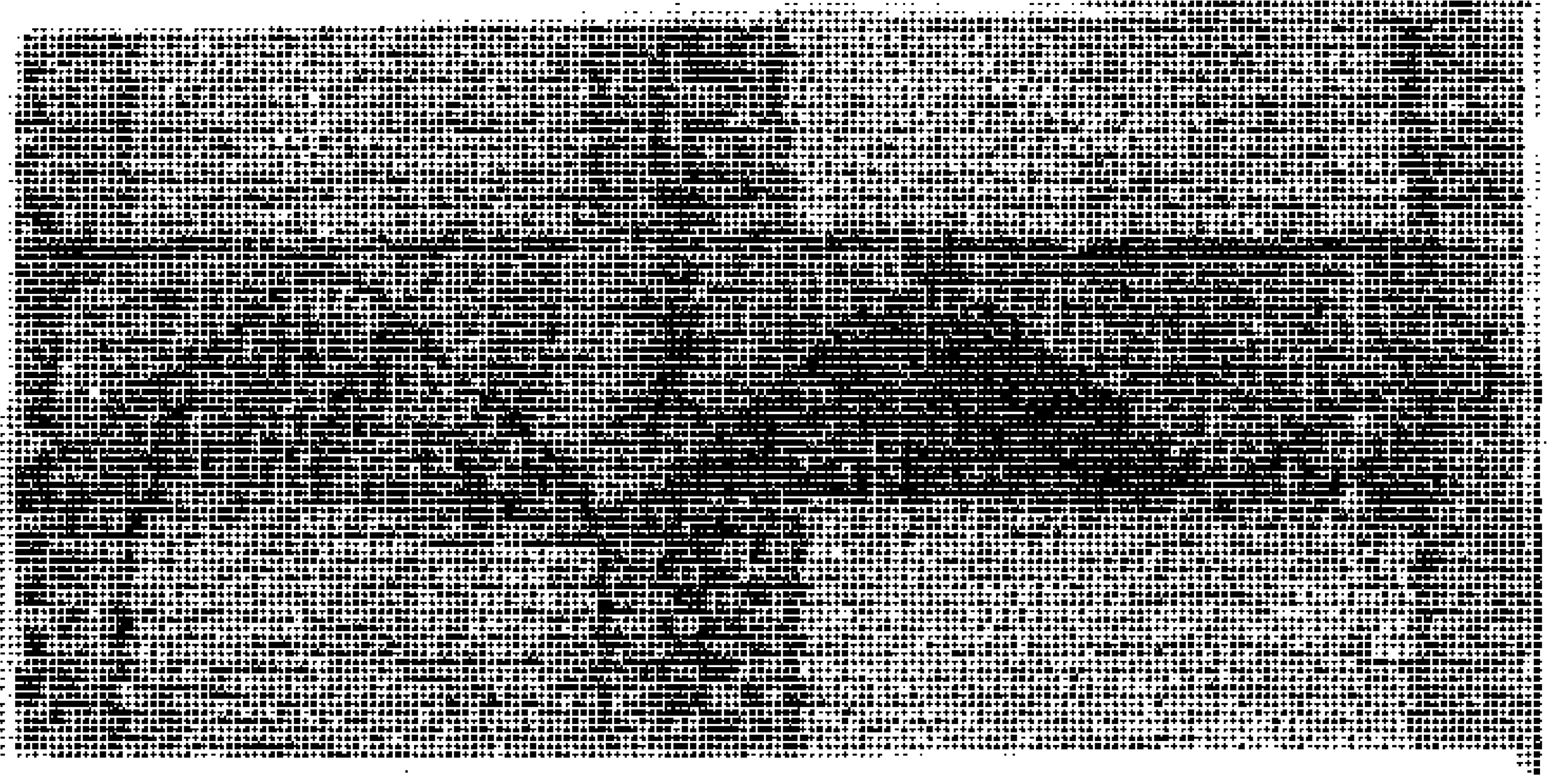

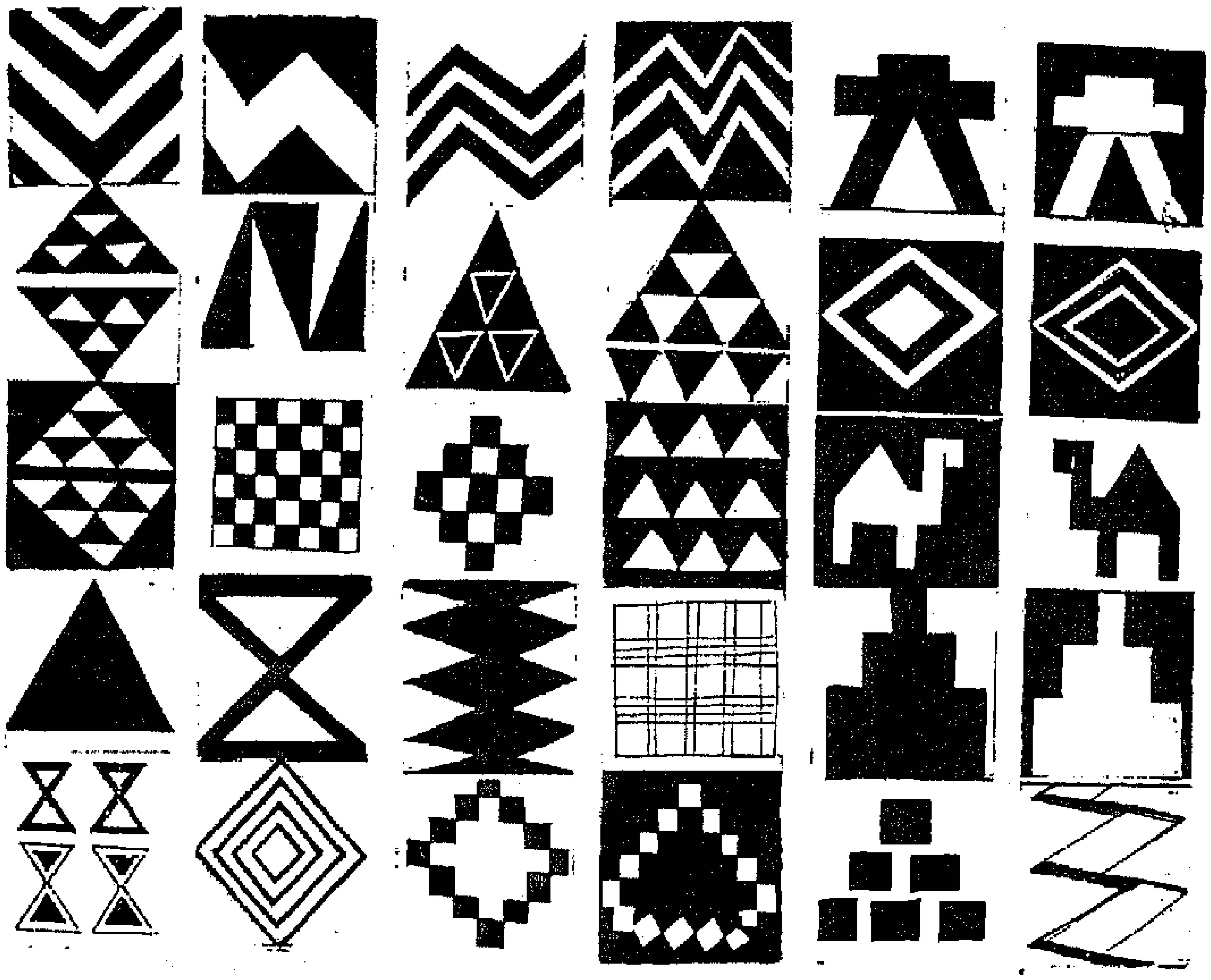

شكل (٢٥) صورة من تخريج الوحدات الزخرفية للنسيج العربي تظهر بها وحدات الجمال والعرايس والصبعين ، والأبراج وغيرها (وهي جزء من دراسة عبد العظيم الفرجاني وسعاد عامر) (١٤)

وكلما كانت الزخارف دقيقة زادت قيمة النسيج وهي تظهر في (الحمل) وهو أهم الأغطية العربية قديماً ، وهو شيخها ، لدرجة أنه كان يمكن تقديمه كمهر للعروس دون شيء غيره.

١٠- أنواع المنسوجات :

أهم المنسوجات كما قلنا الحمل ثم الخيمة أو بيت الشعر وفراش الدبش ، والبطانية ، والحوية ، والمخلاية ، والمرشحة ، والبساط ، وأقل المصنوعات من الصوف هي الدكة والطاقية للرجال والعقوص للسيدات.

أ- الحمل :

وهو كليم متسع من النسيج المصنوع من الغزل اليدوي للصوف ، ويتكون من أربعة شرائح متلاصقة الواحدة منها بطول ٥ أمتار وبعرض متر واحد ، وبذلك فإن الحمل يصل إلى ٢٠ متراً مربعاً في مساحته الاجمالية ، وتكون زخارفه في خطوط طولية بطول الحمل ، ومكونة من وحدات زخرفية بسيطة للأشكال الهندسية وبعض الحيوانات أو الاشكال البسيطة التي تصلح للنسيج ومأخوذة من اهتمامات البدوي مثل النجوم الخماسية أو الابل ، ويستخدم الحمل كفراش أو غطاء أو لجسم الخيمة ، وهو أهم المنسوجات اليدوية على الاطلاق.

ب- فراش الدبش :

وهو كليم مستطيل طوله من ٣ إلى ٤ متر ، وعرضه متر واحد ، ويستخدم كملاية أو مفرش لجميع الأغطية البدوية حيث يوضع على مصطبة مستطيلة ترتب فوقها الحمول والبطاطين والحوايا أو المخدات ، ويتكون من وحدات زخرفية أبسط تصميماً وأكبر حجماً من زخارف الحمل ، أما الالوان في جميع النسيج البدوي فترتكز على الأحمر والأزرق كأساس بالاضافة إلى ألوان قليلة أخرى من الأبيض والبني والأخضر والأصفر.

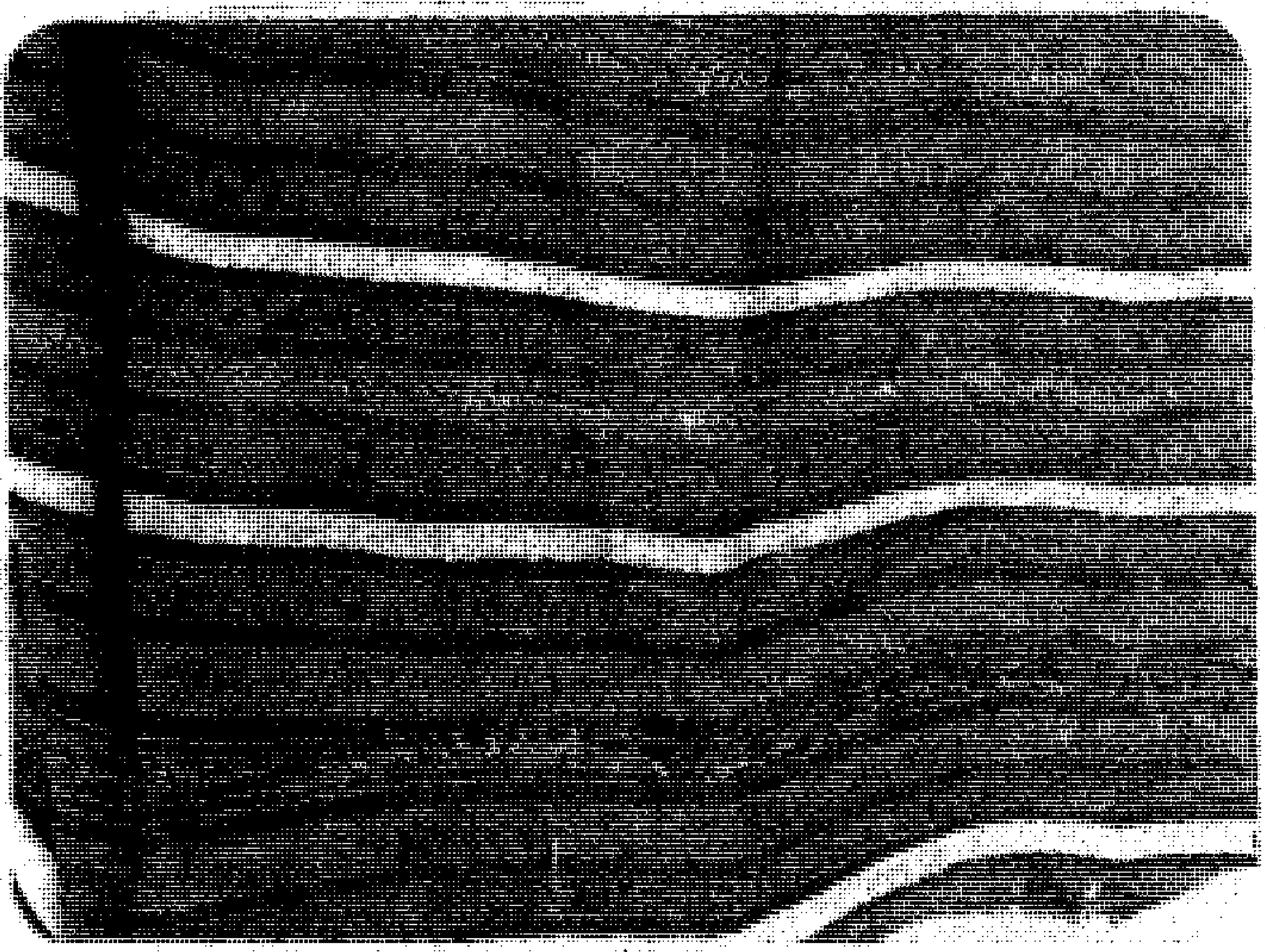

شكل (٢٦) صورة من النسيج البدوي المسمى (الجمْل) لاحظ أنه قديم ومليء بالزخارف الدقيقة ويغلب عليه اللون الأحمر

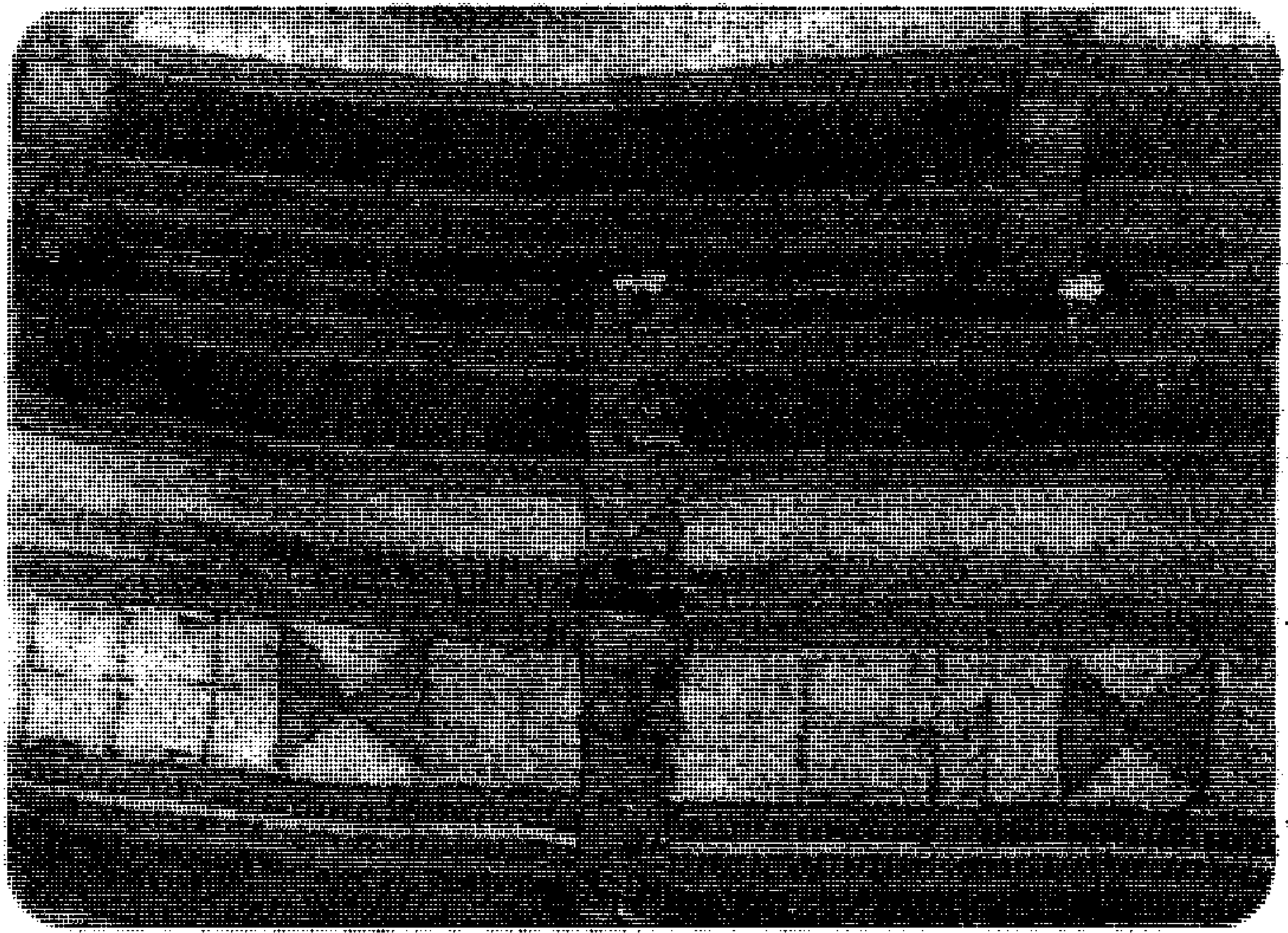

شكل (٢٧) صورة من النسيج البدوي المسمى (فراش الدبش) لاحظ أنه أقل زخرفة من (الحمل) ، فالحمل لدى العرب هو سيد النسيج كما أن (الكردل) لديهم هو سيد الحليّ.

وقد أفادت البدويتان اللتان قابلهما المؤلف وهما (هنية عبد ا لله) و (جميعة منصور) بمعلومات هامة للغاية فيما يتعلق بالنسيج البدوي ، وفيما يلي أهم هذه المعلومات :

١- لاتوجد حالياً الصبغات الأصلية الأحمر (الدويدة) ، والأزرق (النيلة) ، وكانت تأتي على هيئة كتل صغيرة جافه مثل (الكشك) داخل علب معدنية.

٢- أهم نوعيات النسيج هي (الحمل) الذي يصل طوله إلى ٤ × ٥ متر وينسج على هيئة أربع شرائح طولية ، وطول الواحدة (٥) متر ، وعرضها (١) متر ثم يتم خياطتها وتوصيلها متجاورة مع بعضها.

٣- (الحمل) أنواع يستخدم أحياناً كفراش للأرض في الخيمة وأحياناً كغطاء ، وأحياناً تصنع منه الخيمة نفسها ، وربما يستخدم (الحمل) كعلاج للدوخة عند الغطاء به وخاصة إذا كانت بعض زخارفه من وبر الجمال ، وقد كان مهراً للعرائس.

٤- الزخارف المزينة للحمل يسمونها (حجابات) أي مثلثات ، و(عرائس) أي نجوم ، وكل وحدة زخرفية كان لها اسمها الخاص ، (امعورج) و (انقيز) و (ابراج) وغيرها.

٥- وغير الحمل من النسيج يوجد (فراش الدبش) ، والدبش عندهم هو مجموعة الأغطية والبطاطين ترتب كل صباح على مصطبة مرتفعة مفروشة بقطعة نسيج تسمى بهذا الاسم.

٦- تدخل المشغولات النسجية في تزيين (شواغل) أي براذع الابل و(مخلايات) أي حقائب لغذاء الخيول ، وأشياء كثيرة غيرها.

٧- تقريباً اندثرت هذه الصناعة الهامة بعد الانفتاح على العالم وسفر البدوي واستعماله للأغطية الحديثة وتنقله بالسيارات.

ملاحظات على النسيج البدوي :

تميز إلنسيج البدوي فوق متانته وقوة تحمله وثقل وزنه بما يلي :

١- الألوان الصريحة القوية التي يغلب عليها اللونين (الأحمر والأزرق) ثم اللونين الأبيض والأوكر (بني مائل للصفرة بلون وبر الابل) ، ويمكن أن تدخل بعض الألوان الأخرى بنسبة لاتزيد عن ٥٪ من مساحة الحمل مثل الأخضر أو الأصفر.

٢- الخطوط طولية ممتدة طولياً وعرض الخط حوالي ١٥ سم بطول الحمل كله ٥متر ، وبعض هذه الخطوط بألوان صريحة تفصلها خطوطاً مليئة بالزخارف ونسج الخط الطولي على فرعين من خيوط السدا حتى لاتحدث فجوة في النسيج.

٣- الزخارف المستخدمة غنية ومتنوعة ولاحدود لها بل يصعب حصرها وإن كانت تنتمي للهندسيات (مثلث / معين / مثلثات متقابلة بالرأس / زقزاق / مربعات موصلة الاقطار / نجوم خماسية).

٤- الاعتماد في الزخارف على استخدام السالب والموجب بين اللونين الأحمر والأزرق وغالبية الزخارف تتكرر مرتين بواقع مرة لكل لون أي اعتماد أسلوب التكرار الثنائي للوحدة الزخرفية.

٥- جميع أساليب النسيج من النوع البسيط ١/١ أو ١/٢ وأحياناً ١/٣ ؛ أي فتلة فوق فتلة أو فتلتان فوق فتلة ، أو ثلاث فتلات فوق فتلة.

صناعة الحليّ العربي

الزخرفة اتجاه اصيل في الحياة العربية تظهر في الخيل المسوّمة والسيوف المرصّعة وزخارف الوشم ، وبدائع النسيج وغيرها وقد تنبه الصانع لهذه الهوية وانعكست الزخرفة على الحلي الذي يستخدمه العرب ، وأهم الحلي البدوي من الذهب والقليل منه من الفضة ، وإذا كان (الجمل) هو شيخ النسيج فإن (الكردل) هو شيخ الحليّ ، وغير الكردل هناك السوار أو الدملج والشناف الذي يركب على الأنف والحلق والسنيبلة والزيتونة والفرعة والمزنقة وغيرها مما نوضحه فيما يلي :

أ - الكردل :

عقد من الذهب يتكون من هلال يتجه للأسفل وعدة قرون ، والقرن وزنه ٣ جرام تقريباً وطوله ٢,٥سم وينتهي بفطفاطة وهي دائرة في مساحة قطعة صغيرة من النقود المعدنية ويثبت الكردل على شريط من القماش الأصفر ، وهو أهم قطع الحلي العربية على الاطلاق ، ولايوجد إلا لدى الاغنياء فقط من بنات شيوخ القبائل.

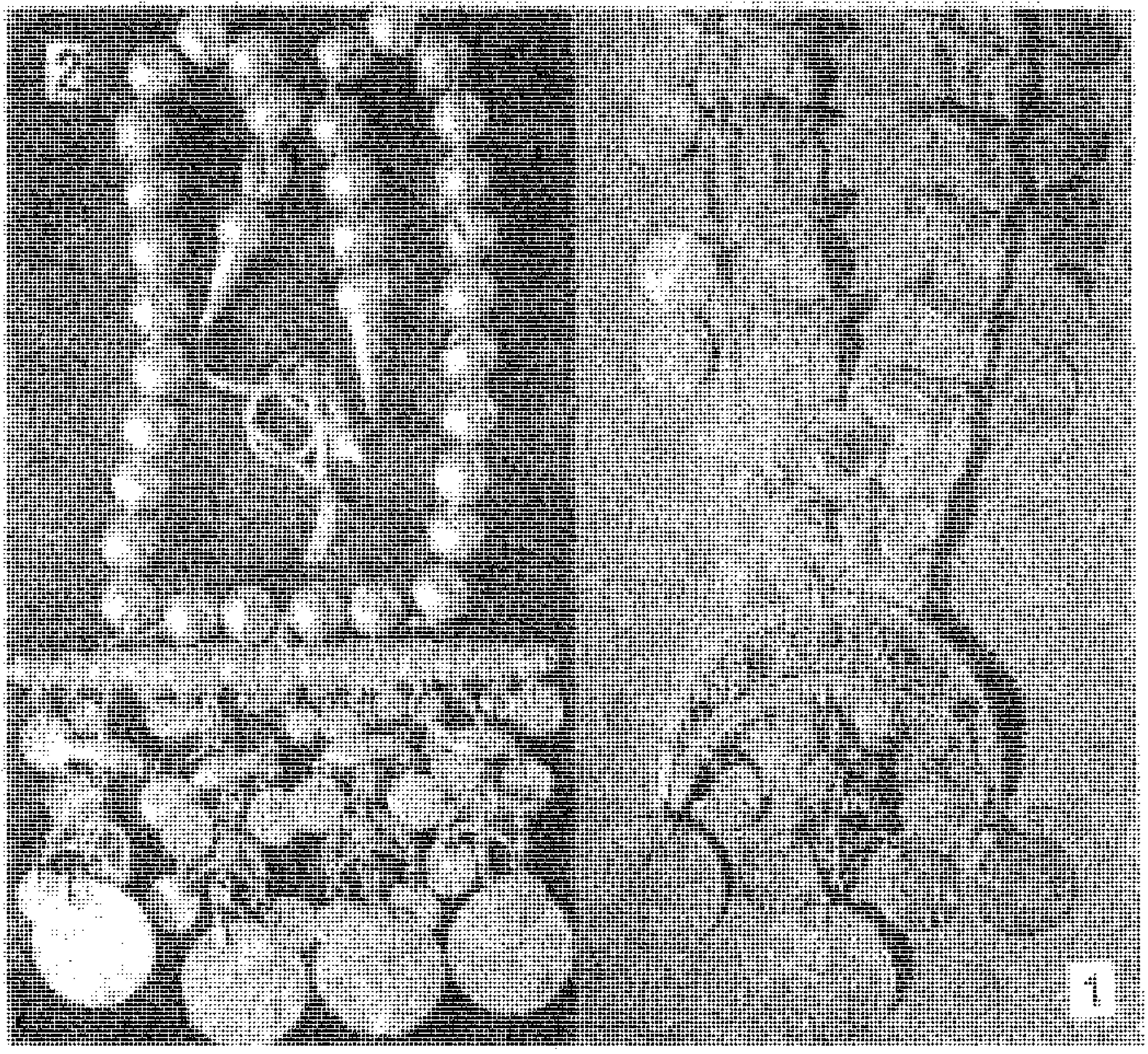

شكل (٢٨) صورتان للحلي البدوي المصنوع من الذهب الأولى رقم (١) (كردل مكون من هلال وفرج الله وقرون) والثانية رقم (٢) (سبحة مكونة من مقصل بأربع حيتان و٣٣ حبة وشاهدان).

شكل (٢٩) سيدة عربية تقوم بتركيب هلال الكردل والقرون على شريط من القماش الأصفر الذهبي

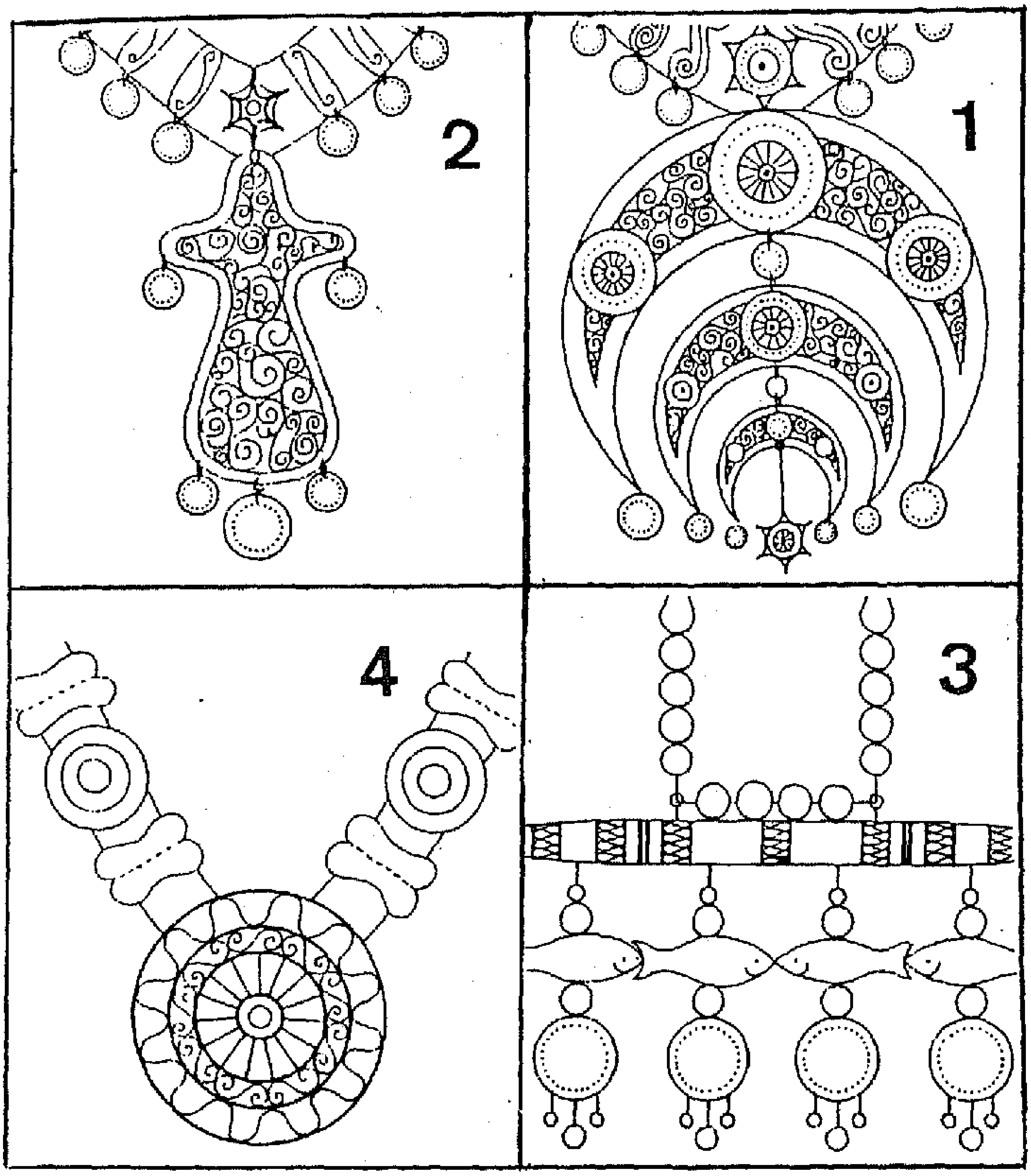

شكل (٣٠) من أنواع الحلي العربي في مصر (١) هلال الكردل.
(٢) عروس السنيلة (مصغر سنبلة). (٣) مقصل السبحة. (٤) المزنقة

ب - الدملج :

وهو سوار من الذهب أو الفضة مفتوح من جانب واحد وله ثلاث فصوص بارزة وزخارف هندسية غائرة.

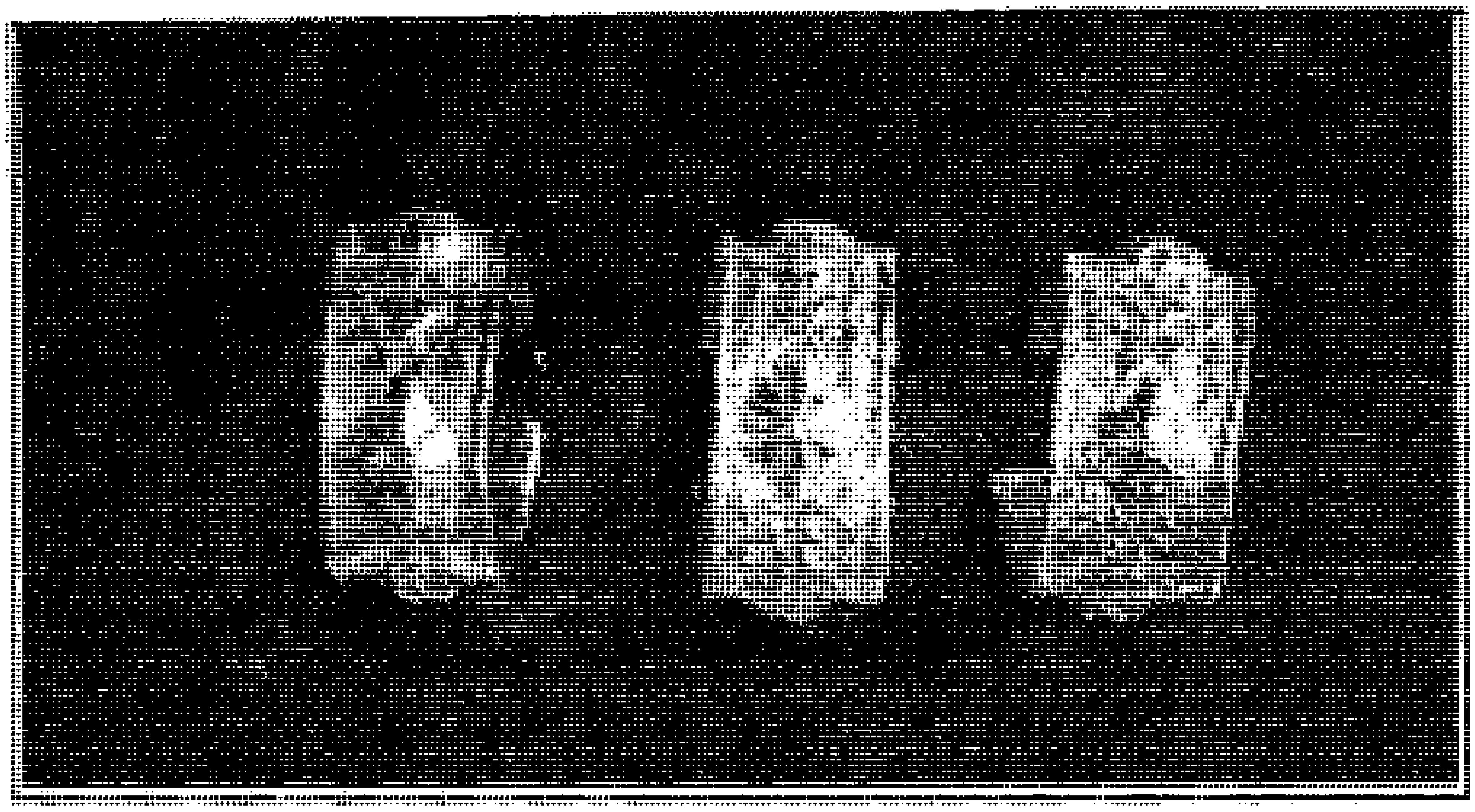

شكل (٣١) صورة لثلاثة أساور ذهبية ، وكل سوار به ثلاثة فصوص وزخرفة اسلامية يسمى (الدملج)

ج - اهم المصطلحات المستخدمة في مكونات الحلي البدوية ما يلي :

(مَقْصل) (صُرَة) (فرجللة) (فطفاطة) (مخرطة) (فص) (سبحة) (قرن) (اشناف) (ذبلة) (مقرن).

وقد لوحظ أن المشغولات الذهبية والفضية التي تتزين بها البدويات مصنعة خصيصاً للبيئة البدوية ، ولكن بمعرفة صناع ليسوا من البدو ، ولاتوجد تلك الحلي التي تتميز بالتجسيم في أطرافها من النوع الذي يحدث صوتاً عند الحركة ، وهو الذي يوجد بمناطق بدوية أخرى في سيناء وغيرها ، أما الحلي لدى العرب بالصحراء الغربية ، فمعظمها مسطح الاطراف وأصواتها خافتة وهادئة وقد تقابل المؤلف بسيدة من البدويات من الأغنياء اللائي لديهن الكثير من الحلي وخرج من هذه المقابلة بما يلي :

١- الحلي البدوية إما من الذهب أو الفضة ولايعترفون بالقشرة أو المعادن الأخرى في صناعة الحلي ، كما أن هناك بعض العقود من العقيق والاحجار الثمينة ممن توارثنه عن جداتهن ومما يصل في قيمته لدى البدو لدرجة التداوي بهذا العقيق فيقولون لشفاء (وجع الرقبة) أو المداواة (للبذلة) أو رمد العيون.

٢- أهم أنواع الحلي البدوي يسمى (الكردل) وهو عقد ذو هلال أو أكثر من الأسفل وعدة (قرون) فوقه مثبتة على قماش أصفر ، و (السنيبلة) ، و (المزنقة) وهي مثل الكردل ولكنها أصغر وقريبة من الرقبة ، و (الدملج) وهو سوار يلبس في المعصمين.

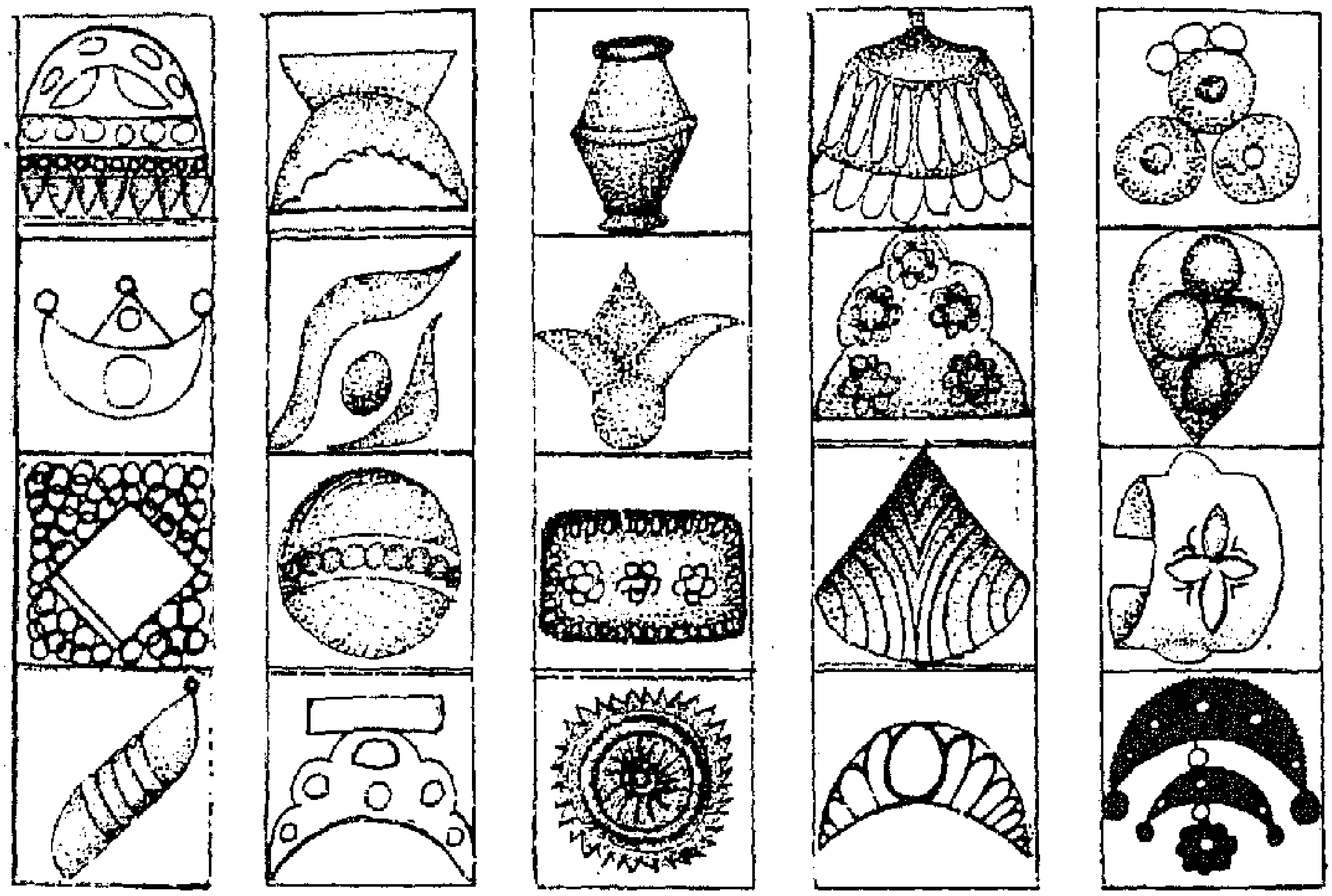

شكل (٣٢) صورة من تخريج الوحدات الزخرفية المكونة للحلي العربي ، انظر إلى وحدات الهلال والنجمة والقرن (وهي جزء من دراسة عبد العظيم الفرجاني وسعاد عامر) (١٤)

وهكذا يتضح من أول وهلة أن الحلي لدى قبائل العرب في مصر غني بزخارفه ومتنوع في تصميماته ، ويشكل أحد الروافد التي يمكن أن تغذي الإبداع الفني وتسمه بسمات مميزة.

الملاحق

الملاحــق

هذه مجموعة من الملاحق التي تبين حركة القبائل العربية قبل الإسلام وبعده وهي كما يلي :

١- القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.
٢- توزيع القبائل قبل الإسلام.
٣- أهم مواقع غزوات الرسول صلى ا لله عليه وسلم.
٤- سفراء الرسول صلى ا لله عليه وسلم لتبليغ الدعوة الإسلامية.
٥- رسالة الرسول صلى ا لله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي.
٦- اتساع الدولة الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين.
٧- اتساع الدولة الإسلامية في عهد بني أميه.

القبائل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

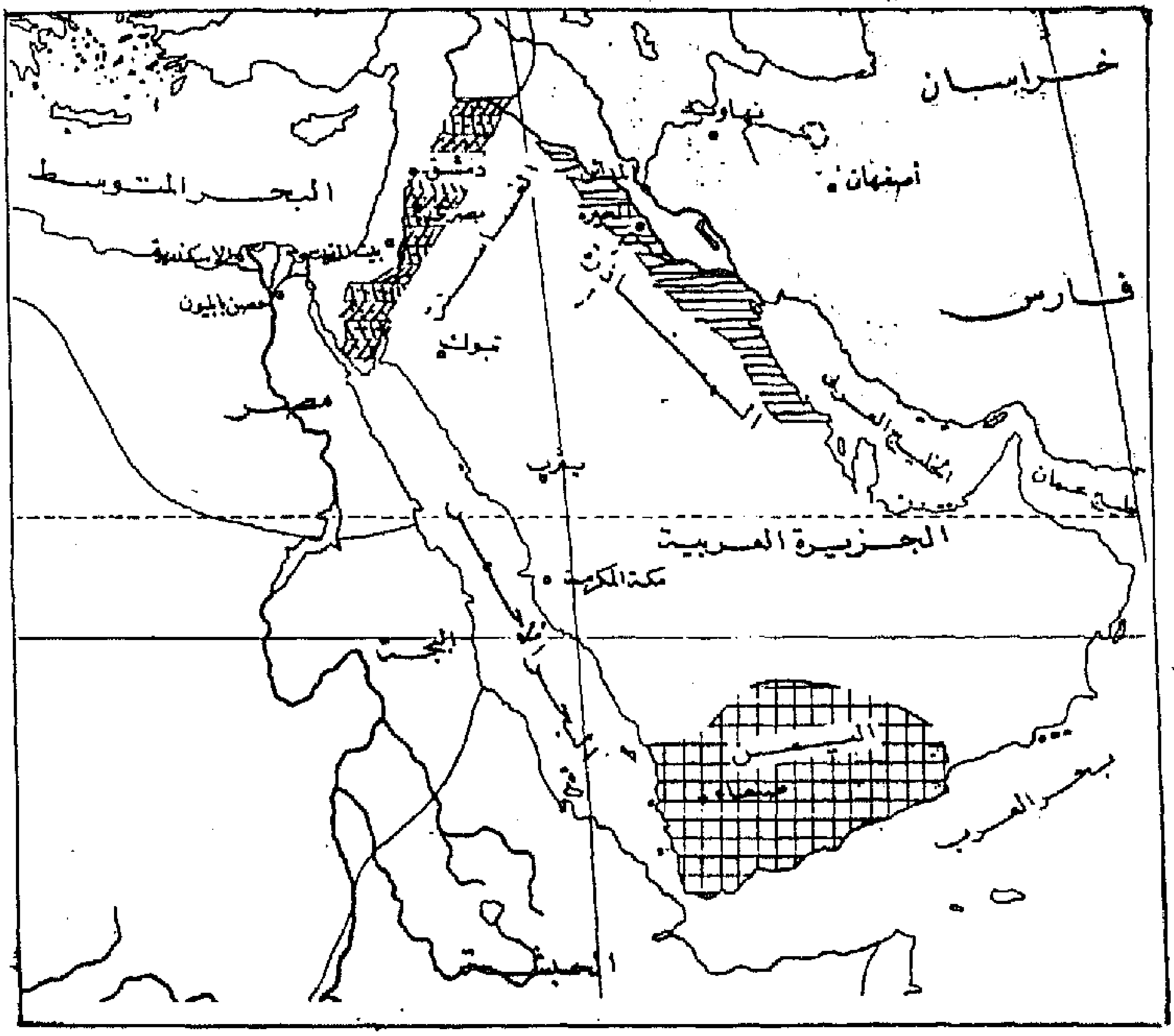

توزيـع القبـائـل قبل الإسـلام

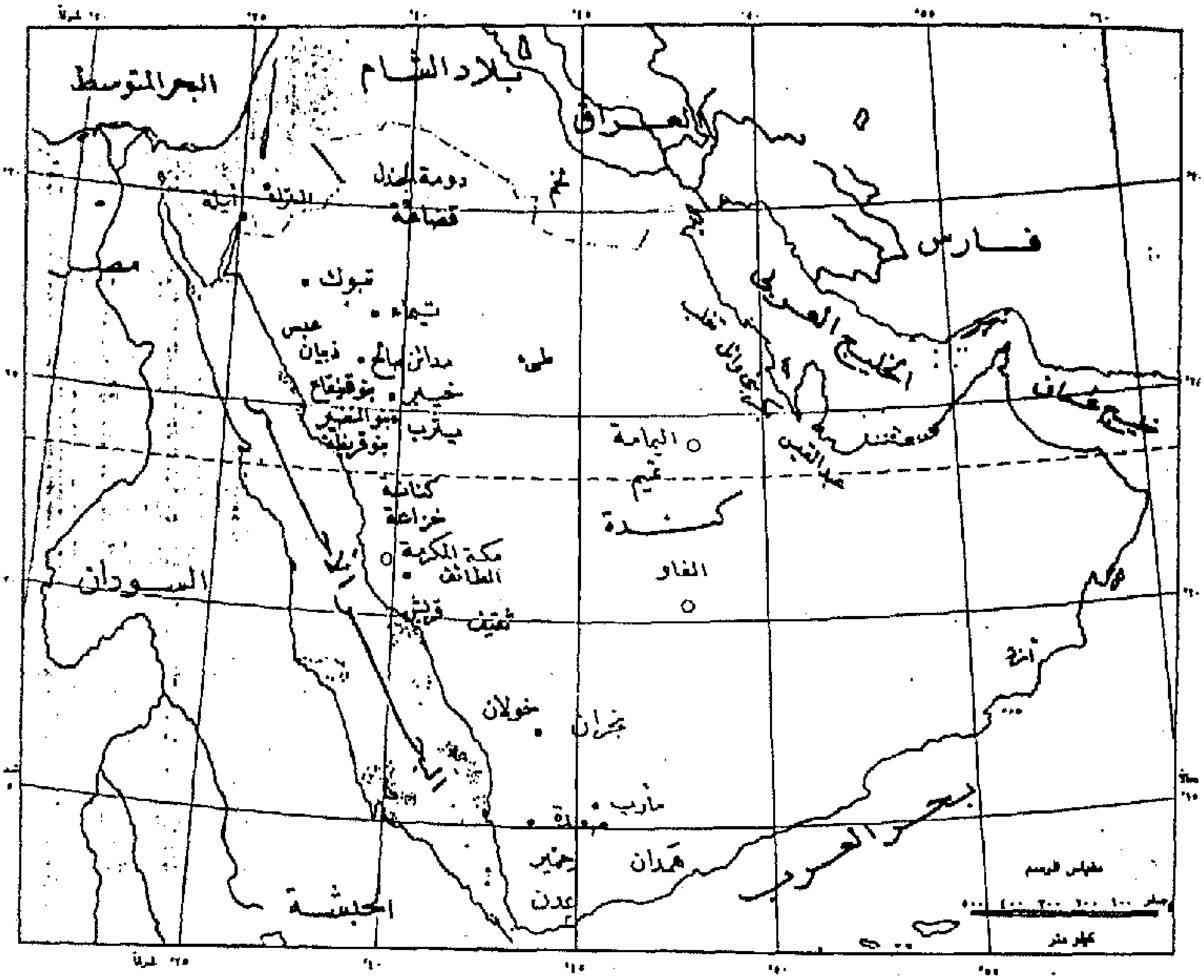

أهم مواقع غزوات الرسول ﷺ

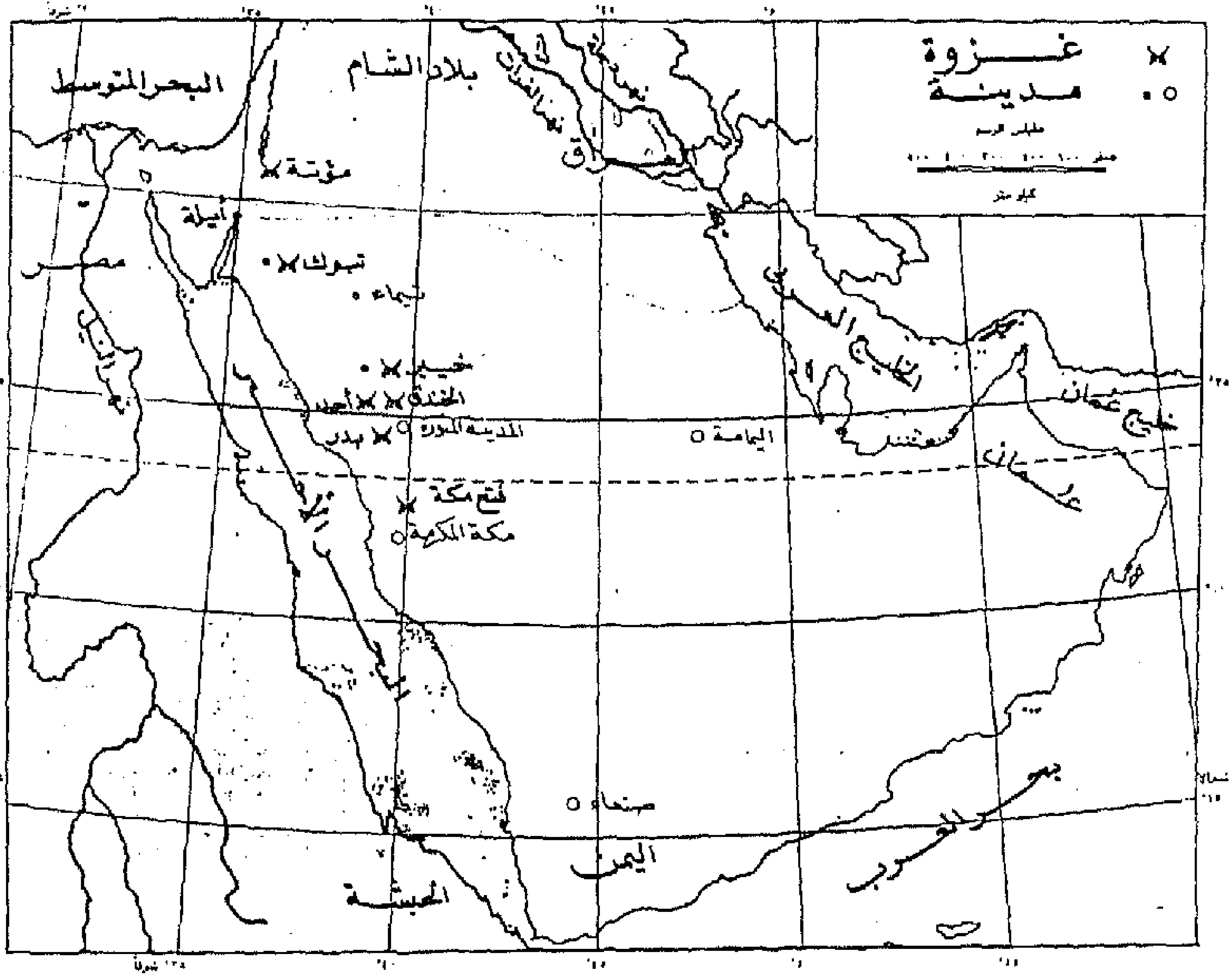

سفراء الرسول ﷺ لتبليغ الدعوة الإسلامية داخل وخارج شبه الجزيرة العربية

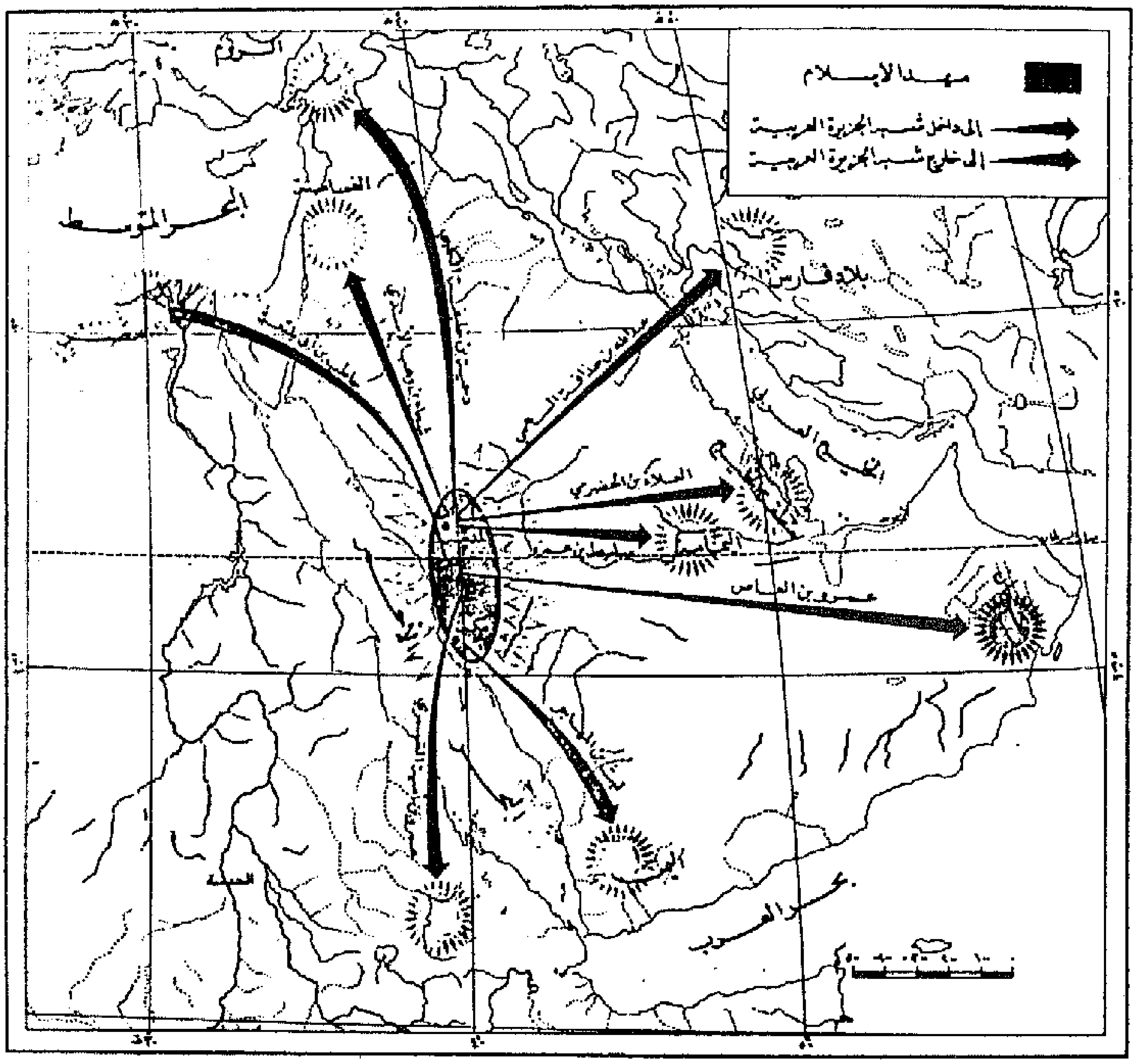

رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي

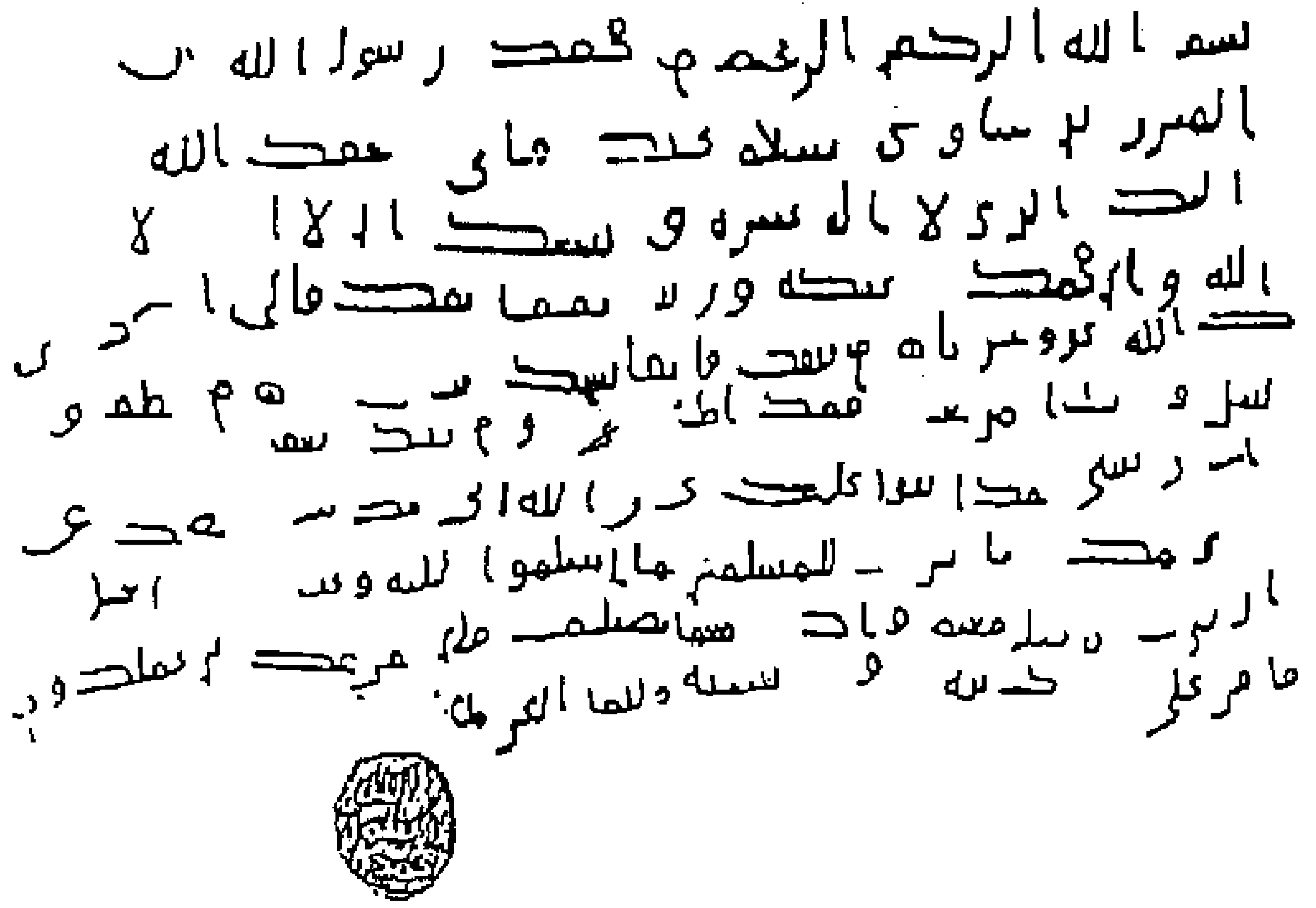

اتساع الدولة الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين

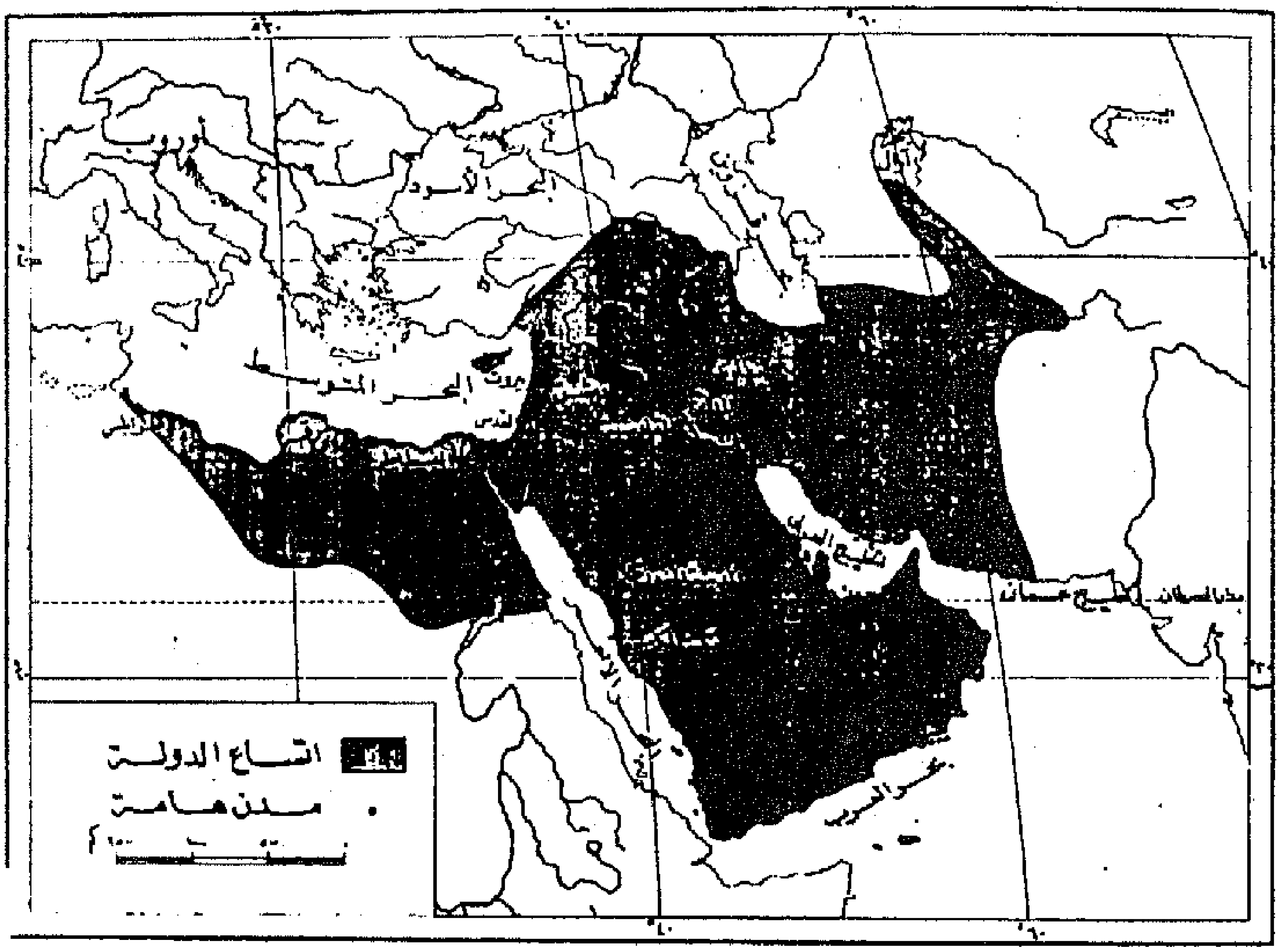

اتساع الدولة الإسلامية في عهد بني أمية

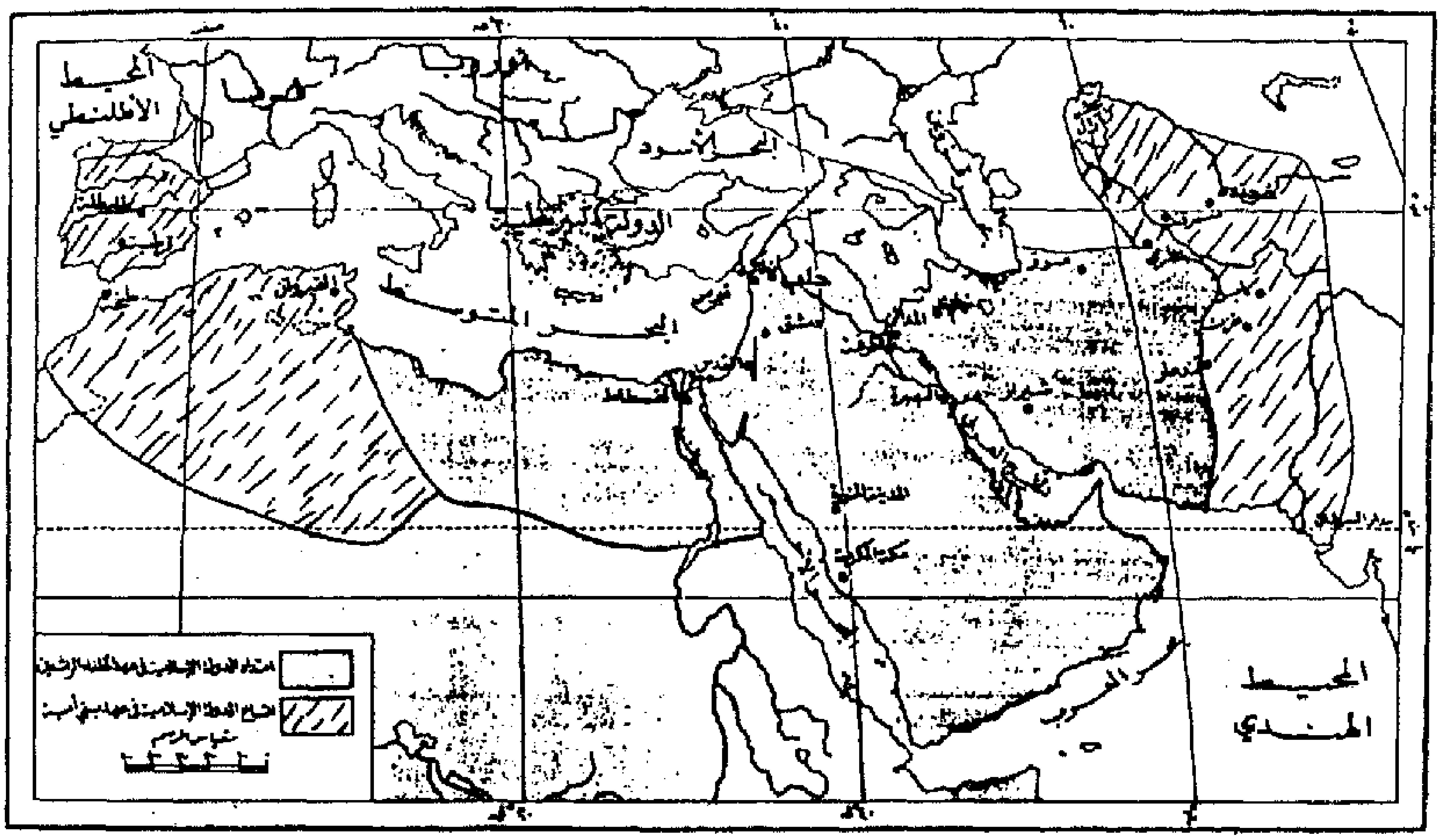

المراجع

المراجــــع

١ - القرآن الكريم.

٢ - أ.ف. جوفييه : الصحراء ، ترجمة أحمد كمال يونس ، مشروع الألف كتاب ، العدد ١١٧ ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧.

٣ - وزارة التربية والتعليم : الاطلس القطري الجغرافي والتاريخي ، دولة قطر ، الدوحة ، ١٩٩٣.

٤ - الاطلس القطري ، دولة قطر ، الدوحة ، ١٩٨٩.

٥ - سام وبريل إشتين : كل شيء عن الصحراء ، ترجمة مصطفى بدران ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩.

٦ - سعد الخادم : معالم فنوننا الشعبية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧.

٧ - محمد بن سلمان التويجري : "النخلة في بلاد العرب" ، مجلة اليمامة السعودية ، ١٩٩٦.

٨ - صلاح مصطفى الفوال : البداوة العربية والتنمية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧.

٩ - صلاح مصطفى الفوال : تنمية المجتمعات الصحراوية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨.

١٠- عبد الجليل الطاهر : البدو والعشائر في البلاد العربية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤.

١١- عبد العزيز طريح : جغرافية مصر ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٠.

١٢- عبد العظيم عبد السلام الفرجاني : وسائل تعليم التربية الفنية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥.

١٣- ______________ : "قطوف من تراث القبائل العربية المصرية" ، محاضرة مسجلة للبرنامج الثقافي بجامعة قطر ، الدوحة ، ١٩٨٥.

١٤- عبد العظيم الفرجاني وسعاد حسن عامر : الإمكانات التعليمية للتراث الفني البدوي في محافظة المنيا ، مؤتمر كليات التربية وتنمية المجتمع ، جامعة المنيا ١٩٩٣.

١٥- ______________ : "تطبيق أسلوب الهايبرميديا كمدخل لحل اشكالية تدريس التراث الفني القطري ، ندوة الابتكار ، جامعة قطر ، مارس ١٩٩٦م.

١٦- علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر العرب في ريف مصر وصحراواتها ، ترجمة زهير الشايب ، الجزء الثاني ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٨٠.

١٧- محمود البسيوني : الثقافة الفنية وآلتربية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠.

١٨- حسين مؤنس : وثائق الموحدين والمرابطين ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٧.

١٩- عياد موسى العوامي : أغاني العلم دراسة في الأدب الشعبي ، دار الكتاب والتوزيع ، (ط٢) ، ١٩٨١.

٢٠- طلال عثمان المزعل السعيد : الشعر النبطي أصوله ، فنونه ، تطوره ، الكويت ، ذات السلاسل ، ١٩٨١.

٢١- الزوزني : شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩٤.

٢٢- نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩١٦.

٢٣- حمد الجاسر : معجم قبائل العرب في الجزيرة العربية.

٢٤- عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية فى مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤.

٢٥- عمر رضا كحاله : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،

٢٦- مكي الجميل : البدو والبداوة في البلاد العربية ،

٢٧- أحمد لطفي السيد : قبائل العرب فى مصر.

٢٨- المقريزي : البيان والاعراب عمّن بأرض مصر من الأعراب.

٢٩- حمد بن إبراهيم الحقيل : كنز الانساب ومجمع الأداب ،

٣٠- رفعت الجوهري : شاطيء الاحلام - اسرار من الصحراء الغربية ،

٣١- أحمد محمد حسنين : في صحراء ليبيا.

٣٢- محمد رجب الزائدي : قبائل العرب في ليبيا.

٣٣- حسين فوزي : (فذلكة المرابطون الملثمون) مقال بجريدة الأهرام ، القاهرة، ١٩٧١/١٠/١.

٣٤- عبد الحليم منتصر ، ومحمد عبد الفتاح القصاص : صحاري مصر.

٣٥- نقولا زيادة : محاضرات في تاريخ ليبيا ، مذكرة جامعية ، معهد الدراسات العربية العالية.

٣٦- عاطف النمر : تحقيق صحفي عن الجمل سفينة الصحراء ، جريدة الشرق القطرية ، الدوحة ، ١٩٩٧.

٣٧- ابن القيم الجوزية : زاد المعاد ... ، بيروت ، مكتبة المنار ، جزء ٢، ١٩٨٥.

٣٨- جمال بدوي : برنامج تليفزيوني عن مصر ، القاهرة ، حلقة الأربعاء ١٩٩٣/١١/٩.

٣٩- اوجلن بولسمر : اسلافنا العرب ، ترجمة محمد الفالج ، وزارة الثقافة السورية، دمشق ، ١٩٨١.

٤٠- ايمان محمد عبد المنعم : " العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن السابع عشر " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٧.

٤١- المرابطون : مجلة علمية تصدر عن معهد العلوم الاسلامية والعربية بموريتانيا، نواكشوط ، ١٩٩٧.

٤٢- ر . ب . ديكسون : عرب الصحراء ترجمة ونشر دار الفكر المعاصر بسوريا، دمشق ، ١٩٩٧.

٤٣- عطية قابل نصر : علم التجويد ، مذكرات بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٩٨٢.

٤٤- البغوي : شرح السنه الجزء (٤) ، ص٣٧٣.

تعريف بالمؤلف :

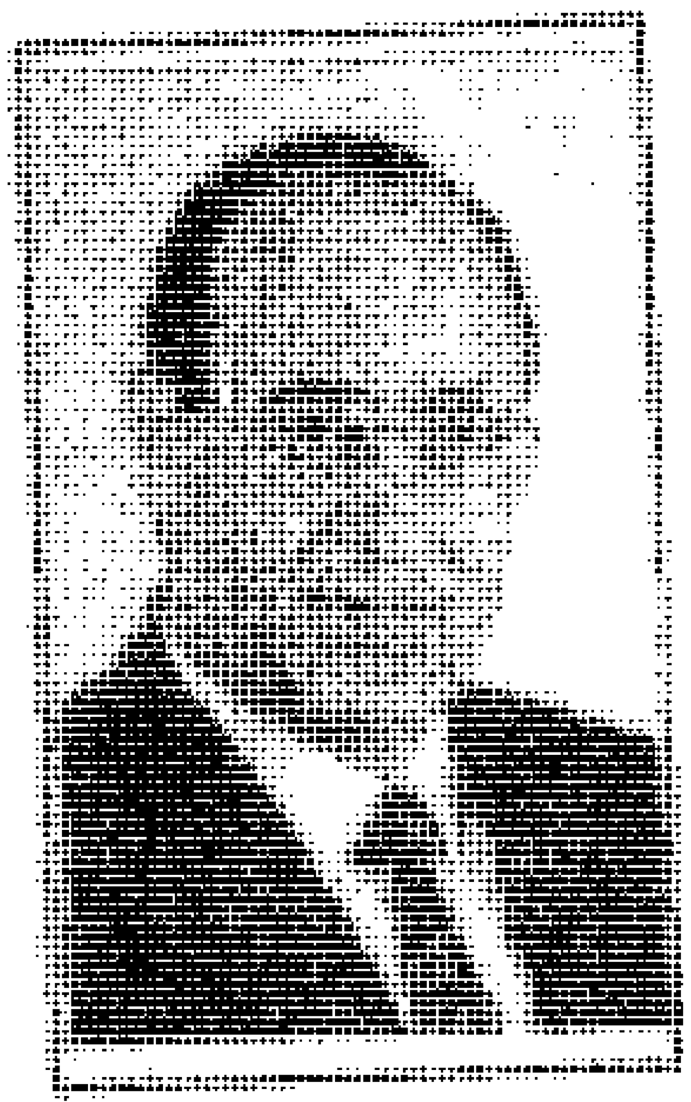

- الدكتور/ عبد العظيم عبد السلام عبد الله الفرجاني.
- أستاذ تكنولوجيا التعليم بكليتي التربية بجامعتي المنيا وقطر.
- حصل على بكالوريوس الفنون والتربية عام ١٩٧٠ بتقدير ممتاز.
- كُلف معيداً بقسم التربية بكلية التربية الفنية جامعة حلوان فور تخرجه.
- حصل على الماجستير في تكنولوجيا التعليم عام ١٩٧٧.
- حصل على الدكتوراه في تكنولوجيا التعليم عام ١٩٨١.
- رُقي إلى درجة أستاذ مساعد تكنولوجيا التعليم بجامعة قطر في مارس ١٩٨٨.
- رُقي إلى درجة أستاذ مساعد تكنولوجيا التعليم بجامعة المنيا في يونيو ١٩٨٨.
- رُقي إلى درجة أستاذ تكنولوجيا التعليم بجامعة المنيا عام ١٩٩٣.
- رئيس قسم تكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة المنيا من عام ١٩٨٨ إلى ١٩٩٤.
- رئيس قسم تكنولوجيا التعليم بكلية التربية النوعية بالمنيا من عام ١٩٩١ إلى ١٩٩٤.
- أُعير إلى قسم تكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة قطر من عام ١٩٩٤.
- رئيس قسم تكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة قطر من نوفمبر ١٩٩٦.
- شارك في أعمال أقسام تكنولوجيا التعليم بجامعات حلوان والمنيا وقطر.
- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في تخصص تكنولوجيا التعليم.
- شارك في مناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في تخصص تكنولوجيا التعليم.
- له أكثر من عشرين بحثاً منشوراً في مجالات تكنولوجيا التعليم.
- له خمسة كتب منشورة في مجالات تخصص تكنولوجيا التعليم.
- كتب المقال الصحفي الأسبوعي حول الفن وتكنولوجيا التعليم ثلاث سنوات بجريدة الشباب العربي بالقاهرة.
- عضو عامل بنقابة الفنانين التشكيليين بالقاهرة.
- عضو الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم.
- عضو مجلس إدارة مركز تكنولوجيا التعليم بجامعة المنيا.
- شارك في بحثين علميين نشرا في مؤتمرين عن فنون القبائل العربية في مصر وقطر.

رقم الإيداع ٩٧/١١٣٦٩
I. S. B. N 977-215-243-6

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب مجموعة من الدراسات حول قبائل العرب في مصر تتناول أصول هذه القبائل ودور الاسلام وفضله على العرب ثم النزوح إلى مصر التي احتضنت كل وافد وأكرمته وفادته، كما يقدم دراسات علمية حول الصحراء ومقومات الحياة فيها للاستفادة منها في تعمير صحراوات مصر، وحياة العرب في الشعر والعادات والصناعات اليدوية، والكتاب في جملته توثيق لقبائل العرب قبل اندثار آثارهم بفعل الحضارة والتطور التكنولوجي.
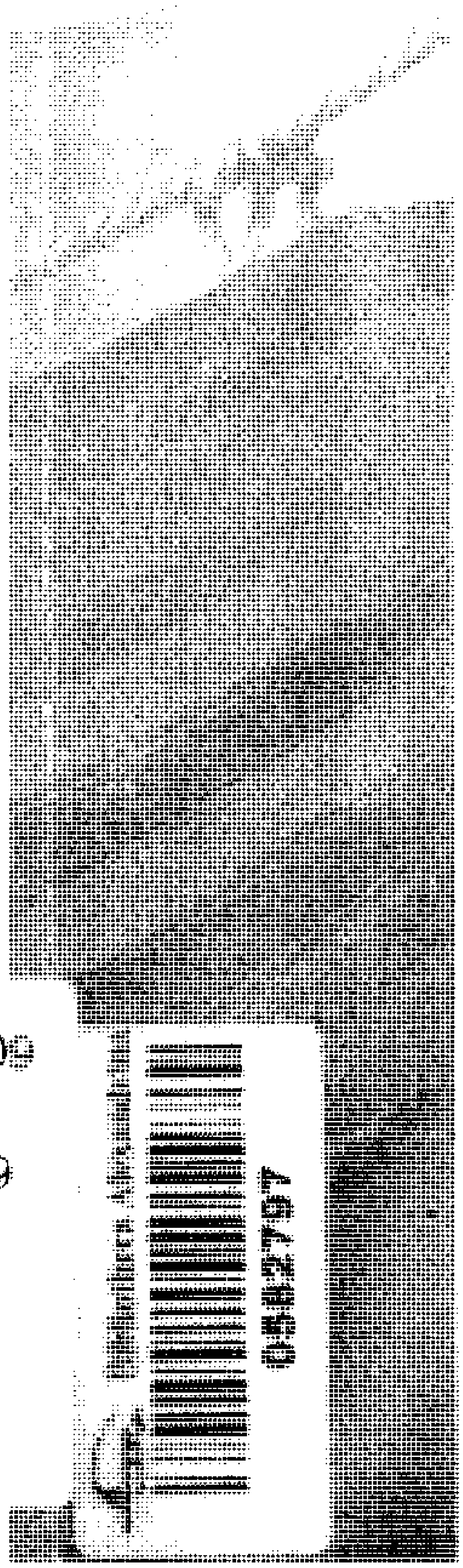
ماهر أحمد غريب